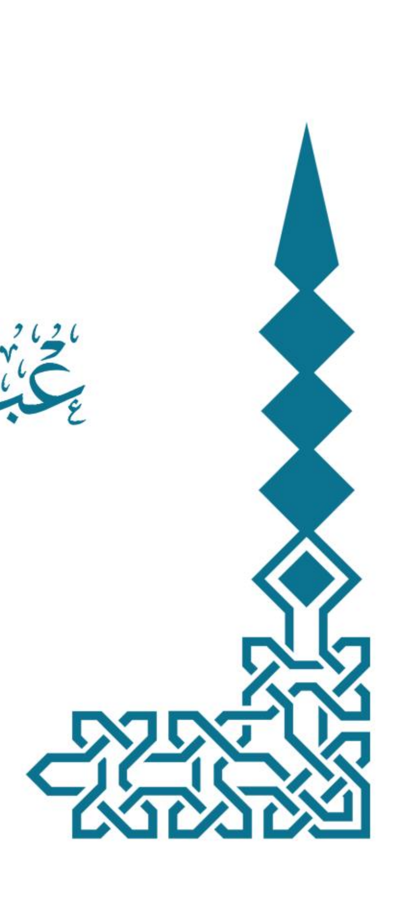
شرح

العقيدة الطحاوية





تعليق فضيلة الشيخ

عبدالله بن عبدالعزيز العنقري

الشيخ لم يراجع التفريغ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فالعقيدة الطحاوية من المتون المُتقدمة، وهي لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سَلامة الطحاوي المصري من بلدة طَحى رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

سمعَ من عددٍ من أهل العلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واعتنى بالحديث.

مذهبه: كان شافعي المذهب، ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى لقصةٍ وقعت بينه وبين خاله إسماعيل المُزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تلميذ الشافعي الشهير، لموقفٍ من المواقف جرى بينه وبين أبي إبراهيم، انتقل بسببه إلى المذهب الحنفي، وأثَّر هذا كما سيأتي إن شاء الله في مقدمة هذه العقيدة.

هذا المختصر من المختصرات العقدية القديمة كما قلنا.

لكن هناك مختصرات عقدية أقدمُ من هذا المختصر، وأجودُ -في الحقيقة وأسلم- كالمختصر الذي للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أصول السنة»، وكذلك «أصول السنة» للحُميدي، وكذا شرح «السنة» للمزني رحمهم الله تَعَالَى. وكلهم أقدمُ من أبي جعفر.

عبارات الطحاوية في هذه العقيدة، ينبغي أن يعلمَ طالب العلم أنها على **ثلاثة أقسام**:

القسم الأول: عِبارةٌ سليمةٌ لا إشكالَ فيها مُطلقًا؛ وهي -ولله الحمد- أكثر ما في هذه العقيدة.

القسم الثاني: عباراتٌ مجملةٌ، تحتملُ أكثرَ من معنى، وسيأتي الكلام عليها، والتنبيه عليها في مواضعها -بعون الله عَزَّ وَجَلَّ.

القسم الثالث: عباراتٌ غيرُ سليمةٍ، كانت بسبب ميله رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى مقولةِ مُرجئة الفقهاء، ويأتي الكلام عليها بعونِ الله مفصلة.

لكن في العموم والأغلب: هذه العقيدة من أحسنِ العقائد من حيثُ السَّلامة العقدية، وبذلك يعلم طالب العلم أن هذا المتن من أسلم المتون، ولكن ليسَ هو أجودها قطعًا، ومتون الأئمة الكبار الذين ذكرنا ولغيرهم أيضًا أقوى منها وأجود.

هذه العقيدة شرحها عددٌ كثيرٌ، ولا أعلمُ شرحًا سليمًا مُطلقًا -في المتقدمين أقصد- إلا شرح العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ تعالى، أما بقيةُ الشروح فمعظمها لعددٍ من المتكلمين الذين انحرفوا عَقديًا، وأخذوا من العبارات التي ذكرنا أنها مُجملة، أخذوا منها ما يزعمون أنه دالٌ على أن أبا جعفرٍ يميلُ إلى قولهم، وهي عباراتٌ سيأتي الكلام عليها بإذن الله.

وقد حرص الشارح ابن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ على تبيين وجهها، وهذه العقيدة كما قال شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «**ينبغي أن يُردَّ المُجمل فيها إلى المبيَّن**»، فإن أبا جعفر رَحِمَهُ اللهُ مُثبتٌ للصفات -بلا شك- معلومٌ هذا عنه، لكنه كان في حالٍ من الردود:

تارةً على المعتزلة.

وتارةً على الممثلة.

فلأجل ذلك أطلق تلك العبارات المُجملة مما جعلها بحاجةٍ إلى توضيح وتبيين. وتولى ذلك ابن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ، وهو رجل من الحنفية وسليم المعتقد، فوجَّه هذه العبارات التوجيه السليم، والعبارات التي يكونُ فيها المأخذ تعقَّب أبا جعفر فيها.

ابن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى نبَّه على عدة جُمل من التنبيهات في هذه العقيدة:

من أهم ما نبه عليه: أن هذه العقيدة في الحقيقة غيرُ مرتبة، يعني لم يُرد الطحاوي أن يُرتبها ترتيبًا مُعينًا، وإنما كانوا يذكروا عِدة مسائل، ثم قد يعود للمسألة التي ذكرها، وهذا سَتراه إن شاء الله تَعَالَى أثناء الشرح.

فموضوع القدر ذكره في مواطن كثيرة مُفرَّقة من الرسالة، أو من هذا المتن، ذكره في مواطن عِدة، وبين الشارح عُذره بأنه لم يكن يُريد الحقيقة الترتيب، وإنما كان يكتب بحسْبِ ما يَرى دونَ أن يكون في ذِهنه أمرُ الترتيب، وإلا فالرجل مُرتِّب، وله كتاب «شرح معاني الآثار» ولديه

علمية في الترتيب، لكن لم يُرِدْ الترتيب المُحدد، وإنما كان مُعظم كلامه يتعلق بمجمل الاعتقاد، ولهذا من مزايا هذا المتن: أنه مَرَّ على مسائل الاعتقاد، فتجدُ فيه الكلام على الأركان الستة مُفصلةً، وإن كان كما سيأتي إن شاء الله يذكرها في موطن، ثم يعود إلى الرُّكن الذي تحدث عنه في موطنٍ أخرى.. وهكذا.

ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ نبَّه إلى أن المُصنِّف في أصول الدِّين أفضلُ ترتيبٍ له أن يُصنف على حديث جبريل، حديث جبريل الذي فيه: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله..» فيقول: الأفضل أن الإنسان يتكلم في العقيدة بهذه الطريقة، فيتحدث عن ما يتعلق بالإيمان بالله حتى يُنهيه، ثم يذكر موضوع الإيمان بالملائكة، ثم يذكر موضوع الإيمان بالكتب.. وهكذا. ولا شك أن هذه طريقة سليمة ومرتبة جدًا، وأيضًا مُرتبطة بالحديث.

من الأمور التي نبه عليها ابن أبي العز في هذه العقيدة: تكرار العبارات بحيث تغني هذه الجملة عن الجملة الأخرى، ووجود السجع في بعض المواضع، ولهذا كان مما أَخذَ عليه: أنه يُكرر عباراته في مواضع ويقول: «وهو بالخطب أشبه منه بالعقائد».

يقول: وكذلك موضوع السجع هو أقرب للخطب، أما موضوع العقائد فالأنسب دائمًا أن تكون موجزة مختصرة، لا يكون بها شيء من التكرار، ويُبعد عن السجع فيها، هذا مراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فلاشك أن هذا هو الأجدى والأنسب من حيث الترتيب، لكن المسألة في مثل هذا -كما تعلم- الأمر فيها على اجتهاد المُصَنِّف، فالأمر في ذلك حسب ما يرى المُصَنِّف الأنسب له، والأجود في ترتيبه للكتاب.

ويأتي إن شاء الله تعالى الكلام عليها، وتعلم أن هذه العقيدة احتوت على أكثر من مائة جملة، لأجل ذلك يصعب الحقيقة أن نقِف بالتفصيل معها، فمن أجل ذلك سيكون الشرح -بإذن الله- في الجملة مختصرًا حتى نتمكن بعون الله من الفراغ منها اليوم.

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

هَذَا ذِكْرُ بَيَانِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتٍ الْكُوفِيِّ، وَأَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَنْصَارِيِّ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ رضوان الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَمَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

قال الشّارح وفّقه الله:

بدأ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى بالعقيدة وأسندها إلى الإمام أبي حنيفة وصاحبيه رحم الله الجميع. ولاشك أن هذا مأخذ في الحقيقة، وأن العقيدة أكبر من أن تُنسب إلى شخص، فنحنُ لا نعتقد عقيدة أحمد بن حنبل، ولا ابن تيمية، ولا ابن عبد الوهاب، العقيدة أكبرُ بكثيرٍ من أن تُنسب إلى شخص. ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «مذهب أهل السنة والجماعة مذهبٌ قديمٌ معروفٌ قبلَ أن يخلق الله أبا حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة».

فالأصل أن الانتماء في الاعتقاد يكون للنصوص وللسلف الصالح رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، هذا هو الموضع الذي ينبغي أن يُلاحظ في أمر الانتساب.

فالعقيدة لا تؤخذ من فلان، وإنما تؤخذ ابتداءً من كلام الله وكلام رسوله ﷺ، ومما فَهِمَهُ الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وقد قال النبي ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». وقال ﷺ: «أنا أمنةٌ، فإذا ذهبْتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنةٌ لأمتي، فإذا ذهبَ أصحابي أتى أمتي ما يوعدون». قال أهل العلم: إن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أمنةٌ للأمة في دينها ودُنياها.

قوله: «**أمنةٌ للأمة في دينها**»: من جهةِ أنهم يُبينون الحق، ويدحضون الباطل، والبدع والضلالات.

وقوله: «**وأمنةٌ لأمتي في دُنياها**» فإن الفتوحات العظيمة الكبرى كانت زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، ونشروا الإسلام أيما نشر.

فلأجل ذلك ينبغي في الحقيقة أن يُنتسب دائمًا ويُلاحظ هذا في الاعتقاد أن يُنتسب إلى السلف الصالح رضي الله عنهم، هم الذين يُنتسبُ في الاعتقاد إليهم.

وقد كان كما قلنا: أبو جعفر من الشافعية، فجرى بينه وبين خاله المزني موقف، غضب عليه فيه المزني وقال له: والله لا جاء منك شيء. يعني كأنه يقول: لم يكن منك شيء من النفع أو نحو ذلك، فغضب رحمه الله وانتقل إلى القراءة على الحنفية، ولأجل ذلك أخذَ بقولهم في الاعتقاد، وفي الفقه. ويأتي لهذا بيانه إن شاء الله.

الحاصل: أن الاعتقاد يُنتسب فيه إلى السلف الصالح رضي الله عنهم، وإذا قلنا: **السلف** بالمناسبة رأس السلف رسول الله ﷺ دائمًا كما قال ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: «**نِعم السلف أنا لكِ**» فهو سيد السلف وسيد الأمة ﷺ.

وإذا قلنا: مذهب السلف يؤخذُ به؛ لأنهم أخذوه من رسول الله ﷺ، ولأنهم الذين أولى بفهم النصوص من سائر الأمة.

ولهذا ينبغي أن يكون الانتساب للسلف، ولهذا مالكٌ رحمه الله لما قيل له: إن رجلًا من أهل البدع قيل له عند الموت: تموت على أي دين؟ قال: أموت على دين أبي عُمَارة. قال: انظروا إلى هذا يقول: أموت على دين أبي عُمارة، ولا يقول: أموت على دين أبي القاسم ﷺ.

فالإنسان يموت على دين رسول الله ﷺ، ما ينتسب في الاعتقاد إلى فلان أو فلان، لأجل ذلك الاعتقاد يُنتسب فيه إلى النصوص وإلى السلف الصالح؛ لأنهم تلقوه عن رسول الله ﷺ بخلاف الانتساب الفقهي، الانتساب الفقهي لا إشكالَ فيه، في المدارس الفقهية إذا تبين له الدليل عمِل به، أما إذا درسَ الفقه دراسة يكون في بيئةٍ حنفية يَدرُس على الحنفية لا إشكال، في بيئة شافعية، في بيئة مالكية، في بيئة حنبلية يدرُس العلم على شيوخ بلده الذين يتلقى عنهم لا إشكال، وإذا انتسب وقال: إني شافعي، أو حنفي، أو حنبلي، أو مالكي، لا إشكال أيضًا، ما في هذا إشكال، لأن هذه مدارس كما أنك تقول: تخرج الآن من جامعة كذا، وهذا من جامعة كذا مدارس، أما الاعتقاد لا، الجميع ينبغي أن ينتسبوا فيه إلى رسول الله ﷺ، وإلى السلف الصالح.

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ، مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ، وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ.

قال الشّارح وفّقه الله:

بدا رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالكلام على التوحيد، فبدأ بالتوحيد فقال: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ، مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ). فنحن نقول مع الاعتقاد، لأن المؤمن يقول ما يعتقد، والمنافق هو الذي يقول ما لا يعتقد. فنقول: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ، مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ).

هو عَزَّوَجَلَّ واحدٌ كما قال تعالى: ﴿**الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ [يوسف:٣٩] . واحدٌ في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، وهذه أقسام التوحيد التي ينقسمُ إليها التوحيد، وهذه الأقسام بالمناسبة موجودةٌ في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، موجودةٌ في سورة الفاتحة، فقولك: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة:٢] . هذا توحيد الربوبية.

وقوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة:٣-٤]. توحيد الأسماء والصفات.

وقوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة:٥]. هذا توحيد العبادة.

وهكذا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ..**﴾ [البقرة:١٦٤] الآية. فهذه الآية ذكرت أنواع التوحيد.

فالتوحيد هذه الأنواع، وتوحيد الربوبية معناه: يرتبط بربوبية الله عَزَّوَجَلَّ، من جهةِ أفعاله بأن يوحَّد الله تعالى في أفعالِه، إفرادُ الله بأفعاله من الخلق والرزق، والإحياء والإماتة ونحو ذلك.

وتوحيد العبادة: مرتبط بالعبد، إفراد الله بأفعال العباد، من الدعاء، والذبح، والنذر، ونحو ذلك.

وتوحيد الأسماء والصفات: هو إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، أو أثبته له رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الأسماء والصفات، هو نفي ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

التوحيد الذي عليه المدار وعليه الخُصومة الكبرى بين الرسل صلى الله عليهم وسلم وبين أعدائهم: هو توحيد العبادة، فإن الأمم كانت متفقة على أن الله تعالى هو الرب، والآيات في هذا كثيرة في كتاب الله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف:٨٧] . هذه الآيات صُدرت بهذا السؤال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [لقمان:٢٥] . ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١] . جوابهم على جميع هذه الأسئلة أن الله تعالى هو الذي يخلق ويرزق ويُدبر الأمر، فالأمم على هذا، الذين جحدوا ربوبية الله ﷻ، ما جحدوها إلا في الظاهر، وإلا فهم مُقرون في الباطن أن الله تعالى هو ربهم، وأشر من جحد الربوبية هو فرعون، ومع ذلك يقول له موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الإسراء:١٠٢] يعني في قرارة نفسك تعلم، ولهذا قال تعالى في الآيات: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]. فعندهم يقين متأكدون، لكنهم يجحدون في الظاهر.

فالأصل أن هذا الأمر قد فطر الله تعالى عليه الجميع، ولهذا ما جاءت الرسل صلى الله عليهم وسلم بالدعوة إلى إثبات أن الله هو الرب، وإنما جاءت الرسل بالدعوة إلى عبادة هذا الرب الذي يُقر به الجميع: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٥٩] . وهكذا الآيات المرتبطة بهود وصالح وشعيب: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٦٥] . ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٧٣] . ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٨٥] . قال ﷻ في جميع الرسل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

فالموضوع موضوع العبادة، والذي أُرسلت الرسل لأجله عليهم الصلاة والسلام، وهذا الأمر العظيم الجليل في كتاب الله قد خفي على طائفتين:

الأولى: المتكلمون من المعتزلة والجهمية والأشعرية والماتريدية، وأضرابهم، فظنوا أن المقصود توحيد الربوبية، مع جلاء الآيات ودلالتها الصريحة على أن الرسل إنما جاءت لإفراد الله تعالى بالعبادة.

والثانية: هم الصوفية، فإنهم جهلوا أيضًا حقيقةَ التوحيد الذي أتت به الرسل عليهم الصلاة والسلام.

فهذا العلم العظيم علم التوحيد هو أشرفُ علوم الدين على الإطلاق، لا يوجد علم أشرف مُطلقًا من علم التوحيد، وهو الذي أمرَ ﷺ معاذًا أن يبدأ به لما أرسله إلى اليمن: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكُنْ أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات..**» الحديث. فهذا هو الأمر العظيم الذي يُبدأ به، وهو أول ما يَدخُل به المرء الإسلام، أو ما يأتينا الكافر يُريد الإسلام نُلقنه أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

وهكذا كان رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلى هذا، قال ﷻ: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ**﴾ [الصافات:٣٥-٣٦].

فكان يدعوهم ﷺ إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، وهذا الموضوع العظيم موضوع التوحيد موضوع كبير جدًا.

ومن إكرام الله ﷻ للداعي إلى الله تعالى: أن يستعمله في التوحيد، إذا أراد الله إكرام العبد استعمله في التوحيد، فينفع الله به تعالى أعظم النفع، وإذا تاه الإنسان وضاع صار يدعو في وادي والتوحيد في وادي، فما جعل الله تعالى له بركةً في دعوته ولو عُمِّر عُمْر نوح؛ لأنه لم يأت البيوت من أبوابها، ولم يسلك المسلك الذي قال الله: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف:١٠٨]. فالمتبعُ الحق لرسول الله ﷺ يُركِّز على التوحيد، ويُحذر من الشرك، وليس معنى قولنا: إنه يُركز على التوحيد، أنه يترك بقية أمور الدين، ما

يقول هذا أحد، لابد من الكلام على الآداب والأخلاق والمحرمات، والواجبات من صلاةٍ وزكاةٍ، وغيرها لابد ولاشك، أصلًا لا يتم التوحيد إلا بهذه الأمور قولًا وفعلًا.

لكن إذا كان الإنسان لا يهتم بهذا الأمر العظيم (**التوحيد**)، وتَشيب لحيته وما صار له كلامٌ في التوحيد، فلو اجتمعَ عليه أهلُ الأرض فلا خيرَ في دعوته، وهذا من الأمور التي أضرَّت الدعوة إلى الله إضرارًا بالغًا، أن دخلَ فيها من لا يُحسنُ الدعوة على السبيل الذي قال الله ﷻ: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف:١٠٨]. فدعا أُناسًا على غير بصيرة، وعلى غير هدي رسول الله ﷺ، فلأجل ذلك من المُهم أن يُلاحظ أمر التوحيد، قال أهل العلم: هو أول ما يدخل به الإنسان الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، يعني الميت يُقال له: وهو قد عاش على التوحيد مائة سنة قُلْ لا إله إلا الله حتى يختم حياته بالتوحيد، مع أن حياته كانت على التوحيد، لكن يبدأ بالتوحيد ويختم بالتوحيد؛ لعظم شأن التوحيد، ولأجل ذلك خُذْ قاعدة الشخص الذي يهوِّل من أمر التوحيد هذا من دُعاة الضلال، لا يُمكن أن يكون من دعاة الهُدى، إذا هوَّن من أمر التوحيد ومن أمر الشركيات، هذا ليس من الهُداة المهتدين، هذا من الضالين بلا شك، حتى لو بلغ كثرة من حوله من الناس والشهرة ما بلغ، لأن الأنبياء دعوا إلى هذا، والنبي ﷺ يُرسل الرسل ليدعو الناس إلى هذا، الرسل الذين يُرسلهم من أصحابه، كما في حديث معاذ الذي تقدم.

فلأجل ذلك الدعوة إلى الله بحاجة إلى علمٍ بأنْ يدعو الداعي على بصيرة كما قال الله ﷻ: ﴿**أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ**﴾ [يوسف:١٠٨]. هذا أمر في غاية الأهمية الحقيقة، ولهذا تجدوا أن أهل العلم يبدؤون بالتوحيد، نقول: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ). مباشرةً يبدا بأمر التوحيد.

لما تكلم عن أمر التوحيد، وذكر أن الله ﷻ هو الذي يوحَّد، فقلنا: إنه تعالى يوحَّدُ بالأمور التي ذكرناها وهي مختصة به، فأصل التوحيد: إفراد الله بما يختص به من الربوبية، والإلوهية، والأسماء والصفات.

وتقدم معنا توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

فلذلك قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ، مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ). لأن الله تبارك وتعالى هو الخالق، وكل ما سوى الله فهو مخلوق، والله تعالى يقول: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧]. ويقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]. فليس لله تعالى مِثلٌ بلا شك، لا في ذاته تعالى ولا في أسمائه، ولا في صفاته. ولأجل ذلك فإن أيَّ صفةٍ يُوصفُ الله تعالى بها، فإن هذه الصفة لله منها الكمال المُطلق، كعلمه عَزَّ وَجَلَّ، فإذا وُصِفَ الرب بالعلم فعلمه كما قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]. هذا العلم العظيم الذي كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ﴾ [يونس:٦١]. فلأجل ذلك أهل السنة ولله الحمد إذا وصفوا الله تعالى بوصفٍ لا يوجد عندهم أدنى تردد في أنه الوصف اللائق بالله عَزَّ وَجَلَّ.

والأمور الغيبية عمومًا حتى فيما يتعلق بالجنة، ليسَت تُشبه الأمور الموجودة في الدنيا، ولهذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيما يتعلق بالنعيم الذي في الجنة فيما يتعلق بالدنيا: «ليس منه إلا الأسماء». فإذا قال الله تعالى: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ [الرحمن:١١]. فلا يُمكن أن يتصور إنسان أن فاكهةَ الدنيا مثل فاكهة الآخرة مُطلقًا، كما أن النار عياذًا بالله منها في الآخرة لا يُمكن أن تكون مثل نار الدنيا، لأنها قد ضُعِّفت عليها بسبعين ضِعفًا، هذا وهي مخلوقات، ولهذا جاء في الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما ذَكرَ الدرجات التي تكون في الجنة قال لأحد أصحابه: «إنها ليست مثل درجة أُمِّك» يعني لا تتصور إذا قلنا درجة أنها مثل درج بيتك، درج الآخرة غير، هذا وهي غير مخلوقة، فما بالك بصفات الله عَزَّ وَجَلَّ، فلم يقعْ -ولله الحمد- عند أهل السنة أدنى إشكال في الصفات، لأنهم يعلمون أن صفات الله تليق به، وأنه إذا قيل: العلم لله عَزَّ وَجَلَّ يُثبت، ويُثبت للمخلوق العلم، فعلم الله كما ذكرنا في الآية، أما علم المخلوق فكما قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥].

وعلى هذا تكون جميع الصفات أن أي وصف فلله تعالى منه الكمال المطلق، أما المخلوق فله منه ما يليق بضعفه وافتقاره وفنائه، فلأجل ذلك قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ). لا شيء مثل رب العالمين، والله تَعَالَى كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]. وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤] . وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥] .

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ). لما كان الرب سبحانه وتعالى هو المنفرد بالتدبير والأمر والنهي، وكان هو الرَّب، وما سواه عَبيد: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]. فإنه لا يُمكن أن يُعجزه تعالى شيءٌ، الكل خلقه، وعبيده وتحت تصرفه لا حول ولا قوة إلا به.

قال: (وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ) ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤] . وهذه الآية لها شأن عظيم جدًا.

عندنا أمر مهم جدًا فيما يتعلق بالصفات، صفات الله تعالى المثبتة لله عَزَّ وَجَلَّ نعلمْ عِلمًا تامًا أن الله تعالى منها الكمال المُطلق، النفي إذا نفى الله تعالى عن نفسه شيئًا، فإن الله متصفٌ بكمال ضده، فقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ [فاطر:٤٤] . قال بعدها: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤] . قال أهل العلم: لأن العاجز عاجزٌ لأحد أمرين:

الأول: لنقص علمه.

الثاني: أو لنقص قدرته.

فإما أن يكون العاجز لا يقدرُ، وإن علم بالأمر فإنه لا يستطيع أن يُغير شيئًا؛ لأنه عاجز، وإذا كان قادرًا لكنه لم يعلمْ بالأمر، تم الأمر على خلاف ما أراد، فإذا بلغه قال: ما علمت، فلأجل هذا تأمل الآية: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ [فاطر:٤٤]. هذا النفي للعجز، لأن الله تعالى متصفٌ بكمال ضد العجز، وهو كمالُ العلم وكمال القدرة، لهذا قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤]. فلهذا قال أهل العلم: **(النفي المحض لا يُمكن أن**

يكون مدحًا)، فالله تعالى متصفٌ بالعدل المُطلق، ويُنفى عنه الظلم سبحانه وتعالى؛ لكمالِ عدْلِهِ مع قدرته على كل شيء.

أما مجرد نفي الظلم، فإن الإنسان قد يَعجز عن الظلم، ولو تمكَّن لظلم، لكنه عاجزٌ غيرُ قادر، فلأجل ذلك هو لا يظلم، فهو غيرُ ظالمٍ لا؛ لأنه عنده العدل، لكن قد يكونُ سببُ عدمُ ظُلمه أنه عاجِزْ، فلأجل ذلك، فإن النفي المحض لا يكون مدحًا، ولأجل ذلك فكل نفي نفاه الله تعالى عن نفسه، فلأنه تعالى متصفٌ بكمال ضِد هذا الذي نفاه سبحانه وتعالى، ولهذا قال: (**وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ**). أي شيء في السماوات أو في الأرض فلا يُمكن أن يُعجز الله ﷻ.

وقال رَحِمَهُ اللهُ: (**وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ**). الإله هو المعبود، لا إله غيره أي لا معبود حقٌ سوى الله ﷻ، وهذه الكلمة العظيمة هي كلمة التوحيد، وهي التي قلنا: إن الرسل دعوا إليها: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء:٢٥]. وذكرنا الآيات في نوح وهود وصالح، وشعيب، كلهم يدعون قومهم إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل:٣٦].

(**لا إله إلا الله**) هذه كلمة التوحيد العظيمة، معناها: ألا معبود حقٌ إلا الله، فقولك: لا إله أي لا معبود حقٌ إلا الله، (لا) هنا هي النافية للجنس.

(**إله**): اسمها منصوب، وعلامةُ نصبه الفتحة، الخبر مُقدر تقديره (حقٌ)، أي لا معبود حقٌ إلا الله، فإذا وُجِدَ معبودٌ سوى الله، فإنه معبودٌ بالباطل، ولهذا وجدت آلهة، لكنها معبودةٌ بالباطل: ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**﴾ [الأنبياء:٩٨]. فيُجمع العابدون والمعبودون في جهنم جميعًا، فالآلهة من حيث كلمة (**الآلهة المعبودة**) موجودة، لكنها بالباطل.

ودل على هذا التقدير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج:٦٢]. في سورة الحج. وفي سورة لقمان: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ [لقمان:٣٠]. فمعنى قولنا: (لا إله)؛ أي لا معبود حق، كما دلت عليه الآيتان.

لا معبود حقٌ إلا الله، وأنه لا إله غيره، وهذه الكلمة العظيمة التي يُبدأ بها كما تقدم، وهي التي جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام بالدعوة إليها، وهذه الكلمة العظيمة علمٌ مُستقل علمٌ عظيم، علم كلمة التوحيد، وشروط كلمة التوحيد، ونواقض كلمة التوحيد، هذا من أشرف وأعظم العلوم، بل هو أشرف العلوم الحقيقة كما قلنا.

وشروطها سبعةٌ، جمعها الناظم في قوله:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقك معْ محبةٍ وانقيادٍ والقَبول لَها

هذه الشروط السبعة بأن يقولها الإنسان عن علمٍ وعن إخلاصٍ مُنقادًا مُحبًا لها ولأهلها إلى غير ذلك.

وتكلم أهلُ العلم على هذه الشروط، وشرحوا معناها، وبينوا الأدلة عليها، كما تجدوا ذلك في «فتح المجيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن، وكذلك في «معارج القَبُوْل» للشيخ حافظ حكمي، وأُفردت أيضًا بالتنصيف وحدها.

وكما أن لها شروطًا فلها نواقض، وصنَّف الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في هذه النواقض، وذكر أنها عشرة، وبين أن النواقض كثيرة، لكنه ركز على العشرة؛ لأنها أكثر ما يكون انتشارًا، وإلا فالنواقض التي ذكر العلماء في باب حكم المرتد كثيرة، لكن ركز على هذه العشرة تحديدًا؛ لأنها كثيرة الانتشار.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ.

قال الشّارح وفّقه الله:

قوله: (قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ) هذه العبارة منه رَحِمَهُ اللَّهُ انتقدها الشارح وصدق في انتقاده لها.

فالرب ﷻ سمى نفسه باسمٍ لا نعدِل عن اسم الله الذي سمى به نفسه، وهو الأول سبحانه، أما **القديم**، فإن القديم في لغة العرب لا يتضمن المعنى الكامل الذي يتضمنه اسم الأول، فالقديم في لغة العرب: يُراد به ما يكون مسبوقًا بغيره، كما قال تعالى: ﴿**أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ**﴾ [الشعراء:٧٦] . ﴿**حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾ [يس:٣٩] . أما الأول فكما في الحديث: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء»، فهذا هو الاسم الذي ينبغي أن يُلتزم، وأسماء الله تعالى تتميز بأنها حُسنى، يعني قد بلغت في الحُسن أكمل ما يكون من الحُسن، ولأجل ذلك فاسمُ القديم أولًا: لم يثبت حتى يُقال: إنه يُقال عن رب العالمين.

ثانيًا: أن الله سمى نفسه بالاسم اللائق به تعالى وهو الأول، وبين أن الأول هو الذي ليس قبله شيء، كما بينه رسول الله ﷺ، قال: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء**»، ولأجل ذلك فإنه ينبغي التعبير عن رب العالمين بما سمى به نفسه، وبما سماه به رسوله ﷺ. ولاشك أن من أطلقوا كلمة القديم أرادوا هذا المعنى بلا ريب، لا يُريدون أنه مسبوقٌ بغيره تعالى سبحانه عن ذلك! ما في مسلم يقول هذا، ولأجل ذلك قال: (قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ). مُراده نفس المعنى الموجود في الاسم الأول فيُقال: الحمد لله يُسمى الله بما سمى به نفسه، وهو كما في الحديث: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء»، هذا معنى قوله: «بلا ابتداء» وهكذا هو الآخر سبحانه وتعالى فليس بعده شيء وهو الذي ينبغي أن يُقال: بدل كلمة (دائم) بلا انتهاء.

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لَا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ.

قال الشّارح وفّقه الله:

الفناء منفي عن الله قطعًا، قال تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧] . فالبقاء لله عزَّ اسمه، وكل ما سواه ﷻ من مخلوقاته فإنه يفنى، فقد كتب الله تعالى الفناء على هذه المخلوقات، وهو الذي يبقى لا سواه، فلأجل ذلك قال: (لَا يَفْنَى).

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا يَبِيدُ). والفناء والبيْد متقاربان من حيث المعنى، وجمعُهُمَا يعني إما للتأكيد، وهو أراد بهذا تقرير ما تقدم في قوله: (دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ).

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ). لا يُمكن أن يقعَ في هذا الملكوت حركة، ولا سكون إلا بمشيئةِ الله تعالى، ولو اجتمعت الخلائق كلها على أمرٍ أرادته، ولم يُرده الله سبحانه وتعالى، فلا يُمكن أن يتحقق، لأنه الذي غلبت مشيئته المشيئات كلها سبحانه وتعالى، فإذا أرادَ الله أمرًا فلا رَيبَ أنه لابد أن يقعْ، والمقصود بهذه الإرادة الإرادة الكونية، لأن الإرادة على نوعين:

أولًا: الإرادة الكونية التي بمعنى المشيئة، فهذه الإرادة تتحقق وتقع ولابد.

ثانيًا: أما الإرادة الشرعية، فإن الله أراد من العباد أمورًا معينة من العبادات كالصلاة والصوم، والزكاة، ولكن المؤمنون هم الذين حققوا مراد الله فيها، والكفار ما حققوا مراد الله، فالإرادة الكونية تقعُ حتمًا، والإرادة الشرعية حين يُريد الله من العباد أن يُصلُّوا، ومع ذلك فلا يُصلوا كلهم؛ لأن هذا إرادة شرعية، تتحقق في أهل الإيمان، وأما أهل الكفر فلا تتحقق فيهم.

أما الإرادة العامة: المقصود بها المشيئة، إذا شاء الله تعالى أمرًا فإنه يقع بإذن الله ﷻ، ولا يُمكن أن يحول دون الله ودون مراده أحد، ولهذا فإن الله عزَّ اسمه إذا أراد أمرًا فلا يُمكن أن يُرد هذا الأمر بإرادته الكونية كما قلنا بقدر ما يتعلق قلب المؤمن بمثل هذه المعاني يعلم أن

كل المخلوقين ما هم إلا أسباب، ما يُمكن يأتيك خير من هؤلاء المخلوقين، ولا يُمكن يأتيك شر إلا على سبيل التسبب، فلأجل ذلك بقدرِ ما يَلجأ العبد إلى ربه تعالى، ويعلم أن الأمر إليه بقدر ما يعظُم توكلُهُ، ويكونُ قلبُه على أكملِ ما يكون من القوة، وبقدر ما يضعف عنده ملاحظةُ هذا بقدر ما يكون عنده من الضعف.

فالإرادة الحقيقية التي تتم: هي إرادة الله تعالى.

وهذا أمرٌ عظيم ينبغي أن يُلاحظه المسلمون في سائر أحوالهم، وإذا تسلَّط أعداء الله ﷻ وصارَ عندهم من العَتاد والقوة والمنعة، والظاهر من حالهم الشِّدة والقوة، وأظهروا أنفسهم بأنهم في مَظْهَر الذي لا يُمكن أن يُغلب ولا يُقهر يُقال: القضية ليست عندهم، القضية عند رب العالمين سبحانه وبحمده الذي أمدَّهم بهذا، وأوصلهم إليه، ولو شاء لجعل هذا الذي أعدُّوه وبالًا ودمارًا عليهم، فإن الله تبارك وتعالى هو الذي إذا أراد أمرًا تم سبحانه وبحمده.

هذا يُقوي قلوب المسلمين بخلاف حال الهلع والضعف الذي يقعُ من آثار كثرةِ الكلام عن قوة الكفار، وتنوُّع وتلوُّن ما عندهم من العتاد، حتى يقول ذوو العقول الصغيرة، ممن هم في مثل حدِّ الصبيان: إن دولةً من الدول قادرةً على تدمير الدُّنيا، يخسأون والذي خلق الكون لا يُمك أن تُدمر الدنيا، ولو جمعوا كل عتادهم الدُّنيا لها رب يُصرِّفها، الدنيا لها نهاية ستنتهي إليها حسْب ما أراد الله، الدُّنيا لا يُمكن أن تتم إلا إذا جاءت أشراطُ الساعة، وتم وعدُ الله سبحانه وتعالى، فكيف يقول مسلم: إن دولةً من الدول تستطيع أن تُدمر الدنيا كاملة، ودولة أخرى تستطيع أن تُدمر الدنيا تسعة عشرة مرة، يا لله العجب! كيف يجري هذا في ذِهن موحِّد.

كيف يقول هذا إنسان، يؤمن بالله واليوم الآخر، وأن مراد الله هو الذي يتم، وأن ما وعد الله تعالى به من نصر دينه في نهاية المَطاف، وما أخبر تعالى من أن الدنيا تنتهي بالمراد الذي أراده، وأنه لا يُمكن أن تنتهي هذه الدنيا إلا بحسب ما ذَكر تعالى فيما يتعلق بأشراط الساعة، فقد جاء أشراطها، وأنه لا يُمكن أن تمضي الأمور إلا على مراد الله، ولا يكون إلا ما يُريد سبحانه وتعالى، أما ما يُريده البشر، كلنا نُريد وعندنا مرادات كثيرة جدًا، من أول حياتنا إلى

أن ننتهي، وعندنا مجموعة من المرادات نُريدها، فلا يتحقق منها إلا ما يُريد الله ﷻ، أفرادًا وجماعات ودول، ما يُمكن يتحقق إلا ما أراد الله عز اسمه، وينبغي في مثل هذه الحالة الحقيقة نشر أمر عظمة رب العالمين، وقوة رب العالمين، لا العكس، أن تُنشر قوة الدول، وأنها قادرة على كذا، وعلى كذا، قدرتها على حدها، وهذا العتاد الذي قد أعدوه لو شاء الله تعالى جعله عليهم حسرةً، وجعله نكالًا ووبالًا.

فمثل هذه العبارات الحقيقة أنها مُضرة بالعقيدة، يتضرر الإنسان في عقيدته وهو لا يشعُر، ولو تأمل المؤمن الحقيقة على ما هي عليه، لعَلِم أن مثل هذا لا يجوز أن يُقال، وإنما هذه أمور من التهويل، وبث الرُّعب أكثر منه حقيقةً قائمة، فالأمور بيد الله ﷻ، فلا يكون إلا ما يُريد الله سبحانه، وقد خلت قبلنا أُمم كانت على حالٍ من القوة والعتاد، وملك بعضهم معظم الدنيا، ثم مضوا كما مضى من قبلهم، وهلكوا كما هلك من كان قبلهم، وهكذا كل من بعدهم إلى قيام الساعة، تحت إرادة رب العالمين سبحانه وتعالى، فلا يكون إلا ما يُريد.

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ، وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ.

قال الشّارح وفّقه الله:

ذكر هنا هذه الجمل، ولكل جملةٍ معنى، فقوله: (لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ)، الأوهام: هي الظنون.

وقوله: (وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ). لا يُمكنْ أن يُدرك الله تعالى من خلال علوم وفُهوم، ولا يُمكن أن يُحاط به سبحانه، وأنْ يُبلَغَ بالأوهام، يعني أنه تُبارك وتعالى أعلى وأعظم من أن يُدْرَك، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]. فلا يُمكن أن يُحاط بالله عِلمًا، لا بوهم وظنون يظنها الناس، ولا بفهمٍ وعلومٍ يعلمونها إذا بلغوها أدركوا الله، معاذ الله من ذلك، لا يُمكن أن يكون هذا، فالله لا تبلغه الأوهام، ولا تُدركه الأفهام. وكيف يُحاط برب العالمين سبحانه وتعالى وهو الذي يخلق وما سواه مخلوق، وقد قال: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧]. فالإنسان لا يُمكِنْ أن يُدرك إلا ما في نِطاقِه من المخلوقات، أما الله ﷻ فهو الخالق، وما سواه مخلوق، فلا يُمكن أن يُحاط به عزَّ اسمه لا إله إلا هو، لا بوهم، ولا بفهم.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ). يقول ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]. فالله تبارك وتعالى لا يُشبه خلقه كما قلنا: لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته.

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ.

❀❀◈❀❀

قال الشّارح وفّقه الله:

هذان الاسمان العظيمان جاء أن فيهما اسم الله الأعظم (**حي**) لكنه ليسَ كالأحياء سبحانه وبحمده، فالأحياء حياتهم متبوعةٌ بفناء، ومسبوقةٌ بعدَم، أما الله تبارك وتعالى فحياته ليست مُبتدأة عز اسمه، كما أن حياته تبارك وتعالى غيرُ منتهية، تقدم قوله: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧]. فكلُّ حيٍ فإنه يموت، إلا الله الحي الذي لا يموت، ولهذا قال تعالى: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ**﴾ [الفرقان:٥٨].

وهكذا القيوم، فالقيوم القائم سبحانه وتعالى الذي قام بنفسه وأقام غيره ﷻ، فلأجل ذلك لا ينام، الذي لا يُمكن أن تتنفس إلا بإذنه كيف ينام ويترك هذه الخلائق سبحانه، ولهذا قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ لا يَنَامُ، وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**». يعني لا يليق أن ينام الله، كيف ينام رب العالمين الذي لا يُمكن أن يمر أدنى من اللحظة إلا بإذنه وإرادته وتصريفه، فلا يُمكن أن ينام سبحانه وتعالى، ولهذا قال: «**إِنَّ اللهَ ﷻ لا يَنَامُ، وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**».

في قوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ لَا يَنَامُ».

دلالةٌ عظيمة جدًا على أن الذي لا ينبغي من الصفات يُعرف من النصوص، فنحنُ نعلم من النصوص الذي ينبغي ويليق، ونعلم من النصوص الذي لا ينبغي ولا يليق بالله ﷻ، فلأجل ذلك قال: «**إِنَّ اللهَ ﷻ لا يَنَامُ**»، فَعَلِمنا أن هذا منفي عن الله، وهو النوم كما هو صريح القرآن: ﴿**اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ**﴾ [البقرة:٢٥٥]. في قوله: «**وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**» دَلالة على أن الذي يُنفى عن الله ﷻ، ولا ينبغي أن يتصف به يؤخذ من النصوص، ولا يؤخذ من آراء المتكلمين متعتزلةً وجهميةً وغيرهم حتى يأتي الواحد منهم فيقول: هذا الوصف يليق بالله، وذاك لا يليق، يُقال: رب العالمين لا يترك باب الأسماء والصفات لك، حتى تُخبر الناس بالذي يليق بالله، والذي لا يليق به، هذا أشرف العلوم العلم بالله ﷻ أشرفُ

العلوم، وهذا العلم العظيم قد أخبرنا الله تبارك وتعالى بالذي يليق به، وبالذي لا يليقُ به، وأخبرنا ﷺ كذلك، ولهذا في فائدة عظيمة جدًا في حديث ثابت عنه عليه الصلاة والسلام في خبر الصحابي الذي كان إمامًا، وكان يقرأ بسورة (قل هو الله أحد)، وبسورةٍ معها، فقال له الجماعة من خلفه: كأن هذه السورة لا تُجزئك حتى تقرأ معها سورةً أخرى، إما أن تقرأها، وتقتصر عليها، وتقتصر على السورة الأخرى، لا تقرأ سورتين، فأبى وكان أفضلهم، ولم يريدوا أن يُزيلوه، جاء هذا في حديثين: حديث في إمام مسجد قُباء، وحديثٌ في إمامٍ كان أميرًا عليهم في سرية، والأمير هو الذي يُصلي، وكلاهما رضي الله عنهما يقرأ بسورة قل هو الله أحد، يعني يقرأ أربع سور في الركعتين، فقال ﷺ لما أخبروه: «سلوه لأي شيءٍ يفعل ذلك؟ فقال: لأنها صفة الرحمن، وإني أُحبها». هنا قوله: «لأنها صفة الرحمن» مُفيد جدًا به نعلم أن صفة الرحمن نعرف من خلال النصوص المنفي وغير المنفي، لأن سورة قل هو الله أحد فيها المثبت لله وفيها المنفي، ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ**﴾ [الإخلاص:١-٢]. هذا إثبات: ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:٤]. هذا نفي، فعلِمْنَا أن صفة الرحمن أن نعلمَ ما الذي أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله، وأن نعلمَ ما الذي نفاهُ الله عن نفسه، ونفاهُ عنه رسوله ﷺ، فنثبت ما أثبت، وننفي ما نفى. أقره ﷺ على هذه الكلمة في قوله: «لأنها صفة الرحمن، وأخبروه أن الله يُحبه». والصحابي الآخر قال: «حُبك إياها أدخلك الجنة».

فالحاصل: أن سورة قل هو الله أحد فيها النفي والإثبات. وصفة الرحمن أن تعرف ما أثبتته النصوص فتثبته، وما نفته النصوص فتنفيه. وأما كما سيأتي ما يُطلقه الناس إثباتًا وهو غير موجود في النصوص إثباتًا، وهو غير موجود في النصوص إثباتًا، أو نفيًا، ولم تنفه النصوص، فإن هذا مما لا نُقدم عليه إثباتًا ولا نفيًا، لأن الله ﷻ أعلمُ بنفسه: ﴿**قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ**﴾ [البقرة:١٤٠]. وصف الله نفسه بالوصف اللائق، ونفى عن نفسه ما لا يليق، حسبنا ذلك، ونقتصر على النصوص.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مُؤْنَةٍ.

❁❁◈❁❁

قال الشّارح وفّقه الله:

لاشك أن الله سبحانه وتعالى خالقٌ بلا حاجة، ما خلق الخلق ليستكثر بهممن قِلة، ولا ليتقوى بهم من ضعفٍ سبحانه وتعالى، ولهذا قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦-٥٧]. فإن الله ﷻ ليس محتاجًا إليهم.

وقال سبحانه وتعالى كما في الحديث الصحيح القدسي: «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي». فالعباد لا يُمكن أن ينفعوا الله، إذا أطاعوا الله كلهم لم ينتفع الله تعالى بطاعتهم، ولو عصوه وأطبقوا جميعًا على معصيته لم يتضرر رب العالمين، كما في نفس الحديث: «**لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا**». ما ينتفع رب العالمين بعبادة العباد: «**يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا**». ما يتضرر رب العالمين لا بمعصية العصاة، ولا ينتفع بطاعة الطائعين.

فخلق الخلق سبحانه لحكمة، وهو أن يعبدوه كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦] . ما خلقهم تعالى محتاجًا إليهم حاشاه من ذلك.

قوله: (**رَازِقٌ بِلَا مُؤْنَة**)، والمؤنة: هي الثقل والكَلفة، فهو يرزق عباده سبحانه وتعالى ولا يتكلف، أما العباد، فإنهم إذا سعوا في رزقهم، فإنهم يتكلفون، ويجدون الثقل، ويحسبون الحسابات، ويُقدرون التقدير، فالله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، فعطاؤه كلام كما في الحديث، يقول: «كن فيكون» عطاؤه سبحانه وتعالى. فهو عزَّ اسمه يرزق العباد دونَ أن يكون هناك عليه كلفةٌ سبحانه عن ذلك علوًا كبيرًا.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ.

قال الشّارح وفّقه الله:

يُميت العباد سبحانه وتعالى كما أنه يُحييهم، يُميتهم بلا مخافة، فهو عز اسمه كما في سورة الشمس لما ذكر إهلاك ثمود، قال: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس:١٥]. فيُهلك العباد ولا يخاف سبحانه وتعالى، قد يُميت بعض الناس بعضًا، ويقتل بعضهم بعضًا خوفًا منه، الرب تعالى يُميت العباد ولا يخاف سبحانه وبحمده، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس:١٥]. إذا قتل أحدٌ أحدًا فقد يتشوف، ويتخوف ويحسب الحسابات، وربما فر من الموضع الذي هو فيه، لأنه حين قتل هذا الإنسان كان الذعر والخوف قد تملكه.

أما الله تعالى فيُميت بلا مخافة، ولا يخشى من عاقبه، تترتب على إماتته لأحد.

قال: (بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ). يبعث هؤلاء العباد سبحانه وتعالى جميعًا: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات:١٤]. فلا مشقة عليه في ذلك سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

هل الموت صفة وجودية أو عدمية؟ لاشك أنه صفة وجودية، قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢].

بخلاف ما قالت الزنادقة من الفلاسفة، فإن الموت صفة عدمية لا صفة وجودية، وقد ثبت أن الموت يُذبح كما في الحديث الصحيح أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة، وأن أهل النار إذا دخلوا النار واستقر الفريقان استقرارًا تامًا، وذلك والله أعلم يكون بعد خروج أهل الكبائر، إذا خرج أهل الكبائر من النار، وصاروا إلى الجنة وتمحض الفريقان: فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في السعير، يؤتى بالموت في صورة كبش، فيُقال: يا أهل الجنة فيشرئبون. ويُقال: يا أهل النار فيشرئبون، فيُقال: هل تعرفون هذا؟» وهو الموت. «فيقولون: نعم. يقول ﷺ: وكلهم قد رآه» كلهم ماتوا، «فيُذبح» فالذي يُذبح الموت، وليس ملك الموت كما يقع عند العامة، يظنون أن

الذي يُذبح هو ملك الموت، وعندهم أمثال في هذا أن ملك الموت يذوق الموت، هو من جهة ذوق الموت كلٌ سيموت، حتى الملائكة، لكن المقصود بذبح الموت ذبح الموت نفسه؛ لأنه موجود بإذن الله ﷻ، فإذا ذُبح عَلم أهل الجنة الخلود المطلق، وعلم أهل النار الخلود المطلق، لأن أهل النار يتمنون الموت: ﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ**﴾ [الزخرف:٧٧] يريدون الموت، فإذا رأوا الموت قد ذُبح علموا علمًا تامًا قطعيًا أن لا خروج من النار.

إذًا فالموت صفة وجودية وليس صفة عدمية، فالله تعالى هو الذي يخلق الحياة، ويخلق الموت.

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَاتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا.

قال الشّارح وفّقه الله:

يُريد هنا أن الرب تعالى متصفٌ بصفات الكمال، وأنه لا يُقال: إن الله تعالى توجد صفة من صفات الكمال لن تتحقق هل إلا لاحقًا، بل هو المتصف بصفات الكمال عز اسمه أزلًا وأبدًا، في القديم وعلى الاستمرار، فهو متصفٌ بصفات الكمال، لا يُقالُ: إن الله تعالى لم يتصفْ بصفةٍ من صفات الكمال، إلا لاحقًا، بل الله مُتصفٌ بالصفات سبحانه وتعالى صفات الكمال عزَّ اسمه، والصفات يقسمُها الذين يتحدثوا فيها إلى **قسمين**:

صفاتٌ ذاتية، وإذا قيل: صفات ذاتية؛ هي التي تكون ملازمة لذات الله كالعلم، والحياة، والقدرة، ونحو ذلك، فهو لم يزل ولا يزال متصفًا بها سبحانه وتعالى.

وهناك صفات يسمونها الصفات الاختيارية: وهي التي تكون حسْب مشيئته، فإذا شاء اتصف بها كنزوله ﷻ، في الثُّلُثْ الأخير من الليل تحديدًا، لأن هذا راجعٌ إلى مشيئته سبحانه وتعالى، فهذا هو المراد أنه تبارك وتعالى تُثبت له الصفات جميعًا، ولا يُقال: إن الله تعالى لم يتصف بوصف كمال، كان مسلوبًا منه حاشاه تعالى، ثم اتصف به، وهذا هو مراده رَحِمَهُ اللَّهُ إن كان العبارة كان ينبغي أن تكون أكثر تدقيقًا الحقيقة، لأن مثل هذه العبارات أيضًا مما دخل من خلاله الشراح الذين أرادوا الإبطال على الطحاوي من خلالها، لكن هي من حيث ما وجَّه الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى معروف مراد الطحاوي بها أن الله تعالى مُتصفٌ بصفات الكمال قبل أن يخلق الخلق، ما يُقال: إن الله تعالى اتصف بصفات الكمال بعد أن خلق الخلق، فإن الله تعالى خلق الخلق في وقت، وهو تعالى قبل الجميع سبحانه وتعالى، وهو متصف بهذه الصفات قبل أن يخلقهم، ولا يُقال: إنه صارت له صفات الكمال بعد أن خلقهم -معاذ الله

من ذلك- وهذا هو مراده لما قال: (**مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَاتِهِ**). لأن له صفات الكمال، عز اسمه قبل خلقهم.

(**وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا**). يعني أنه تبارك وتعالى متصف بالصفات الكمال دائمًا وهو كذلك إلى ما لا حد له متصفٌ بهذه الصفات ﷻ.

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لَيْسَ بعدَ خَلْقِ الْخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ، وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْبَارِئِ.

قال الشّارح وفّقه الله:

مُراده أن الله تعالى يُسمى بالخالق قبل خلقه الخلق، فهذا الاسم العظيم له تعالى، وهو مستحقٌّ له تبارك وتعالى، ولا يُقال: إنه استحق هذا الاسم بعد أن خلق الخلق، وهكذا اسمه الباري لا يُقال: إنه استحق هذا الاسم بعد أن برأ البرية، بل هو سبحانه وتعالى له هذه الأسماء، قبلَ خلق الخلق، وقبل إحداث البرية.

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الْخَالِقِيَّةِ وَلَا مَخْلُوقَ.

وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَ مَا أَحْيَا، اسْتَحَقَّ هَذَا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ، ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ؛ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

❊❊❊

قال الشّارح وفّقه الله:

أي أن الله موصوف بأنه الرب قبل أن يوجد المربوب المخلوق، وموصوفٌ بأنه الخالق سبحانه وتعالى قبلَ أن توجد المخلوقات، هذا هو المراد يعني إتمام لما تقدم أن له معنى الربوبية، وإن لم يوجد مربوب يربُّه سبحانه.

وهو الخالق سبحانه وتعالى وإن لم يوجد مخلوقٌ؛ أي أن هذه أسماؤه تبارك وتعالى قبل خلق الخلق.

وقوله: (وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَ مَا أَحْيَا) وإحياءا لموتى الإحياء العام الذي يكون في القيامة لاشك أن هذا لم يقع، وإنما يقع الإحياء العام ببعث الخلائق.

يقول: ومع ذلك فهو مستحق لاسم المحيي سبحانه وتعالى، فهو محي الموتى قبل أن يُحييهم، هذا مراده، فكما أنه هو محيي الموتى بعدما يُحييهم، فهو مستحقٌ لهذا الاسم وهو محيي الموتى قبل إحياءهم يقول: كذلك الحال في اسم الخالق هو الخالق قبل إنشائهم سبحانه وتعالى.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ؛ لا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

قال الشّارح وفّقه الله:

قوله: (ذَلِكَ) إشارة إلى ما تقدم من جهة استحقاقه تعالى هذه الأوصاف، وهذه الأسماء، لأنه على كل شيء قدير، أن الله تعالى على كل شيء قدير سبحانه وبحمده، وأن كل شيءٍ إلى الله فهو مفتقرٌ إلى الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]

.

وقوله: (وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ) ولهذا قال تعالى في أكثر من موطن مثل إنشاء الخلق، تقدير القدر: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢]. أمر الخلائق كلها يسير أن تُبعث جميعًا، وكون الله ﷻ قدَّر المقادير ما تقع من أدنى في الأمور أو كبارها إلا في كتاب عند رب العالمين إن ذلك على الله يسير، وهكذا الخلائق يُحييها سبحانه وتعالى ويبين أن ذلك عليه يسير لا يحتاج إلى شيء، فالله تعالى غير محتاج، بل كل شيء فهو محتاجٌ إلى الله تعالى، ثم ختم بالآية العامة: (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]) كل هذه الأمور، لأن الله تعالى لا يُماثله شيء، أما ما سوى الله فإنه ليس على كل شيء قدير قطعًا، وإنما يقدِرُ على أمور دون أمور، ولاشك أنه مفتقر، الجميع مفتقرون إلى الله، وقد يفتقر الخلائق بعضهم إلى بعض، ولاشك أن ثمة أمورًا تعسُر على الناس يعجزون عنها عجزًا تامًا، ولهذا قال: (وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ). قال: (لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ)، وكل من سوى الله فهو يحتاج: (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾). الجامع لهذه الأمور العظام: أن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ، وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا، وَضَرَبَ لَهُمْ آجالًا.

وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ. وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِقُدْرَتِهِ، وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ؛ لَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ؛ فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

۞

قال الشّارح وفّقه الله:

بدأ في الكلام على ما يتعلق بالمخلوقين أن الله تعالى خلقهم، وأوجدهم، وأنشأهم بعلمه سبحانه وتعالى على الحال، خلقهم بعلمه أي خلقهم عالمًا بهم سبحانه وتعالى، وقدَّر لهم أقدارًا، هؤلاء الخلائق قدَّر لها أقدارًا حتى مثل هذه الدواب الصغيرة التي في جحورها، هذه لها أقدار معينة، قدرها سبحانه وتعالى من أرزاقها: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود:٦] . سبحان الله العظيم! إذا نظرت إلى هذه النملة، أو هذه الذرة الصغيرة، وهي تمضي، هذه قد علم سبحانه رزقها، وعلم المستقر الذي تستقر إليه، وعلم سبحانه وتعالى أمر فنائها، ورزقها عليه سبحانه وبحمده، فقدَّر تعالى هذه الأقدار، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

قال: (وَضَرَبَ لَهُمْ آجالًا)؛ أي أنه قدَّر آجالًا لهذه الخلائق، إذا جاء أجل المخلوق؛ فإنه لا يستأخر ساعةً عن هذا الأجر ولا يستقدم، وإنما أجلٌ محدد جعله الله تعالى له ينتهي عنده.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ. وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ).

لم يخف على الله تَعَالَى شيءٌ؛ لكمال علمه سبحانه وتعالى قبلَ أن يخلق هؤلاء الخلائق، وقد علم ما الخلائق عاملون قبل أن يعملوا، وقبل أن يُخلقوا، قد عَلم سبحانه وتعالى من

الخلائق أن هؤلاء سيعملون بعمل أهل الجنة، وأولئك سيعملون بعمل أهل النار، وعلم أعمالهم كلها قبل أن يعملوا، وقبل أن يُخلقوا، فعلمه تَعَالَى سابق.

وبه يُعلم أن علم الله تَعَالَى شاملٌ لما كان -يعني في السابق- وما يكون في الحاضر، وما سيكون في المستقبل، بل يعلم سبحانه وتعالى الأمر الذي لم يكن، لو أنه كان كيف يكون، كما في قوله تَعَالَى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنعام:٢٧].

قال تعالى بيانًا لبطلان كلامهم، وأنهم لو حُقق لهم هذا الذي حُقق لعادوا إلى نفس الشر الذي كانوا فيه: ﴿**بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا**﴾ [الأنعام:٢٨]. فعلم تعالى الأمر الذي لا يكون، لو أنه كان كيف يكون، ومنه هذه الآية: ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا**﴾ [الأنعام:٢٨]. مع أنهم لم يُردوا، لكن الله يعلم أنهم لو رُدوا وهم لن يردوا، يعلم أنهم لو رُدوا لعادوا إلى ما كانوا عليه من الشرك والفساد.

قال: (**وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ**). ذكر الأمر والنهي بعد ذِكر الخلق والقدر، إشارة إلى أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته، كما في قوله: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦]. فالله تعالى خلق الخلائق ليعبدوه، وتحقيقهم لعبادته سبحانه وتعالى بأن يؤدوا ما أمرهم به، وأن يكفوا عن معصيته، وأعظم ما أمرهم به التوحيد، وأعظم ما نهاهم عنه الشرك، وهكذا يلتزمون بقية أوامره، ويجتنبون بقية نواهيه.

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِقُدْرَتِهِ، وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ؛ لَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ؛ فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

قال الشّارح وفّقه الله:

نعم للعبد مشيئة، وهذه المشيئة هي التي بناءً عليها والمقدرة يُحاسب ويُعاقب، قال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير:٢٨] . فأثبت للعبد المشيئة. لكن هذه المشيئة لا يُمكن أن تنفُذ إلا إذا شاء الله، فلا يُمكن أن يتحقق للعبد أمرٌ من الخير أو الشر إلا إذا شاء الله له ذلك، ولهذا يشاء العباد أمورًا، ويُحكِمون التخطيط لها، ويُعدِّون الإعداد التام لها، ولكنها لا تتحقق، لأن الله لم يشأ ذلك ، كما قال الشاعر:

فما شئت كان وإن لم أشأ وما شِئت إن لم تشأ لم يكن

وهذا أمر يُدركه الإنسان من حياته في مواضع موطن عِبرة، يُقدِّر الإنسان الأمر المعين، ويُخطط له، ويُحدد يومًا وساعةً لأمرٍ سينفِذُهُ، ولا يبقى شيء من الأمور يكون قد قصَّر فيها، فتأتي مشيئة الله لترد مشيئة العبد، ولأجل ذلك العبد في مثل هذه الحالة إذا آتاه الله تعالى التوفيق رضي بقدر الله تعالى، وعَلِم أن ما اختاره الله خيرٌ مما كان قد اختاره لنفسه. أما ما سواه فالعبد الجاهل يضل يلوم، ويتسخط، كون الله يمنعك من أمر قد أعددت له هذا الإعداد الكثير ينبغي أن تُحسن بالله تعالى الظن، وأن الله تعالى صرفك عنه لخير لك في دينك أو دُنياك، فقد يُرتب الإنسان سفرًا، ويُعد له غاية الإعداد، ثم يشاء الله تعالى ألا يتيسر له أمر السفر، لأن مشيئة العبد لا يمكن أن تتحقق إلا إذا شاء الله تعالى له ذلك، فلأجل ذلك قال في مثل هذا الموطن بيانًا لكون مشيئة الله تعالى هي التي تنفذ، وأن مشيئة العباد يسعون فيها، ويُخططون ما شاؤوا، لكن لا يُمكن أن تنفذ إلا مشيئة الله، فإذا شاء الله لك تمت مشيئتك، وإذا لم يشأ، رُدتك مشيئتك كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير:٢٩] . فكل شيءٍ يجري بتقديره سبحانه وتعالى، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فالعباد

لهم مشيئة، ولكن لا يُمكن أن تتم مشيئة العباد إلا إذا شاء الله، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن.

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدْلًا، وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ.

قال الشّارح وفّقه الله:

من أراد الله تعالى هدايته، فذلك فضلٌ منه ومِنَّة وكرم، ولهذا أهل الجنة إذا دخلوها قالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. فالفضل لله ﷻ، هو الذي هدى العبد للعمل الصالح، ثم فضله تعالى أن قَبِلَ العمل الصالح، لأن العمل الصالح قد تعمله، لكن الكلام على قبول الله، هل قبله الله أو لا، حتى لو عملت، هذا العمل موقوف على القَبُول، والله تعالى يقول: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة:٢٧] . فلابد أن يتقبله الله، أما إذا لم يتقبله الله، فلن تنتفع، ثم إذا تقبله الله تبارك وتعالى، فإنه إن شكر فعلك دخلت الجنة، معنى شُكر الله تعالى لفعلك: أن يُجازيك أكثرَ مما تستحق في العمل، لأن العمل لا يُمكن أن يكون مُقابلًا للجنة، كما في الحديث: «**واعلموا أنه لن يدخل أحدٌ منكم الجنة**». أو قال: «لن يدخل أحدٌ منكم الجنة بعمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا. إلا أن يتغمدني الله برحمةٍ منه وفضل». مع أن النبي ﷺ أزكى الناس عملًا، ومع أن جميع أعمال الأمة، جميع أجور الأمة مكتوبة لرسول الله ﷺ منها، لأنه الذي دل الأمة على هذا الهدى، ومع ذلك فكل هذا العمل الهائل العظيم، من رسول الله ﷺ، وهذه الأجور الكثيرة المكتوبة له لا يُمكن أن تكون عِدلًا للجنة، ما يُمكن أن يكون العمل عِدلًا للجنة، فلأجل ذلك العبد بحاجةٍ إلى فضل الله أولًا ليعينه على نفسه حتى يُستعمل في طاعة الله، ثم هو بحاجةٍ إلى فضل الله، ليتقبل منه العمل، ثم هو بحاجةٍ إلى ألا يجعل الله تعالى العبد موكولًا إلى عمله، حتى لو صام النهار وقام الليل، واعتزل في رأس جبل لا يؤذي أحدًا ولا يؤذيه أحد، لا يُمكن أن يكون هذا العمل مُقابلًا تدخل به الجنة، فلأجل ذلك العبد بحاجة إلى فضل الله في هذا كله، فمن هداه فذلك لفضله تعالى وإحسانه ومنته وكرمه، ومن أضله الله، ولم يهده، فالله لا يظلم أحدًا، ما أضله

الله إلا لأن هذا العبد مستحقٌ للإضلال، والله تعالى يقول: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣] . ويقول تبارك وتعالى في الهلكى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٣]. فالله يخذل من يشاء ويُضله، لأن هذا العبد غيرُ أهلٍ للهداية، قال الله تعالى: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤] قال أهل العلم: وكذلك هو أعلمُ حيث يجعلُ هدايته، فهو لا يهدي أي أحد، فالهداية فضل كبير من رب العالمين، ومِنَّة هي أعظم منَّة على الإطلاق، وأكبر فضل على الإطلاق، ولو عاش الإنسان فقيرًا مريضًا خائفًا حياته كلها حتى لقي الله في حال من البؤس والشقاء والخوف، ولقي الله على الهُدى فإنه في مِنَّة ونعمة من الله وفضل لا يُمكن أن يُقارن بحال من كانوا على أثرى ما يكون في حياتهم، وعلى أصح ما يكون، ثم يهلك الواحد منهم، فيكون من جُثي جهنم.

فالفضل لله ﷻ، والمِنة له، وهذا يُعطي الرجل المتدين، وطالب العلم فائدة الافتقار لله في أن يثبته بالقول الثابت، وألا يزيغه في هؤلاء الزائغين، الذين عَلموا الحق، وعرفوه، وتبين لهم الباطل وتنكبَّوه، ثم إنهم عادوا عن الحق وركبوا الباطل، رأي عين، فيسأل العبد ربه أن يُثبته، وألا يزيغه مع الزائغين، لأن هذه المنة هي أجل ما منَّ الله تعالى به على عباده، أعظم من الصحة، وأعظم من الأمن، وأعظم من الثراء، وأعظم من كل شيء، لأن هذا فضل من الله ﷻ، وهذا الفضل لن ينفعَك إلا إذا ثبت عليه حتى لقيت الله تعالى به، كما في الحديث: «**إنما الأعمال بالخواتيم**». فإذا خُتم للعبد بهذا لَقِيَ الله تعالى وهو من السعداء، أما إن ضل فإنه لو ضل في آخر حياته لو بقي ساعةً واحدة على ضلال، فإنه يلقى الله عز جل بهذا الذي خُتم به، وهذا يُعطي العبد الافتقار، ويُعطي صاحب الدين الخوف على تدينه، وألا يجعل تدينه عُرضةً للزيغ، كما حصل لأُناس اقتحموا الشبهات، اقتحموا الضلالات، بحثوا عنها، اشتروا كتبها، تابعوا قنواتها، حتى هلكوا، وضلوا، وقد نُهوا عن أن يُعرضوا دينهم لهذا، إذا كان الإنسان يحرص على سلامة بدنه، وسلامة حياته، من قُطاع الطريق، وممن قد يضرونه، فكيف يكون دينه بهذا الرخص، أن يُعرض دينه لهذه الشبهات التي أهلكت من أهلكت،

وأضلت من أضلت، حتى تجد من زاغوا -نعوذ بالله- يتحدث عن سابق فترة تدينه، وكأنه قد اهتدى من ضلال، تحدث عن ما كان عليه، كنا في فترة سابقة نفعل ونفعل سبحان الله، انظر كيف الزيغ، يعني كما أن الإنسان بعدما خرج من الفواحش، وشُرب الخمور، والفساد، إلى الهداية، قُل أحمد الله وأثني عليه على ما خلصني من تلك البلايا، هذا الذي انتكس يتحدث عن نعمة الله تعالى عليه حين كان يقومُ، وحين كان يصوم، وحين كان ملازمًا للسنة، يتحدث كأنه هُدي، كأنه تخلص، إذا انتكس الإنسان لا تعجب من أي مقالةٍ يقولها، قد سمعت من حال هؤلاء المُنتكسين -نعوذ بالله من الزيغ- كيف أن الواحد منهم يتحدث كأنه قد فُك من رباط، كأنه كان على حالٍ من التيه والضياع، ثم اهتدى، اهتدى إلى المذاهب العَفِنة، القَذِرة، من ليبرالية، أو وجودية، أو عموم هذه العفانات العلمانية، وصار الواحد منهم يتحدث عن نفسه وكأنه قد اهتدى، كالذي كان ضالًا ثم اهتدى، يتحدث عن سابق عهده ويسخر من حاله السابق، وممن كانوا مستقيمين لا يزالون على ما هم عليه، هذا لما يُقال: إن الأمر لله ﷻ، الإنسان يفتقر إلى ربه سبحانه وتعالى حتى لا يضل:

يُقضى على الأمر في أيام محنته حتى يَرى حسنًا ما ليس بالحسنِ

والله تعالى يقول: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر:٨] . هو يرى الآن أنه في نعمة وعافية، وأن الحال الذي كان بها حال كان حالًا كئيبًا مرَّ به، وأنه تخلص منه، وأنه في حالٍ من النعمة، أي نعمة، لكن إذا انتكس القلب وضلَّ العبد، رأى السوء حسنًا، ورأى الحسن سوءًا، ولهذا الإنسان بحاجة إلى الافتقار لله ﷻ، الذي تفضل عليه بهذه السنة وبهذا الدِّين أن يثبته بالقول الثابت، وألا يزيغه في الزائغين، لأن الأمر بالهداية فضل، يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلًا، فضل من الله، وهكذا يُثبت هذا الذي عافاه وعصمه وهداه فضلًا، فيسأل الله الهداية والثبات، وألا يزيغه في الزائغين.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ**). إذا هو هداهم، وبين (**عَدْلِهِ**) إذا هو أضلهم، لأنه إذا أضل أحدًا أضله بعدل، وإذا هدى أحدًا هداه بفضل، فالخلق بين فضل وبين

عدل، والله قد نزَّه نفسه عن أدنى الظلم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**﴾ [النساء:٤٠]. وهذه المواضع الحقيقة تعطي طالب العلم فائدة العقيدة علاج حقيقي للقلب، ليس العلاج الحقيقي للقلب أيها الأخوة تراهات الصوفية، وأناشيدهم وخزعبلاتهم، فالعلاج الحقيقي للقلب هو معرفةُ الله تعالى، ومعرفة أن الأمور والفضائل منه سبحانه وتعالى، وأن حفظ هذه الفضائل، وتثبيتها منه. فيلجأ العبد إلى الله تعالى في صلاح قلبه وصلاح حاله، وتثبيته بالقول الثابت، كما أن الله منَّ عليه أن يُثبته حتى يلقى الله ﷻ على هذا الحال، ولهذا الأمر كله راجع إلى فضل الله تعالى، وإلى كون الإنسان يستحضر افتقاره إلى رب العالمين سبحانه وتعالى، وحاجته إلى أن يثبته على ما هو عليه، وألا يمشي بقدميه، ويسعى إلى الضلال والتيه، ثم يقول: ما الذي بدا لي، ما الذي غيَّر قلبي؟ أنت الذي غيَّرت قلبك، وتسببت، والله تَعَالَى قد يُعاقب العبد عقوبةً أعظم من عقوبات الأبدان، وهي عقوبة القلب، قال ﷺ: «**من سمع بالدجال، فلينأ عنه**». دجال أعور العين اليمنى كذاب، يقول: إني نبي في البداية، ثم يقول: أنا ربكم، يأكل ويشرب، ويتخلى وينام، ومع ذلك يتابعه من لا يُحصيهم إلا الله. يقول ﷺ في هذا الدجال الذي قد كُتب في وجهه أنه كافرٌ، وأعور عين اليمنى: «**من سمع بالدجاء فلينأ عنه، فإن الرجل يأتيه يحسب أنه يؤمن، ثم ما يلبث أن يتبعه لما معه من الشبهات**». أو كما قال ﷺ. مع أنه دجال كذاب، يقول: أنا ربكم وهو أعور، وقد جعل الله تعالى هذا العور علامةً على أنه مخلوقٌ مربوب، لأجل ذلك عوُّرت عينه ولم يستطع فِعل شيء، ولهذا قال ﷺ: «**إن ربكم ليس بأعور**». ومع ذلك يتبعه العدد الهائل، فهؤلاء الذين اقتحموا الشبهات، ودخلوا في هذا التيه، وضلوا هم الذين سعوا بأقدامهم إلى إهلاك أنفسهم، وقد خالفوا ما أوجب الله تعالى عليهم من عدم اقتحام الشبهات، فلما وقعوا فيما وقعوا فيه صارت العاقبة ما رأيت، وصار الأمر سعة أُفق، للاطلاع على ما عند غيري، تطلع على ما عند غيرك، وأنت كما قال الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ما عندك سلاح حتى إن بعض من ضل، نعوذ بالله من الزيغ، ضلوا سبحان الله على يد أُناسٍ من أتفه وأقل الناس درايةً حتى بالمذاهب

الوضعية الحديثة. ليس عندهم أدنى معرفة بها، وإن كانوا يُكثرون الانتساب إليها، ما يفهمونها، إنما هي مجرد صيحات يصيحونها، لكن لا يعرفونها، ثم ضل هؤلاء على أيديهم، وزعموا أن الاعتدال الحقيقي هو في الانفلات من هذا التدين، وسموا ما هم فيه هو الاعتدال.

الذي ينبغي على العبد أن يستحضر اللجوء لله، والافتقار إلى الله، وألا يسعى إلا إضلال نفسه، وإزاغةِ قلبه بالدخول في مثل هذه المتاهات، وإلا فإنه يجِدُ الجزاء الوفاق على ما فَعَلَ بنفسه.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ**:**

وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ؛ لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ.

قال الشّارح وفّقه الله:

متعالٌ سبحانه وتعالى عن الأضداد، الضد هو المخالف.

والأنداد: واحدها النِّد وهو المِثل، فهو تعالى يتعالى عن ضدٍ يخالفه تبارك وتعالى، ويكون لمخالفته شأنٌ، الذي يُخالف الله يضر نفسه، أما أن يكون في مقام أن يضر الله، فالله تعالى لا يُمكن أن يضره مخلوق، وهو تعالى أيضًا متعالٍ عن الأنداد أن يكون له مِثل سبحانه وتعالى عن ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:٤] . لا راد لقضائه، ولا لمعقب لحكمه، إذا الله تعالى قضى قضاءً فإنه لا يُرد، كما في الحديث: «إني إذا قضيت قضاءً، فإنه لا يُرد». وإذا قضى الله تعالى الأمر وقع وتحقق.

(وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ). قال الطبري في قوله تعالى: (وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ) أي لا راد لحكمه، والمعقِّب: هو الذي يكرُّ على الشيء.

وأرجعها البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿**لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ**﴾[الرعد:٤١]. بقوله: (لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ). ولا ناقض لحكمه، فليس يتعقب حكم الله تعالى أحد بنقصٍ أو تغيير.

قوله: (وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ). الله تعالى يقول: ﴿**وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف:٢١] . يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ**﴾ [الطلاق:٣] . فالله تعالى أمره هو الذي يغلب، ولذلك جاء أن كعب بن مالك رضي الله عنه عيَّر كفار قريش بقوله:

زعمَت سُخينةَ أن ستغلب ربَّها   وليُغلبن مُغالب الغلَّاب

وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**لقد شكرك الله يا كعبُ، على قولك هذا**». قول عظيم سُخينة يا قريش، يعني كانت العرب تُعيرها بسخينة، وهذا قطعًا قبل أن تُسلم قريش، فكان يذمها، ويقول:

زعمَت سُخينةَ أن ستغلب ربَّها   وليُغلبن مُغالب الغلَّاب

الذي يُغالب الله تَعَالَى هو الذي سيغلب، إذ لا غالب لأمره تَعَالَى ولا راد لقضائه.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى.

، وَأَنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكُلُّ دَعْوَى النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ فَغَيٌّ وَهَوَى، وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ وَكَافَّةِ الْوَرَى بِالْحَقِّ وَالْهُدَى، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ.

﴿﴾

قال الشّارح وفّقه الله:

نؤمن بهذا إيمانًا تامًا، ونؤمن به اليقين الذي لا يتزعزع، وأن الأمور لله تبارك وتعالى، وأن كل شيءٍ من عند رب العالمين، وختم بذلك الكلام على القسم الأول المرتبط بالرب سبحانه وتعالى من جهة توحيده، ومن جهة ما يوصف به، ثم يأتي الكلام على شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ.

ثم ذكر ما يتعلق بنبينا محمدٌ ﷺ، وأنه عبدٌ ونبيٌ ورسول. عبْدٌ كما سماه الله تبارك وتعالى في أكثر من موضع: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ**﴾ [الإسراء:١] . وقوله: ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ**﴾ [الجن:١٩] . وقوله: ﴿**أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾ [الزمر:٣٦] . إلى غير ذلك من المواضع.

وأنه نبي الله ورسوله، فهو نبيٌ رسول ﷺ، تكلم أهل العلم عن الفرق بين النبي والرسول، كثيرٌ منهم يقول: النبي من بُعث إلى من أوحي إليه بشرعٍ، لكن لم يؤمَر بتبليغه.

والرسول: من أوحي إليه بشرعٍ، وأُمِر بتبليغه. فالفارق عندهم هو التبليغ، فإن بلَّغ فهو رسول، وإن أوحي إليه بشرعٍ، لكن ما أُمِرَ بتبليغه فهو نبي، يعني نُبىء، أُخبر، فجاءت النبوة، لكن لم يؤمر بالبلاغ، فإذا أُرْسِلَ إذا أُمر بالبلاغ فقد أُرسل، طُلب منه أن يذهب إلى قوم، فإنه يكون رسولًا.

والذي يظهر -والله أعلم- أن الفرق بينهما كما حرره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في «كتاب النبوات» النبي والرسول لابد أن يُبعثا، لابد أن يُرسلا، يعني هذا الذي أُنبئ أُنبئ ليبلغ، فجعل الضابط أن هذا يُبلغ، وذاك لا يُبلِّغ، الصواب إن شاء الله أن النبي يُرسل كما أن الرسول

يُرسل، واستدل رَحِمَهُ اللهُ بقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ**﴾ [الحج:٥٢] . قال رَحِمَهُ اللهُ: فذكر إرسالًا يعُم النوعين. فبين بذلك أن الرسول يُرسل، وأن النبي يُرسل أيضًا، والفارق يقول رَحِمَهُ اللهُ: أن الرسول يُبعث إلى مخالفين كُفار. أما النبي: فإنه يُبعث إلى مؤمنين، فيكون بمثابة المُجدد لرسالة من قبله، قال: وعلى ذلك أنبياء بني إسرائيل، واستدل بقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ**﴾ [المائدة:٤٤]. قال: التوراة أُنزلت على موسى، وموسى قطعًا رسول، مع ذلك فالنبيون يحكمون بالتوراة، لأن أنبياء بني إسرائيل بعد موسى تابعون لموسى، لأنهم كانوا يُبعثون في بني إسرائيل، يقول: فيكون النبي بمثابة المُجدد لرسالة الرسول قبله، فالضابط أن يكون الرسول مبعوثًا إلى كفار، فمحمدٌ ﷺ سيد الرسل بُعث إلى كفار، موسى بُعِثَ إلى كفار، عيسى بُعث إلى كفار، قال: (فيكون هؤلاء من الرسل)، وهكذا إبراهيم ونوح، يقول: أما أنبياء بني إسرائيل، فإنه يُطلق على الواحد منهم النبي لأنه مبعوثٌ إلى مؤمنين، يقول: هذا هو الفارق بينهم.

واشترط بعض أهل العلم أن الفارق أن يأتي الرسول برسالةٍ جديدة، والنبي يكون تابعًا لمن قبله. يقول: ليس لازمًا، فإن يوسف رسول، لأنه بُعث إلى كفار، ومع ذلك كان على شرع إبراهيم: ﴿**وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**﴾ [يوسف:٣٨]. وهذا الذي يظهر -والله أعلم- أنه هو المتحرر، فالنبي ﷺ له وصفُ النبوة، لأن الله أنبأه، وله وصف الرسالة.

أما قوله: (**الْمُصْطَفَى، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى**).

فالاصطفاء والاجتباء والارتضاء متقاربة المعاني كما ذكر الشارح رَحِمَهُ اللهُ.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكُلُّ دَعْوَى النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ فَغَيٌّ وَهَوَى وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ وَكَافَّةِ الْوَرَى بِالْحَقِّ وَالْهُدَى، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ.

قال الشّارح وفّقه الله:

ذكر هنا ما يتعلق بكونه ﷺ يختلف عن جميع الرسل السابقين: بأن الله ختم به النبوة، فلأجل ذلك هو أفضل الأنبياء، فالله عَزَّ وَجَلَّ ختمَ النبوة بأفضل خِتام وهو رسول الله ﷺ، كما قال تَعالَى في شأنه: ﴿**وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ [الأحزاب:٤٠]. فهو خاتم الأنبياء ﷺ، وعليهم أجمعين. ولهذا قال ﷺ: «**وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**».

والعاقب الذي ليس بعده نبي، فهو العاقب ليس بعده نبي بتاتًا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ**). كلُّ من اتبع النبي ﷺ، واقتدى به فهو تقي، فهو يأتي في القيامة ﷺ إمامًا لهؤلاء الأتقياء، المُتقي الذي يتق الله عَزَّ وَجَلَّ، فهو إمامُ الأتقياء سيد الأتقياء ﷺ وإمامهم.

(**وسيد المرسلين**) كما في الحديث: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافعٍ وأول مُشفع». ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم.

فهو سيد الناس أجمعين عليه الصلاة والسلام، ومنهم الرسل هو سيدهم صلوات الله وسلامه عليه، فهذه من الأوصاف التي تكون لرسول الله ﷺ.

قوله: (**وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**). محبةُ رب العالمين للمؤمنين جميعًا: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة:٥٤].

رسول الله ﷺ له أعظمُ أنواع المحبة، وهي الخُلَّة، وهي التي كانت لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿**وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**﴾ [النساء:١٢٥]. وثبت عنه عليه الصلاة والسلام قال: «**إن الله اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا**». فهو ليس مُجرد حبيب لرب العالمين فقط، بل بلغَ مرتبة الخُلة، ولهذا أفضل الأنبياء أجمعين إبراهيم ومحمد صلى الله

عليهما وسلم؛ لأنهما خليلا الله، وأفضلُ الخليلين محمدٌ ﷺ. فلاشك أنه حبيب رب العالمين، لكن التعبير بالخُلة التي هي دالةٌ على أعظم درجات المحبة هو الذي يستحقه ﷺ.

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: (**وَكُلُّ دَعْوَى النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ**). أي أحد يدَّعي أنه قد نُبئ (**فَغَيٌّ**) والغي ضد الرشاد، (**وَهَوَى**) صدر منه من هوى نفسه.

وقد أجمعت الأمة على ختم النبوة بمحمدٍ ﷺ، فمن ادعى النبوة لنفسه، أو صدق من تنبأ فهو كافرٌ بإجماع المسلمين، ولهذا أفتى أهل العلم بكفر الطائفة القاديانية الموجودة في الهند، وفي إفريقيا، وفي بعض البلدان، حين صدقوا المفسد في أرض الله غلام أحمد القادياني الذي زعم أنه نبي، وكان ذلك برعاية أعداء الله من المحتلين البريطانيين، ولا يزالون يرعون هذه الطائفة الخبيثة إلى الآن، فأرادوا أن يوجدوا في المسلمين إشكالًا، فوجدوا هذا الفاجر، فزعمَ أنه أُوحيَ إليه، واجتمع عليه الجَهلة، ودعموه بكل ما يُمكن أن يُدعم حتى انتشر قوله الخبيث، وصدَّقه، ولا يزال يُصدِّقه مجموعة يبلغون الملايين في الهند وفي إفريقيا وفي غيرها.

فهؤلاء ليسوا من المسلمين أصلًا، ولايحل أن يُعدوا ضِمن أعداد المسلمين، ديانة مستقلة، ليس للمسلم فيها أي علاقة، أفتى بهذا أهل العلم، ولاشك أنها مسألة من الوضوح بمكان، شخص يدعي النبوة، ويُصدِّقه هؤلاء الكفرة، فكل من ادَّعى النبوة بعد النبي ﷺ فهو كافر، وكل من صدق مُدعي النبوة فهو كافر بإجماع المسلمين، ما أحد يتردد في هذا.

قال: (**وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ**). جميع الجن والإنس مبعوثٌ إليهم، كما بين ﷻ في سورة الجن: ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ**﴾ [الجن:١] . وقال تعالى: ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ**﴾ [الأحقاف:٢٩]. وقوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي**﴾ [الأحقاف:٣٠].

فالحاصل أنه مبعوثٌ إلى الجن وإلى الإنس قطعًا، ولهذا كان الأنبياء قبله يُبعثون إلى قومهم خاصة: ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا**﴾ [الأعراف:٦٥]. ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ**﴾ [الأعراف:٧٣] يُخاطب قومه.

أما رسول الله ﷺ فأمره تعالى أن يُخاطب الناس: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨] . فهو مرسلٌ إلى جميع الجن والإنس صلوات الله وسلامه عليه.

قوله: (وَكَافَّةِ الْوَرَى). نبه الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى فائدة لغوية: أن (كَافَّةِ) لا تأتي بهذه الصيغة في اللغة، كافَّة تأتي حالًا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ [سبأ:٢٨] . يعني فلا نقول: (**جاء كافةُ الطُّلاب**) نقول: (جاء الطُّلاب كافَّة) من باب التنبيه إلى أن إطلاق كلمة (**وَكَافَّةِ الْوَرَى**) من ناحية السَّبك اللغوي الأصل أن (**كَافَّةِ**) تُستعمل حالًا.

بعثه الله (**بِالْحَقِّ وَالْهُدَى، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ**). هذا مما سمى الله تَعَالَى ما بعث به نبيه ﷺ: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾ [البقرة:١١٩] . ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ**﴾ [التوبة:٣٣]. وهكذا بعثه الله تعالى بالنور والضياء، يعني أن الله بعث نبيه ﷺ بهذا الخير العظيم.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

وأن [١] القرآن كلام الله، مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا؛ وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ، فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ تَعَالَى وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ؛ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:٢٦]. فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥]. عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ.

وَمَنْ وَصَفَ اللهَ تَعَالَى بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ؛ فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ، وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الْكُفَّارِ انْزَجَرَ، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ.

قال الشّارح وفّقه الله:

تحدث عن الاعتقاد في القرآن، وإن القرآن كلام الله، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ﴾ [التوبة:٦]. فالقرآن هو كلام الله ﷻ.

قوله: (مِنْهُ بَدَا). لأن الله تعالى هو الذي تكلم به ابتداءً سبحانه وتعالى، وسمعه جبريل عليه الصلاة والسلام، ونزل به إلى محمدٍ ﷺ، فالذي هو الذي ابتدأ بالقرآن، تكلم به، هو الذي قال سبحانه وتعالى: ﴿الم . ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١-٢]. والذي قال: ﴿طه . مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه:١-٢]. فهو كلام الله لفظه ومعناه، لهذا قال: (مِنْهُ بَدَا)، لأن الله تعالى هو الذي تكلم به، (بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا). أي أن الله تعالى هو الذي قاله، (وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا). يعني أن الله تعالى بعدما تكلم به قولًا، والمقصود بقوله: (قولًا) الرد على المعتزلة وغيرهم ممن يزعمون أن القرآن لم يبدوا منه تعالى.

ثم أكد هذا بقوله: (قَوْلًا). كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]. أي أن الله تبارك وتعالى قال هذه الألفاظ سبحانه وتعالى، فالقرآن كلام الله بلفظه ومعناه.

---

(١) الصواب: (وإنَّ) وإن محمدًا، وإن القرآن، كلها مقول لما تقدم.

(**وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ**) هذا الموضع مهم جدًا في قوله: (بالحقيقة)، لأن فيه ردًا على الأشاعرة، وعلى الكُلابية جميعًا بجميع طوائفهم، الكُلابية والأشاعرة يقولون: هذا القرآن عبارةٌ عن كلام الله، أو حكايةٌ لكلام الله، ومرادهم أن هذا الذي نقرأه ليس كلام الله، وعندهم اعتقادٌ فاسد أن كلام الله معنىً قائم بالله ﷻ، وأن جبريل هو الذي عبر عن المعنى بهذه الألفاظ، أو عبر به محمد، وبالتالي فهذه الألفاظ ليست من الله، وهذا من أقبح وأخبث الاعتقاد، وهو أدى من اعتقاد المعتزلة، فإن المعتزلة وإن قالوا -قبحهم الله- بخلق القرآن، لكنهم يقولون: هذا القرآن كلام الله، إذا قيل: هذا القرآن ليس كلام الله، ولكنه عبارةٌ عن كلام الله، أو حكايةٌ لكلام الله، فمُقْتَضَى هذا أن هذا الذي نقرأه ليس كلام الله، ولأجل ذلك رَكَّز رَحِمَهُ اللهُ على هذا، فقال: (**وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ**). يعني أن الله تعالى تكلم بالقرآن، وأن هذا القرآن كلام الله لفظه ومعناه من عند الله ﷻ حقيقة من عنده تبارك وتعالى.

وهذا الموضع نفيس -كما قلنا- لأن فيه ردًا على الكلابية وعلى الأشعرية الذين أراد من ضُلَّال هؤلاء أن يشرحوا عقيدةَ أبي جعفر رَحِمَهُ اللهُ تعالى على وفْقِ اعتقادهم، ولا سيما من الألفاظ التي سيأتي كلام عنها الألفاظ المجملة، هذا الموطن مما يرد كلامه.

وكذلك قوله في الغضب والرضا، كما سيأتي أنهم لا يقولون بالعقيدة الصحيحة في الغضب والرضا، فمثل هذه المواطن الموجودة في الطحاوية مفيدة، حتى يُعلم بها صحة اعتقاده رَحِمَهُ اللهُ، وأنه منابذٌ ومباينٌ لهؤلاء الذين يزعمون أن أبا جعفرٍ على مقولتهم.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: (**لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ**)، لأن كلام البرية مخلوق. قال: (**فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ**). وهذا اضحٌ جدًا في إنكاره القول بالعبارة والحكاية.

يقول: من سمع هذا القرآن، وزعمَ أنه كلام البشر، كما يقول من يقولون: إن محمدًا عبَّر عن المعنى القائم بالله، أو حكى المعنى القائم بالله بهذه الألفاظ يقول: (**فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ تَعَالَى وَعَابَهُ، وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ؛ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأُصْلِيهِ**

﴿سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦]). لأن هذه المقالة: (﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥]). كلمة الوليد بن المغيرة، فإنه قال في كتاب الله: (﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥]).

يقول أبو جعفر وأئمة السنة عمومًا: إن من قال بهذا القول يكون في باطله قد شابه قول ذاك الذي قال: (﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥])، بل هذا قول الله، وكلام الله، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ﴾ [التوبة:٦]. هذا كلام الله، إذا قيل: إن كلام الله هو المعنى القائم بالله المعنى لا يُسمع، إنما الذي يُسمع ما يُتلى هذا، فقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ﴾ [التوبة:٦].

يقول الإمام أحمد: كلام من يسمع؟ إذا زعم زاعم أن الكلام هو المعنى، هذا الذي أتى إلينا لسنمعه القرآن، نسمعه كلام الله، فالقرآن كلام الله ﷻ، ولأجل ذلك قال: إن من قال: إن هذا القرآن عبَّر به البشر يعني عبر به محمدٌ ﷺ يقول: فقد (وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ). قال: (فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥]). هكذا بالجر لمن قال، والجادة أن يُقال: فلما وعد الله بسقر مَن قال: (﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥]). علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يُشبه قول البشر، لاشك: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ [الحشر:٢١].

ولأجل أنه كلام الله فإنه ليسَ لك أن تقرأه وأنت جُنُبْ، ولأنه كلام الله، فليس لك أن تمسَّ المصحف وأنت مُتبلس بأحد الحديثين الأكبر أو الأصغر، لأنه كلام الله، ولا يُشبه كلام البشر، معاذ الله أن يُشبه كلام البشر، القرآن العظيم الذي تكلم به رب العالمين كيف يُقال: إنه مثل كلام البشر، فعلمنا بذلك الاعتقاد في القرآن، الاعتقاد في القرآن أن هذا القرآن كلام الله بلفظه ومعناه، وأن الله تعالى تكلم به بصوتٍ مسموع، سمعه جبريل، ونزل به على محمد.

ويُثبت لله تعالى الصوت، كما في الحديث: «**إن الله يُنادي بصوتٍ يسمعه من بعُد، كما يسمعه من قرُب**». وهذا في القيامة.

وفي الحديث: «**أن الله تعالى إذا تكلم بالوحي، أخذت السماوات رعدةٌ، ثم غُشي على الملائكة**» من كلام

الله ﷻ.

فلاشك أن الله تعالى يتكلم، وأن كلامه بصوت سبحانه، وأنه مسموع، فالقرآن كلام الله بلفظه ومعناه، لا كما تقول الكلابية وأضرابهم: إنه المعنى دون اللفظ، وهو غير مخلوقٍ، ومن قال: إنه مخلوقٌ فقد كفر بإجماع أهل السنة، كما هو قول الجهمية والمعتزلة: (بل هو كلام الله تعالى منه بدأ وإليه يعود، منزلٌ غيرُ مخلوق). وهو عين كلام الله، وهذا الذي نقرأه قد سمعه جبريل، فنزل به إلى محمد، ومحمدٌ ﷺ، بلَّغه إلينا، فنحن نقرأ كلام الله، كما قال تعالى: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ﴾ [التوبة:٦]. وهذا كلام الله، ولهذا قال: (فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ). ولا يُشبه قول البشر.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَنْ وَصَفَ اللهَ تَعَالَى بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ). يعني أن من شبَّه الله تعالى بخلقه، فإنه يكفر، ولهذا المُشبهة الذين يقولون: إن الله تعالى صفاته مثل صفات المخلوق، الصحيح أنهم كفار؛ لأنهم ردوا صريح قول الله تعالى: (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾)، فهم يقولون: لله مثل، والله تَعَالَى أعلَم. يقول: (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾)، فإذا أثبتنا لله اليد فلله يد ليست كالأيدي، وإذا أثبتنا لله تعالى العلم، فلله علمٌ ليست كالعلوم التي عند المخلوقين، فهؤلاء يقولون: إن الله مثل البشر عياذًا بالله، فلأجل ذلك قال: (وَمَنْ وَصَفَ اللهَ تَعَالَى بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ؛ فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا) من أبصرَ هذا البصيرة القلبية، (اعْتَبَرَ) وأخذ العبرة، نظر بعين بصيرته، فاعتبر و(انْزَجَرَ) عن أن يقول مثل هذه المقالات الفاسدة التي تقدمت، وعَلم أنه تعالى بصفته ليسَ كالبشر.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢ - ٢٣].

وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى وَعَلِمَهُ؛ وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ الرَّسُولِ اللهِ صَلَّى اللهِ ﷺ، فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ؛ لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا، وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا؛ فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ.

❀❀◈❀❀

قال الشّارح وفّقه الله:

ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى هنا موضوع الرؤية، والمقصود بها: رؤية المؤمنين لربهم تعالى في الجنة، وهذه أطبق أهل السنة والجماعة على أنها حقٌّ، وهي من الشعائر، هناك شيء يُسمى هذه من شعائر أهل السنة، مثل: (**أن الإيمان قولٌ واعتقادٌ وعمل**). وقول: (**أن الرؤية حق**) من شعائر أهل السنة من الأمور الكبار، ولا يُخالف في أن الرؤية حقٌّ إلا الجهمية ومن تأثر بقولهم.

والرؤية تكون لوجه الله عَزَّوَجَلَّ، كما في الحديث الصحيح: «**أسألك لذة النظر إلى وجهك**».

ويرونه عيانًا كما في الحديث: «**إنكم سترون ربكم عيانًا، كما ترون القمر، ليس دونه سحاب**»؛ فهي رؤية بالعين. هذه الرؤية العظيمة اشتد أمرها على المُعطِّلة، لأن المعطلة إن أثبتوا الرؤية فلابد أن يُثبتوا الوجه، لأن الرؤية إلى الوجه، ولهذا لما وُجِدَ عند الأشاعرة المُتقدمين إثباتُ الرؤية، وجاء المتأخرون من بعدهم، تورَّطوا في هذه المسألة، لأن قُدماءهم قد أثبتوا الرؤية، وهم يَنفون الصفات -أعني المتأخرين- ومنها صفة الوجه، مع أن المُتقدمين من الأشاعرة يُثبتون الوجه، فرأوا أنهم إن أثبتوا الرؤية لَزِمَهم إثبات بقية الصفات -وهذا لاشك فيه- لأن الرؤية يُراد بها رؤية وجه الله، فتذبذبوا واضطربوا غاية الاضطراب هنا. وفي الأخير قالوا بقول المعتزلة في تأويل الرؤية، مع أن أوائلهم يُثبتون الرؤية، فالرؤية حقٌّ لأهل الجنة بغير إحاطة، لأن الله تعالى لا يُمكن أن يُحاط به لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهم يرون ربهم من فوقهم سبحانه وتعالى.

ولا نُحدد لها كيفيةً أيضًا، لأن الرؤية من أمور الصفات، والصفات لا نخوض في كيفيتها، فالرؤية حقٌ لأهل الجنة بغير إحاطة، وألا نخوض في الكيفية، لكن لا شك أنها حقيقة، وأن المؤمنين -كما في النصوص- إذا رأوا ربهم سبحانه وتعالى ذهلوا عن نعيم الجنة كله، لأن أعلى وأعظم نعيم الجنة هو رؤية الرب سبحانه وتعالى، ولهذا قال ﷺ: «**وأسألك لذَّة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك**».

ثم قال: (كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا)، فالنصوص الدالة على الرؤية كثيرة في القرآن، كقوله تعالى: (﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢ - ٢٣].).

وروى مسلم أن النبي ﷺ: «قرأ قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] . فقال: «الحسنى: الجنة. والزيادة: النظر إلى وجه الله». وهذا تفسير نبوي صريح؛ لأنه نظر حقيقي بالعين إلى وجه الله ﷻ.

والنصوص الواردة في الرؤية فيما جاء عن النبي ﷺ وفي آثار الصحابة رضي الله عنهم كثيرة جدًا، حتى صُنِّف فيها المصنفات المستقلة، فصنف الدار قطني رحمه الله تعالى فيها مُصنفًا مستقلًا هو «الرؤية».

وساقها علماء السنة الذين يروون بالإسناد كـ«اللالكائي، وابن بطة، وأمثالهم، ساقوا النصوص الدالة على هذا، وجاءت عن نحو من ثلاثين من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، فهي مسألة قد أطبق عليها أهل السنة فلا تردد فيها.

ثم قال رحمه الله: وتفسير هذه الرؤية، على ما أراد الله، لأننا نقول في الرؤية ما قلنا في جميع الصفات: أنها معلومة المعنى، وأنها رؤيا حقيقية، وأنها بالعين، لكننا لا نخوض في كيفيتها، رؤية حقيقية لربهم سبحانه وتعالى، ولأجل ذلك -وهذه من الفوائد العظيمة جدًا الدالة على ضرْب مذهب التفويض الرؤية عند أهل السنة معلوم علمًا قطعًا أنها على حقيقتها.

وقال أهل السنة فيها: «أمروها كما جاءت بلا كيف». وقالوا: نفس هذه الجملة في الصفات فقالوا: «أمروها كما جاءت بلا كيف»، فدل على أن قولهم في الصفات: «**أمروها كما جاءت**

بلا كيف» يعني أمروها على معناها الحقيقي، لأن من المعلوم أن أهل السنة يقولون: إن الرؤية بالعين، وأنها إلى وجه الله حقيقية.

ثم يقول: (**لا تخوضوا في الكيفية**) هذه اللفظة مهمة للغاية؛ لأنها دالةٌ على أن قولَ أهل السنة في الصفات: «أمرُّوها كما جاءت بلا كيف» أن ذلك يعني أن الصفات على حقيقتها، لكن لا تخوضوا في كيفيتها، ولأجل ذلك قالوا هذه الجملة في الصفات، وقالوها في الرؤية.

وتجدوا تفصيل هذا في كتاب اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ حين روى النصوص الكثيرة، اللالكائي جعل في الرؤية سياقين اثنين:

أولًا: فيما جاء من نصوص القرآن، وفيما فسره النبي ﷺ في الأحاديث من نصوص الرؤية، النصوص الواردة التي أوردها أربع آيات في القرآن، وجاء بتفسير النبي ﷺ وتفاسير الصحابة ﭫ.

ثم ذكر سياقًا آخر في الأحاديث الواردة في الرؤية عمومًا، وبوَّب بأنها رؤيةٌ بالأبصار حقيقية، ولهذا يقول السلف: (بالعين) يُرى رب العالمين بالعيون، ولهذا قال تَعَالَى: (﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢ - ٢٣]).

ثم قال: (وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ الرَّسُولِ اللهِ صَلَّى اللهِ ﷺ، فَهُوَ كَمَا قَالَ) يعني نُقره ونثبته (وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ). فلا نُحيل المعنى الذي جاء في النصوص عن معناه الظاهر، بل على ما أراد النبي ﷺ، (لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ)، فلا ندخل في هذه النصوص العظيمة؛ لنحرِّفها، ونصرفها عن معناها الظاهر الجلي، (لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا، وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا)، فلا ندخل الهوى في هذا على سبيل الوهم والظنون.

ثم قال قاعدةً: (فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ ﷻ) لن يسلم أحدٌ في دينه إلا الذي يُسلم لله.

ستأتي أمور لا تُحيط بها، ولن تدركها، تُسلم لله تَعَالَى فيها.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال مرةً بين رجلٍ راكبٌ ظهر بقرةٍ إذ قالت له: «**إنا لم نُخلق لهذا، إنما خُلقنا للحرث**»، قال: فقال الناس: سبحان الله! بقرةٌ تتكلم. فقال ﷺ: «**فإني أؤمن بهذا**

أنا وأبو بكر وعمر، وما هما ثَّم»، يعني وما كانا موجودين في ذلك المجلس. يعني أني أجزم أن أبا بكر وعمر إذا وصلهما هذا الحديث أنهما مباشرةً سيصدقان بهذا، ولن يترددا.

الحقيقة أن أمور الغيب لا يقيسها على أمور الشهادة ذو علمٍ راسخ.

وقد رأى الناس في هذه الأزمنة لا في عالم الغيب، بل في عالم الشهادة، كانت تُعد إلى سنواتٍ قريبة كانت بمثابةِ المُحال، أو بمثابة الخُرافة، من يُصدق أن إنسانًا يأخذ ورقة ويضعها في جهاز، ثم هذه الورقة وهو في موضعه تصل الصين بنفس نسختها، من يُصدق الكلام هذا المعتزلة والفلاسفة القُدامى لو قيل لهم هذا الكلام، سيقولون: هذه خُرافة. من يصدق أن الإنسان يحجز الآن من نجد الساعة السادسة، ويأخذ عُمرةً ويرجع ويصلي الظهر في نفس موضعه، كيف وصل إلى مكة؟ وصل إليها طائرًا في أحد يُصدق أن في إنسان يُطير، يذهب إلى مكة ويرجع في يومه، يطير كأنه صقر، أو كأنه حمامة، اعرض على هذا المعتزلة القُدامى، وعلى الفلاسفة يسخرون منك، هذا الآن في عالم الشهادة الآن تراه، هذه الجوَّالات ترفع جوالك وتتصل بشخص في أقصى الأرض، وتدله وتُبين له، يقول: أنا في مصر، أو في الشام، أو في موضع كذا، دُلني وأنت هنا على الموضع الفلاني، تدله وأنت في موضعك، أحد يُصدق هذا الكلام؟ هذا الآن أمور يتعاطها الناس، ويتعاملون معها في عالم الشهادة، فكيف في عالم الغيب؟! ولذلك عالم الغيب وضعه آخر، يجب التسليم لله ﷻ.

المهم أن يثبت الخبر، فإذا تأكدنا من ثبوت الخبر، فإننا لا نُدخل آراءنا، وأهواءنا في مثل هذه الأمور، المُهم أن يثبت الخبر، فإذا ثبت فكما قال ﷺ: «**فإني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر، وما هما ثَمَّ**» أجزم بهذا جزمًا.

فالحاصل: أن الواجب على العبد أن يُسلم لله تَعَالَى، ولن يَسلم في دينه إلا إذا سلَّم، أما إذا اعترض، وبدأ يورِدُ على كلام الله أو على كلام رسوله ﷺ الإيرادات، وأنه يلزمُ منه كذا، وسيترتب عليه كذا، فإن هذا لا يوفق، وفي أحيانٍ كثيرة يُصاب بانسلاخٍ من دينه.

وقد حدَّثنا بعض مشايخنا عن هذا الذي ارتد -نسأل الله العافية- المسمى بالقصيمي، ذكروا عن الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كان درس معه يقول: كانت فيه البذرة هذه، ونحن ندرس، كان يتمنع على النصوص ونحن ندرس، فكانت بذرة نعوذ بالله فيه موجودة منذُ دراسته، أثمرت في النهاية -والعياذ بالله- انسلاخه وإلحاده.

فمثل هذه الأمور ينبغي أن يحذرها الإنسان، وأن يعلم أن المُهم أن يثبت الخبر، فإذا ثبت الخبر، فإنه لا يدخل في مثل هذه المسائل التي أتته عن الله وعن رسوله ﷺ إلا مُصدقًا ومُسلِّمًا، وإلا قلنا: الآن نحن في عالم الشهادة في وقتنا هذا وضعُنا هذا نحن لو عُرض على كُبراء المعتزلة: عبد الجبار، والزمخشري، أو على كُبراء الفلاسفة الفارابي وابن سيناء، قيل: إن الناس على هذا الوضع، وعلى هذا الحال، فلا يُصدق أحدهم، ونحن في عالم الشهادة، عالم شهدناه الآن نراه، فكيف بعالم الغيب الذي أصلًا لا يُقاس على عالم الشهادة، ولهذا يلحظ طالب العلم أمر التسليم، لأن ثمة أمورًا لم تُدركها الآن؛ لقلة علمك، فإذا آتاك الله بسطةً في العلم اتضحت لك، وهي وإن كانت غير واضحة لك، فهي لغيرك واضحة جدًا، وأنت بنفسك إذا آتاك الله تَعَالَى العلم لاحقًا، وتوسعت فيه، علمت أن ما كنت مترددًا فيه هو الحق، وإنما اعترضت لِقلة علمك.

وهكذا قد يحجب -كما سيأتي- يحجب الله عن الناس أمورًا لاشك هو عالم الغيب سبحانه وتعالى، وتأتي في النصوص والفرق كبير بين **مقامين اثنين**:

فالمقام الأول: مَقام مخالفة العقول، هذا لا يُمكن أن يأتي في النصوص مستحيلًا تامًا أبدًا، لأن الذي ركَّب العقل هو الذي أرسل الرسول ﷺ، فلا يكون في دين الرسول ما يُخالف العقل، الذي قال تَعَالَى: ﴿**فَلا تَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة:٤٤]. هذا لا يكون، لكن يكون في دين الرسل، ما تعجز العقول عن إدراكه، ومنه أخذَ الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ من قوله تَعَالَى: ﴿**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل:٨]. يقول السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا إشارة إلى المراكب التي تطير وتسير لاحقًا، يقول: لأن الله ذكرها مع المراكب

السابقة: الخيل والبغال والحمير، قال في آخر الآية: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٨] ، قال: «ومن شأن القرآن في الأمور التي لا تُعرف أن يأتي بعبارة» هذه العبارة إذا وقَفَ عليها الناس في زمنهم تكون مُطابقة، وتكونُ في زمن من سبق أيضًا عبارة واضحة، فيُدرك الناس لاحقًا أن ثمةَ مركوبات هي بالنسبة لمن قبلنا لا تكاد تتصور، المركوبات محدودة، هي الإبل والخيل، والحمير، ونحوها، وكذلك السفن التي في البِحار، أما أن الإنسان يطير، وأن الإنسان على هذه السيارات يسير بهذه السرعة الشديدة الذي كان يُقطع في شهر كامل صار يُقطع الآن في رُبع أو نص يوم، هذا لا يَكاد يتصور.

يقول: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٨]. في هذا، فشمِل هذه المراكب الطائرة والسائرة، لأجل ذلك يجب أن يُسلِّم العبد لله ﷻ حتى فيما لا يستطيعُ إدراكه، لأنك لو استطعت إدراك كل الوحي صِرت علَّامًا للغيوب، وستظل أمورٌ غيبٌ اختص الله تَعَالَى به، لأنه تَعَالَى من أسمائه: (**عالمُ الغيب**) فإذا كنت لن تُقِر إلا بالذي عَلِمته وتيقنته، ما بقي للعلم بالغيب فائدة، وأنت الآن تؤمن بما يكون في القبور من نعيم وعذاب، وتسأل الله العافية من عذاب القبر مع أنك لو فتحت القبر لأكثر الناس وفتحت قبر أتقى الناس ما وجدتَ فرقًا؛ لأنهما في عالم آخر غير العالم الذي أنت فيه، وإن كنت تدفنهما في الدنيا، الإنسان إذا مات انتهى وضعه من الدنيا، وبدأ في دار البرزخ، دار البرزخ أصلًا مُتصلة بالآخرة غير مُتصلة بالدنيا، لأن البرزخ أول منزلة من منازل الآخرة، فحتى لو فتحته ورأيته بعينك ما وجدتَ عذاب هؤلاء الكفار، ولا وجدت النعيم، ولا وجدت المؤمنين قد فُسح لهم في قبورهم مد البصر، وإنما هو على وضعه، لأن هذا من الأمور المرتبطة بالغيب، وليس مرتبطة بالشهادة، فيُقر العبد بمثل هذه الأمور ويُسلم لله تَعَالَى، ويدعُ عنه أي اعتراضٍ على رب العالمين، فإن هذه بذرة من بذور الإلحاد والزيغ.

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَا مِ؛ فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ.

٭٭٭

قال الشّارح وفّقه الله:

لا يمكن أن تثبت للإنسان قَدم، وأن يكون غير متزعزع، إلا إذا كان مُسلِّمًا لله تَعَالَى مُستسلمًا، (فَمَنْ رَامَ) أي من طلبَ، وأراد (عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ). المحظور عنك هو الغيب قد حُظِر عنك، لا يُمكن أن تصِل إليه، فإذا أردتَ أن تعلم علم الغيب، ولم تقنع بالتسليم الذي أمرك الله به في أمر الغيب حجمه مرامه، حجبه هذا المقصد منه، وهذا المطلب الذي طلبه عن خالص التوحيد.

لهذا فالذي يخوض في الغيبيات على غير الوجه الشرعي تجد عنده خللًا في التوحيد، ويكون عنده في موضع المعرفة بالله ﷻ لا تكون معرفةً صافية، ولا يكون ذا إيمانٍ صحيح، لأنه تسوَّر هذه الأمور التي ليس له أن يتسوَّرها.

وقد تكلم أهل العلم -رحمهم الله تعالى- عن الحال التي تُصيب هؤلاء مما سيأتي في كلامه لاحقًا.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ: الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالْإِقْرَارِ وَالْإِنْكَارِ؛ مُوَسْوَسًا، تَائِهًا، شَاكًّا لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا.

قال الشّارح وفّقه الله:

يقول رَحِمَهُ اللهُ: هذا الذي يدخل في أمور الغيب بغير الطريق الشرعي يقع عنده التذبذب وهو الاضطراب، والتردد، لا هو بالذي كفر وخرج من الملة، ولا هو بالذي بقي على إيمانه، وإنما يتذبذب بين الإيمان وبين الكفر، بين التصديق وبين التكذيب، بين الإقرار بالحق وبين الإنكار له، فيكون حاله موسوسًا، تائهًا في حالٍ من التيه والشك والحيرَة، لا هو بالذي آمن وصدق كالمؤمنين، ولا هو بالذي جحد وخرج من الملة.

وهذا وقع لكثيرٍ من المتكلمين، فإنهم حين خاضوا في الأمور الغيبية العظيمة على الطريق غير الشرعي بغير الطريق الشرعي وقعوا في حيرةٍ عظيمة، ولهذا لا تجد من كبار النظار هؤلاء أحدًا إلا وتجِدُ عنده هذه الحيرة، لأجل ذلك، نقل أهل العلم رحمهم الله من حيرَةِ هؤلاء شيئًا عجيبًا.

من أشهر النُّظار الرازي المُسَمى بالفخر، وقد ألَّف مؤلفاتٍ كثيرة، وخاض في أمور من الغيب هائلة، واقتحم **(باب الصفات)** بطريقةٍ من طُرق الجهمية في إنكارها، ثم في آخر حياته عفا الله عنه ألَّف كتابًا يقول شيخ الإسلام: هو أفضلُ كتبه، سماه «أنواع اللذات» قال فيه:

نهايةُ إقدام العقول عِقالُ ... وأكثر سعي العالمين ضلالُ

وأرواحنا في وحشةٍ من جسومنا ... وحاصل دُنيانا أذى ووبالُ

ولم نستفد من بحثنا طول عُمرنا ... سواءً جمعنا فيه قيل وقالوا

فكم قد رأينا من رجالٍ ودولةٍ ... فباتوا جميعًا مُمحلين وزالوا

وكم من جبالٍ قد عنت شرفاتها ... رجالٌ فزالوا والجبال جبالُ

النصوص جبال، يقول: هذا الذي يصعد الآن فوق الجبل، ما الظاهر منه؟ يقول: هذا فوق الجبل، سيقول: سيزول هذا وسيبقى الجبل يقول: هذه النصوص.

ثم قال: «لقد تأملت الطُّرق الكلامية، والمذاهب الفلسفية، فما وجدتُّها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيتُ أقرب الطُّرق طريقة القرآن» آخر حياته، اكتشف هذا الأمر الذي يكتشفه صبيان أهل السنة، يقول: رأيت في آخر عمري بعد أن خضت في المذاهب الفلسفية والطُّرق الكلامية، وجدتُّ أقرب الطُّرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥]. ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ [فاطر:١٠] . وأقرأ في النفي: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى:١١]. ومن جرَّب مثل تجربتي عرفَ مثل معرفتي».

يُجرب مثل تجربتي، ويعرف كيف خضتُ في هذه الأمور، سيصل في نهاية الأمر إلى هذا، ولهذا أوصى عنده موته بوصية، كتب فيها أنه راجعٌ عن كل ما خالف فيه السلف الصالح، وأبو المعالي الجويني صاحب «الورقات» يقول: «قرأتُ خمسين ألفًا في خمسين ألفًا». يعني قرأت آلاف الصفحات، وركبت البحر الخِضم، وخُضيت في الذي نهاني عنه أهل الإسلام» يعني من علماء السنة، كل ذلك هربًا من التقليد، والآن أقول: إن لم يتداركني الحق، وأموت على عقيدة أمي فالويل لابن الجويني.

وذكروا عجائب من حيرتهم مثل: قول الشهرستاني صاحب الملل والنحل، وهو مُلم بكثير من هذه الأقوال، وهو من الأشاعرة، وله ميل إلى أقوال أخرى أيضًا:

لعمري لقد طُفت المعاهد كلها ... وصيَّرت طرفي بين تلك المعالمِ
فلم أر إلا واضعًا كف حائرٍ ... على ذقنٍ أو قارعًا سن نادمِ

يقول: وجدتهم صنفين: إما حائر، وإما نادم.

وذكروا من هذا أشياء كثيرة الحقيقة، ولهذا قال الجويني -عفا الله عنه- في آخر عمره: «لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ، ما اشتغلت به». إلى غير ذلك من الأمور التي حاروا فيها.

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في آخر «الحموية» عن هؤلاء: «**أُوتوا ذكاءً، وما أُوتوا زكاءً، أُوتوا علومًا، وما أُوتوا فهومًا، أُوتوا سمعًا وأبصارًا وأفئدة، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء**»؛ لأنهم خاضوا في الذي لا يحل الخوض فيه، وندموا، لكن في آخر حياتهم، ولهذا لا تكاد تجد أحدًا من النظار الكبار إلا وندِم، وتأسَّف على خوضه فيما لا يحِلُّ الخوض فيه.

وكان بعضهم يتحدث عن السلف على أنهم بمثابة العامة الذين لا يُدركون الأمور، ومنهم الجويني، ثم في آخر عُمرِهِ لما تكلم عن السلف قال: «**هيهات أن يكون هؤلاء قد تركوا الخوض فيما خاض فيه المتأخرون عن عي**» يعني عن عجز، «**بل هم والله لمن عرفهم أعلم الناس**» يقول: حين تركوا الخوف في تلك الأمور تركوا الخوض فيها عن علم، لأن بعض الأمور الخوض فيها يدل على الجهل، من يخوض فيما لا ينبغي الخوض فيه، هذا يدل على جهله، لا يدل على علمه، إلى غير ذلك من الأمور التي -كأنها والله أعلم- نوع عقوبة، هذا الشخص الذي يخوض في أمور نهاه الله تَعَالَى عن أن يخوض فيها، كأمور الصفات وكيفياتها، ولا يَقنع بالواضح منها، كما قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الاستواء معلوم**» معلوم المعنى، هذا المقصود.

أما الكيفية فمجهولة، ولا يُمكن أن يُحاط بالله تَعَالَى كما قال تَعَالَى: ﴿**وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾ [طه:١١٠].

وقد أشغلت هذه البلايا من المتكلمين أشعريةً وماتريديةً، وجهميةً، ومعتزلةً، وكُلابيةً، أشغلت الناس عن ما ينبغي أن يكون عليه حال المؤمن مع صفات الله، صفات الله شأنها عظيم جدًا، ولها أثر كبير في زرع التقوى في المؤمن، تأملوا هذه الآية: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ**﴾ [البقرة:٢٣٥]. يُنبهك الله قبل أن يأمرك بالحذر أنه يعلمُ ما يدور في نفسك، إذًا عليك الحذر، لأن كل الناس ما يدرون ما الذي في نفسك. يقول: احذر من نظر الله تَعَالَى وعلمه بحالك.

«ينزل ربنا إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر»، بدأوا في الخوض في موضوع النزول، وردوه، وغفلوا عن التعرض لسؤال رب العالمين في الثلث الأخير: «من يسألني فأعطيه، هل من مستغفرٍ فأغفر له» وخاضوا في مثل هذه المسائل التي لا يحل الخوض فيها، وغفلوا عن الأمور العظام التي ينبغي أن يكون المؤمن بالصفات متأثرًا تأثرًا حقيقيًا بها، لأجل ذلك تسبب هؤلاء الحقيقة في شيء من الضلال الكبير في الأمة، وسبب نوعًا من البلبلة العظيمة.

يقول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**حُكمي في أهل الكلام حُكم عُمر في صبيغ**» لأن عمر لما أتى صبيغ وصار يسأل عن المتشابه، ضربه ضربًا مُبرحًا حتى أدماه، يقول: هذا حكمي فيهم أن يُضربوا ضربًا مُبرحًا؛ لأنهم سببوا إشكالًا كبيرًا للناس، فبدلًا من أن يستفيد الناس من هذه الصفات أبلغ الفائدة، بدلًا من ذلك أشغلوهم بصرف هذه النصوص عن ظاهرها، وخاضوا في الله عَزَّ وَجَلَّ خوضًا يدل على قِلة العلم بالله عَزَّ وَجَلَّ، والخوض في الله أمر عظيم مهول، فلا تتكلم في رب العالمين إلا بالنصوص، لأن الله تَعَالَى عرَّفك بنفسه، وأرسل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعرفك بربه، فتعرف الله بما عرَّفك الله، أما أن تخوض بوهمك أو بما يُسميه عقلك، فلاشك أن هذا من الضلال، لأجل ذلك تكلم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى عن هؤلاء وحيرتهم، وأنهم يتذبذبون في آخر المطاف، ويصيرون إلى الحيرة، فمنهم -والعياذ بالله- من قد ينسلخ من الملة، ومن كان فيه تقوى وورع، فإنه يضل في حال من الاضطراب، يُريد الاستمساك بدينه، لا يريد أن يترك الدِّين، لكن ذبحه ذبحًا منطق اليونان، وفلسفتهم، وعرَفها معرفةً جهل معها كثيرًا من النصوص الثابتة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول شيخ الإسلام في سقراط هذا الذي يُعظم هذا التعظيم: هذا الرجل ساحرٌ وثني. انظر كيف الفتنة، سُقراط هذا الذي أزعجوا به الناس وفلسفته، يُسمونه المُعلِّم الأول ساحر، ويعبد الأوثان، تُريد تعرِف رب العالمين من ساحرٍ وثني، وتترك ما جاء في كتاب الله وفي سنة نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لهذا هي فتنة عظيمة.

فالذي صار من ترجمة فلسفة اليونان أضر كثيرًا جدًا بالأمة، وسبب هذه البلبلة، ونشأت هذه الفرق الضالة كثيرًا من الفرق الضالة نشأت من آثار مقولة الفلاسفة هذه، مع أنهم يُخالفون الفلاسفة، ويُكفرون الفلاسفة، ثم يأخذون تقارير الفلاسفة الوثنيين من اليونان، ويُطبقونها على النصوص، وما لا يتماشى مع هذه التقريرات ينفونه، لأجل ذلك صار عندهم هذا التذبذب كما ذكر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا هو بالمسلم الخالص، ولا هو بالكافر الجاحد، وإنما هو في حال من هذا التذبذب، فيُعاقبون هذه العقوبة تترك أعظم العلم وأجل العلم، أجل العلم العلم الذي أتى به رسول الله ﷺ، لم يطرق الدنيا علمٌ، ولن يطرق الدنيا كلها علم أجل من علم رسول الله ﷺ، قد قال الله تَعَالَى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ [الجمعة:٢] . هذا العلم الحقيقي، لا تعليم زنادقة اليونان وغيرهم من أنواع الضالين من أصحاب الفلسفة الشرقية أو غيرها، هذا أضاع الناس وتسبب بشيءٍ كثير من الضلال، فالنبي ﷺ قد علَّم أمته، وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**رأيتُ كأني أشرب لبنًا حتى رأيت الري في أظفاري**» يعني من شدة العلم العظيم الذي عند رسول الله ﷺ، «ثم أعطيتُ فضلي عمر». قالوا: ما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: «العلم». العلم الحقيقي عند الصحابة؛ لأنهم أخذوه عن رسول الله ﷺ، فلا يمكن يأتي أحد أعلم من الصحابة إلى قيام الساعة مُطلقًا، حتى لو كان عنده عشرات الآلاف من الصفحات، ما يكون أعلم من أبي بكر وعمر، مستحيل هذا الأمر، فهُم أهل العلم الحقيقي، هم الذين اصطفاهم الله اصطفاءً، كما قال ابن مسعود: «قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه». فالعلم الحقيقي عندهم، ولهذا يتميز الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تنقل عن الواحد منهم مقالة أقل من سطر، هذه المقالة العظيمة تُغنيك عن صفحات كثيرة، يتوسع فيها المتأخرون، ويُطيلونها، وينفخون الكتب على غير ما فائدة، وهي في كلام الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كلام الحكماء، علمهم النبي ﷺ الكتاب والحكمة.

فمن زهِدَ في هذا العلم، وبحث عن علوم أهل الزندقة والفلسفة وأضرابهم يُصاب بالحيرة، لا هو بالذي تركَ الإسلام بالكلية، ولا هو بالذي التزم الإسلام التزامًا سليمًا، فلهذا يكونون في هذا الحال من الاضطراب والتذبذب، نعوذ بالله من حالهم ومآلهم.

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ، أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ؛ إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الربوبية بترك التَّأْوِيلِ وَلُزُومَ التَّسْلِيمِ وَعَلَيْهِ دِينُ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ.

❖

قال الشّارح وفّقه الله:

لا يصح أن تؤمن بالرؤية، لأهل دار السلام يعني الجنة: (لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ)، شخص يُريد أن يعرف هذه الرؤية بوهم من الأوهام، أو تأولها بِفهم قال: أنا عندي علم، وعقل، وفَهم، وإن كان تأويل الرؤية، وتأويل كل معنىً يُضافُ إلى الرب سبحانه وتعالى، هو بترك التأويل أن تترك التأويل، وتترك عنك الخوضَ الذي فيه تحريم الكلم عن مواضعهِ، وأن تلزم التسليم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَلَيْهِ دِينُ الْمُسْلِمِينَ)، المسلمون هكذا كانوا يتعلمون من الرسول ﷺ، وما كانت الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إذا أخبرهم النبي ﷺ بخبر يُقابلون هذا الخبر بالرد والتكذيب، بل كانوا يُسلمون تسليمًا.

والحديث السابق الذي قلنا إن النبي ﷺ أخبرهم بأنه هناك بقرةٌ تتكلم بينما رجلٌ راكبٌ بقرة إذ تكلمت، فاستعظم الناس معناه: تعجبوا، وليس معنى أنهم كذبوا رسول الله ﷺ، ولهذا لما قال لهم النبي ﷺ مُطلقًا ما ردوه عليه، أمر عجيب جدًا أن تتكلم هذه البهيم بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ، لأجل ذلك نبههم النبي ﷺ على التسليم قال: «فأني أؤمن بهذا وأبو بكر وعمر» فينبغي أن تؤمنوا وهم كذلك رضي الله تَعَالَى عنهم وأرضاهم، فالواجب ترك هذه التأويلات الفاسدة، وعدم الخوض فيما يتعلق بالرب جَلَّ وَعَلَا لهذه الطريقة التي كانت على يد الجهمية والمعتزلة ومن ورثهم.

ثم قال قاعدةً: (وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ).

يعني أن ثَمة منهجين فاسدين:

المنهج الأول: النفي، بأن ينفي ما أثبت الله.

والمنهج الثاني: أن يُشبِّه ما ثبت لله، يقول المُصنِّف في هذه الحالة: يزل، ويكون ضالًا، (وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ)، فلا يُمكن أن يُصيب التنزيه الذي يجب لله ﷻ.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ، وَتَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ، وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ، لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ.

قال الشّارح وفّقه الله:

هذا الموضع من المواضع التي ذكر الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن فيها نوعًا من السجع الذي ما يليق بكتب الأدعية يقول: هو بالخطب والأدعية أشبه منه بالعقائد، وكذلك الحال بالنسبة للسجع، وفيما يتعلق بصفات الوحدانية والفردانية هو قال: (مَنْعُوتٌ) وموصوف. فقيل: إن الوصف والنعت مترادفان. وقيل: ليس مترادفين، لكنهما متقاربان، الوصف يكون للذات، والنعت يكون للفعل.

وكذلك (الْوَحْدَانِيَّةِ والْفَرْدَانِيّة) قيل: في الفرق بينهما ذلك. وقيل: إن الوحدانية للذات، والفردانية للصفات، فهو موحدٌ في ذاته تَعَالَى منفردٌ بصفاته.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لكن في اللفظ نوع تكرير، في تكرار لا حاجة له.

قال: وللشيخ نظير هذا التكرير في مواضع من العقيدة، وهو بالخطب والأدعية أشبه منه بالعقائد والتسجيع.

يعني أنه كان الذي ينبغي أن يكون فيه شيء من الاختصار، بأن نقتصر على الوصف أو النعت، لأنهما في الغالب مترادفان، وهكذا ما يتعلق بالوحدانية والفردانية، يقول: الأنسب أن تكون هذه في غير كتب الاعتقاد.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَتَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ، وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ، لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ.

قال الشّارح وفّقه الله:

هذا الموضع من المواضع التي قلنا: إن الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر فيها كلامً مُجملًا، ماذا يُريد بالحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات.

مثل هذا الموضع مما يدخل من خلاله المتكلمون إذا أرادوا أن ينفوا الصفات، ليقولوا: إن أبا جعفر على طريقتنا.

الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ علَّق على هذا الموضع بقوله: «هذا الكلام فيه إجمال، قد يستغله أهل التأويل، وليس لهم بذلك حجة، لأن مراده رَحِمَهُ اللَّهُ تنزيه البارئ عن مشابهة المخلوقات».

لكنه أتى بعبارةٍ مُجملة تحتاج إلى تفصيل، فمراده بالحدود: التي يعلمها البشر، ليس لله حدٌّ يعلمه البشر، هذا المعنى، فهو سبحانه وتعالى لا يعلم حدوده إلا هو، فلا يُقال: إن لله حدًا، أما حدٌّ يعلمه البشر فلا، ولهذا بعض أهل العلم نفى الحد عن الله، أي الحد الذي يعلمه البشر. وبعضهم أثبت الحد أي أن الله تَعَالَى يُثبت له الحد الذي يعلمه سبحانه وتعالى، فإن كان المقصود حدٌّ يعلمه البشر، فهذا يُنفى، وإن كان المقصود حدٌّ يعلمه الرب سبحانه وتعالى، فهذا مرتبطٌ بذاته، فهو سبحانه وتعالى أعلمُ بنفسه، ولهذا قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**من قال بإثبات الحد في الاستواء مراده حدٌّ يعلمه الله**».

ثم قال: وأما (الْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ) فمراده تنزيه الله عَزَّوَجَلَّ عن مشابهة المخلوقات في حكمته، وفي صفاته الذاتية من الوجه واليد والقدم، ونحو ذلك.

لكن لاشك أن مثل هذه الإطلاقات فيها ما فيها من الإجمال، وقد مثلما ذكرنا قد يأتي من يدخل على مثل هذه الألفاظ بغير ما أراد الماتن، وإلا فمراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلوم، لأنه من المثبتين للصفات، لكن استعمال مثل هذه الألفاظ المجملة فيه إشكال.

وهكذا قوله: (لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ).

الجهات الست المقصود: اليمين والشمال، والأمام، والخلف، والسُّفل والفوق، يقول: لأن الله أصلًا فوقَ الجهات، الله تَعَالَى في العلو، وكل الجهات أسفل العرش، ولهذا من قال: إن الله في جهة العلو، وأطلق على العلو جهة، قال: إني أثبت الجهة، ومن قال: لا أُثبت الجهة، فمراده أن الله فوق الجهات، لكن ما الحاجة إلى هذا، هذا هو وضع المسألة، ما الحاجة إلى مثل هذه الإطلاقات، هل الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالى يُثبت الفوقية أو لا؟ سيأتيك بصريح عبارته أن الله فوقَ العرش، وبه تعلم أن هذا الموضع يُرَد إلى المواضع المُبينة، هذا فيه إجمال، هذا الموضع، فالإجمال يُرد دائمًا إلى التفصيل، والكلام الذي فيه شيء من الإبهام يُرد إلى الكلام المُبين الواضح، لكن لاشك أن التعبير بالعبارات الشرعية الصحيحة هو المتعيِّن، وأن تُترك مثل هذه التعبيرات التي قد توجد شيئًا من عدم الوضوح أقل ما توجد عدم الوضوح، ماذا يُريد بالأركان، ماذا يُريده الأعضاء، ماذا يريد بالأدوات، لسنا بحاجة إلى هذا، ننفي عن الله تَعَالَى ما نفى عن نفسه، ونُثبت ما أثبت لنفسه، وقد قلنا في أول الدرس: إن النبي ﷺ أقر الصحابي الكريم الذي قال في سورة قل هو الله أحد: «لأنها صفةُ الرحمن»، وهذه السورة فيها النفي والإثبات، فيها إثبات الأحدية والصمدية، وفيها نفي أن يكون يلد أو يولد، أو أن يكون له كفوٌ أحد -سبحانه وتعالى عن ذلك.

لأجل ذلك نُعبر بالتعبيرات الشرعية السليمة، ونُبعد عن مثل هذه الألفاظ التي قد يترتب عليها هذا الإشكال، ولهذا تكلم الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذه الألفاظ مطولًا.

هذه الألفاظ من الناس من ينفيها مباشرةً، ومنهم من يُثبتها مباشرةً، ومنهم -وهو الصواب- الذي لا شك فيه من يُفصِّل مثلما ذكرنا.

فقوله على سبيل المثال: (وَتَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ)، فإن كان المقصود حد يعلمه البشر، فهذا يُنفى. أما إن كان لله حدٌّ يعلمه هو فهذا يُثبت، يعني يحتاج إلى شيءٍ من التفصيل، فالناس بحاجة إلى شيء من التفصيل، ولهذا إذا عبَّرت بالتعبيرات الشرعية لا تحتاج إلى هذا، الألفاظ المجملة إشكالها أنك إذا نفيت ألزموك بمعنى، وإذا أثبت ألزموك بمعنى، فتحتاج إلى التفصيل. فيُقال: لا حاجة إلى هذا أصلًا في أمور الاعتقاد، الله تَعَالَى بيَّن ما الذي يتصف به، وما الذي يتنزَّه عنه، وتقدم حديث النبي ﷺ: «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينْام**». فالذي لا ينبغي لله ما يُترك للناس حتى يُحددوا ما الذي ينبغي، والذي لا ينبغي، ولهذا التعبير بمثل هذه العبارات -الحقيقة- يوجد شيئًا من البلبلة، وقد يترتب عليه شيئًا من سوء الفهم لمراد الماتن.

قال المُصَنّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقَظَةِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنَ الْعُلَا، وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم:١١]، فَـﷺ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى.

●●◈●●

قال الشّارح وفّقه الله:

ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ما يتعلق بالعروج.

عُرِج بالنبي ﷺ إلى ما فوق السماوات، ولَقيَ في السماء الأولى آدم عليه الصلاة والسلام، ولقي في السماء السابعة في آخرها إبراهيم عليهم صلاة الله وسلامه أجمعين، وكلمه الله تَعَالَى كِفاحًا يعني مباشرةً، وفرض عليه الصلاة، ثم نزل، وكان موسى في السماء السادسة، لأن إبراهيم أفضل من موسى كما تقدم، وسأله ما الذي فرض عليك ربك؟ فقال: «خمسين صلاة» قال: «إن أُمتك لا تُطيق ذلك، فسل ربك التخفيف» ثم عُرِجَ به، ثم استشار جبريل، فعرجَ به جبريل إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، حتى جعلها الله تَعَالَى خمسًا بأجر خمسين، وهذا من فضله تَعَالَى ومنته.

المعراج: مِفْعَال من العروج؛ أي الآلة التي يُعرجُ فيها ويُصعد فيها، وهو بمنزلة السُّلم، لكن لا يعلم كيفية هذا المِعراج إلا الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال: (حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ) الإسراء غير المعراج، الإسراء إلى بيت المقدس: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء:١]. هذا إلى بيت المقدس، أما العروج، فإلى السماوات، السماء الدنيا، ثم الثانية، ثم الثالثة، يستأذن يستفتح فيؤذن له، حتى كلمه الله تَعَالَى كفاحًا.

وحديث المعراج يُقر به نُفاة العلو، فيُقال: يا لله العجب، تُقرون بالمعراج، ونهاية عروج النبي ﷺ إلى الله، نقول لهم دائمًا: أين فَرَضَ الله تَعَالَى الصلاة، ما الذي تتميز به الصلاة عن جميع الفرائض؟ قالوا: أن الله فرضها بنفسه، ولم ينزل بها جبريل، فرضها الله تَعَالَى في حادثة

المعراج يقول لك: رواها البخاري ومسلم، وفرضها الله بنفسه، وكلمه الله كفاحًا، أرأيت أن الكلام يُثبت لله تَعَالَى، أرأيت أن الله تَعَالَى في العلو، وأنك تضطر إلى الإثبات لهذا وأنت لا تدري، لأنهم يقولون: من مناقب نبينا ﷺ الكبار أنه عُرِجَ به، ويجعلون هذا ولاشك أنه من فضائل رسول الله ﷺ، فيأتون إليه في (باب الرسالة) ونأتي إليهم في باب التوحيد، فكل هذا حق، لا تُفرِّق، هو كرامة عظيمة لرسول الله ﷺ، لكن خُذ المدلول أن الله كلمه كِفاحًا، وأنت تنفي الكلام، وأن الله تَعَالَى في العلو، لأنك تقول: وجد في السماء الأولى آدم، في السماء الرابعة هارون، في السماء السادسة موسى، في السماء السابعة إبراهيم، ثم عُرِجَ به إلى ما فوقَ السماء السابعة، وكلمه الله وفرض عليه الصلاة، فما بالك في باب الرسالة تُثبت، وإذا أتيت في باب التوحيد تناقضت.

فهذا من الدلائل على كون هؤلاء القوم يتذبذبون ويضطربون، وإلا معلوم أن المعراج عُرج بالنبي ﷺ إلى ما فوق السماوات العُلى، بشخصه في اليقظة يقول: ليست المسألة مسألة منام، لو كانت المسألة مسألة منام، لما أنكرتها قريش، لو قال: إني رأيت البارحة كأني وأنا نائم كأني عُرِجَ بي إلى السماء الدنيا ما أحد يُنكر عليه من قرشيه، قالوا: ذهبت إلى بيت المقدس ورجعت في ليلتك؟ قال: نعم. فأتوا إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أمل أن يتسبب هذا الموقف برجوع أبي بكر، قال: ألا ترى إلى صاحبك؟ يقول: إنه أُسري به إلى بيت المقدس، ورجع من ليلته؟ قال: «إن كان قال فقد صدق». يعني هم طمعوا في أبي بكر أن يتزلزل، هذا الذي نقوله لهم يا إخوة، المهم أن يثبت الخبر، هذا منهج أهل السنة الذي عليه أبو بكر، المهم يثبت الخبر، ثبت الخبر على الرأس والعين، المهم أن يثبت، وهذا الذي قاله أبو بكر ويقوله كل مؤمن موحد، الذي يُحدثون أبو بكر كفار، أنتم تقولون وقد تكذبون عليه لا أدري، لكن إن كان قال: «فقد صدق» وهذا هو المتعين في هذه الأخبار إذا أتتنا، المهم أن تثبت، وهذا قول أهل السنة: المهم أن يثبت الخبر، فإذا ثبت فإننا نسلم ونُصدق، ولا نجعل

دون تصديقنا بالخبر أي عائقٍ مما يُسمى عقلًا، أو مما يترتب عليه يلز منه، هـذا كله مطلقًا لا يقوله أهل الحق.

(إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنَ الْعُلَا) حيث كلمه الله تَعَالَى كِفاحًا كما تقدم: (وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم:١١]، فَصَلَّى الله عليه وسلم فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى).

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ حَقٌّ.

❧❧◊☙☙

قال الشّارح وفّقه الله:

تكلم رَحِمَهُ اللَّهُ عن الحوض، لو تلاحظ -مثلما ذكرنا- الشارح، نقول: ما رتبها رَحِمَهُ اللَّهُ، الآن تحدث عن المعراج، ثم دخل في موضوع الحوض، والحوض مُرتبط باليوم الآخر، وسيأتي وسيتكلم لاحقًا عن اليوم الآخر.

ويقول: لأن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى ما قصد الترتيب، وإنما كان يكتبها كما يَعنُّ له بعض المسائل يتذكر، مثل مسألة (**الحوض**) فيكتبها، بعض المسائل ستأتي لاحقًا في الأخير ويقول: (**والإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله**)، مما يدل على أنه ما كان يُرتبها ترتيبًا، فنشرح على حسب الوارد في كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

الحوض: هو مجمعُ الماء. وهذا الحوض العظيم يجعله الله تَعَالَى في القيامة. يقول بعض السلف: «يُبعث الناس أشدَّ ما كانوا ظمأً، وأشد ما كانوا جوعًا». يُبعث الناس جِياع، ويُبعثون على حال من الظمأ، ولهذا إذا أتوا إلى الموقف العظيم، وهو موقف هائل قد أُدنيت الشمس مِقدَار ميل، والعرق ساخ في الأرض سبعين ذراعًا، أحب ما يُريد الإنسان الماء، هذا الحوض طولُه مسيرة شهر، وعرضه مسيرة شهر، ماؤه -كما ثبت في النصوص- أحلى من العسل، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، فإذا رآه الناس أقبلوا يُريدون الماء، فتذود الملائكة صنفين:

الصنف الأول: المرتدون، وهم الذي قال النبي ﷺ فيهم: «**إذا رآهم يُذادون أصحابي**». فيُقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. إنهم لم يزالوا مُرتدين.

لأن هؤلاء أتوا إلى النبي ﷺ عام تسع سنة الوفود، وأظهروا الإسلام، والرجل إذا لقي النبي ﷺ مُسلمًا، فإنه يُسمى صحابيًا، مات النبي ﷺ والظاهر منهم الإسلام، فأبقى ﷺ الأصل

وهو أنهم أصحابه، لهذا قال: «**أصحابي**» فتذودهم الملائكة فتقول: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**».

وفيها دلالة على أنه لا يعلم الغيب بقولهم: «إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم مُنذ فارقتهم. فأقول: سُحقًا سُحقًا لمن بدل بعدي». وفي اللفظ الآخر: «فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿**وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [المائدة:١١٧] . هذا الصنف الأول وهم الكفار.

وأما أهل الكبائر فظاهر النصوص أن بعضهم يُذادون عن الحوض.

وقول بعض أهل العلم: إنه لا يُذاد إلا المرتدون ليس بدقيق، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**سيكون أمراء، فمن دخل عليهم وصدَّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظُلمهم، فليس مني ولستُ منه، ولن يرد علي الحوض**». وهؤلاء مسلمون، ولكنهم أعانوا الحُكام على ظُلمهم، وصدقوهم في كذبهم، فلا يَرِدُون الحوض، هذا يدل على أن بعض أهل الكبائر يُذادون عن الحوض -والعياذ بالله-. هذا يدل على شؤم الذنوب، وأنه يضر صاحبه.

هذا الحوض جعله الله تَعَالَى كرامةً أكرم الله تَعَالَى نبيه بها عليه الصلاة والسلام، وغوثًا لأمته؛ فإنها تَرِد، يقول: هذا الحوض حق، لأنها وردت به النصوص الثابتة.

وقد استقصى هذه النصوص الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر كتابه «البداية والنهاية» استقصى النصوص الواردة في الحوض، وأطال وأجاد رَحِمَهُ اللَّهُ فيها.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ.

وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ..

❀❀◈❀❀

قال الشّارح وفّقه الله:

الشفاعة أنواع:

منها: الشفاعة العظمى، وهي أن يشفع ﷺ في أهل الموقف بأن يأذن الله تَعَالَى فصل القضاء، لأن الناس يمكثون مُدةً طويلة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وتُدنو الشمس من الخلائق، ويشتد الأمر على الناس، فيأتون آدم يقولون: أنت أبو البشر خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما بنا، فيعتذر آدم ويحيلهم إلى نوح، ثم يعتذر نوح، ويُحيلهم إلى إبراهيم، ثم يعتذر إبراهيم ويُحيلهم إلى موسى، ثم يعتذر موسى ويُحيلهم إلى عيسى، ثم يعتذر عيسى، ويُحيلهم إلى محمدٍ ﷺ، وسلم تسليمًا كثيرًا، فلا يشفع ﷺ ابتداءً، لأن الشفاعة لله، قال تَعَالَى: ﴿**قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**﴾[الزمر:٤٤]. الشفاعة مُلك الله، لكنه يأذن إذا شاء، ويبقى الناس هذه المدة المديدة لم يأذن بها الله، فلهذا لا يتقدم النبي ﷺ بالشفاعة، فإذا قال: «**أنا لها**» لا يذهب ليشفع مباشرةً، يَخِرُّ تحت العرش ﷺ ساجدًا، حتى يُقال له: ارفع رأسك، وسل تُعطه، واشفع تُشفع، فلما جاء الإذن شفعَ ﷺ. فهي حق لا شك فيها.

ومن الشفاعات التي تقع: شفاعات لغير النبي ﷺ، هذه شفاعة خاصة بالنبي ﷺ، وهي المقام المحمود: ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾[الإسراء:٧٩] . يحمده جميع الناس عليها، لأن الله أذن بعد هذه الشفاعة بفصل القضاء، وهناك شفاعاتٌ خاصةٌ به عليه الصلاة والسلام أخرى طويل الكلام فيها الحقيقة، لكن من الشفاعات الشفاعة في أهل الكبائر من الموحدين الذين دخلوا النار، وهؤلاء يَشفعُ فيهم النبي ﷺ والأنبياء، وتشفع الملائكة، ويشفع الصالحون أيضًا، ويشفع الأفراط لآبائهم، فهذه شفاعات تُثبت، لكن لا تكون الشفاعة إلا بعدَ إذن الله تَعَالَى، كما قال تَعَالَى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾[البقرة:٢٥٥]. هذا الشرط الأول.

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع له من أهل التوحيد، قال تَعَالَى: ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى**﴾ [الأنبياء:٢٨]. والله لا يرتضي إلا التوحيد، ولهذا في حديث أبي هريرة لما سأل النبي ﷺ من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**». فالمُشرِك لا تناله الشفاعة، ولا تنال الشفاعة إلا الموحد، لأجل ذلك تُطلب الشفاعة من الله، لأن الشفاعة لله، فليست للرسول ﷺ، وليست للملائكة، فالشفاعة لله، لكنه يأذن إذا جاء الوقت الذي يكون وقت الشفاعة، ولهذا الذي يقول: إني أطلب من النبي ﷺ الشفاعة هذا جاهل، كيف تطلبها من النبي ﷺ وأنت في الدنيا، الشفاعة لا تكون له ابتداءً، ويبقى الناس في ذاك الموقف العظيم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، لأن الشفاعة لله، ولأن الله لم يأذن بها بعدُ، فإذا أذِنَ بها شفع النبي ﷺ وشفعت الملائكة، وشفع الأنبياء، والصالحون، قبل ذلك لا شفاعة، فلا تُطلَب إلا من الله، يُدعى الله، اللهم شفع في نبيك ﷺ نعم حق، لكن أن تُطلب من النبي ﷺ لا يحل هذا، فإذا جاء وقتها طلبها الناس منه، وفي زمن النبي ﷺ تُطلب الشفاعة منه، بأن يُطلب منه أن يدعو، لأن الشفاعة دعاء، فكان الصحابة رضي الله عنهم يطلبون النبي ﷺ في حال حياته أن يدعو لهم، ما في هذا إشكال، لكن بعد أن مات لا تُطلب منه الشفاعة، ولهذا ما توفي ﷺ ما طلبوها منه، لعلمهم أنها لا تُطلب إلا في وقتها المحدد الذي يأذن الله فيه، لأن الشفاعة نوع من الدعاء، ففي حال حياته كانوا يطلبون منه أن يدعو، دعاؤه نوع شفاعة وهو حي، أما بعد أن مات لا.

وقد ثبت في «صحيح البخاري» أن النبي ﷺ فرَّق بين حال حياته ومماته، فلما قالت عائشة رضي الله تَعَالَى عنها: «ورأساه». قال: «ما يمنعُكِ يا عائشة، لو كان ذلك وأنا حيٌ، يعني لو أنك متِّ وأنا حي، فدعوت الله واستغرتُ لكِ» يعني أنك إن متِّ قبلي، صليت عليك، واستغفرت لكِ وأنا حي، فالمعنى إذا مِت لن يحصل هذا.

فالحاصل أن الشفاعة حق لا شك، ولن يُنكرها إلا الخوارج والمعتزلة؛ لأنهم يقولون بخلود (**صاحب الكبيرة**) في النار.

أما أهل السنة فلا يُنكرونها، لكن أن تُطلب بغير الشرطين اللذين ذكرها لا يحل هذا، قال تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥]. لابد أن يأذن الله. وقال تَعَالَى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:٢٨].

فالشفاعة لا تُدرك أي أحد، وإنما تُدرك من يرتضيه الله ﷻ.

قال بعض أهل العلم: إن قوله تَعَالَى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم:٢٦].

فيه الشرطان: فيه الإذن، وفيه الرضا.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ.

༺❖༻

قال الشّارح وفّقه الله:

الميثاق هو المذكور في قوله تَعَالَى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾ [الأعراف:١٧٢].

فالله تَعَالَى أشهد عليهم آباهم آدم، وأشهد بعضهم على بعض، أنه هو ربهم، هل يؤاخذ الناس بهذا الميثاق، هذا الميثاق لا يتذكرونه، لكن تأتي الرسل لتذكرهم به، فلا تكون المؤاخذة بالميثاق نفسه، لكن إذا أتت الرسل وذكرتهم وبينت لهم ما الذي يجب عليهم أن يفعلوه، وما الذي يجب أن يكفوا عنه، وقد أرسلهم الله تبارك وتعالى، وقد أعطوه الميثاق الأول، فإنه يجب ويلزمهم اتباع هؤلاء الرسل ﷺ. فالميثاق حق.

وبعض أهل العلم يقول: المواثيق أكثر من ميثاق، لأن العهد الذي بين العبد وبين ربه عدة عهود، فمنها هذا الميثاق.

ومن الميثاق الذي بين العبد وبين ربه: «**وأنا على عهدِكَ ووعدِك ما استطعت**» بينك وبين الله عهد وهو أن تُطيعه.

لهذا قال الشيخ حافظ حكمي: أنها ثلاثة مواثيق، والكلام فيها يطول.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى - فِيمَا لَمْ يَزَلْ - عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً؛ فَلَا يُزَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ أَفْعَالَهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ. وَالسَّعِيدُ: مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَالشَّقِيُّ: مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَى.

❀❀◈❀❀

قال الشّارح وفّقه الله:

لاحظ أنه عاد رَحِمَهُ اللهُ إلى موضع (القدَر) فتكلم عنه في أكثر من موطن يزيد على نحو خمسة عشر موضعًا، كثير جدًا ذكر ما يتعلق بالقدر، لكنه فرقها رَحِمَهُ اللهُ كما قلنا، وكما نبهنا أن الشافعي يقول: إنه فرَّق الكلام في المسألة الواحدة.

هذه المسألة مُرتبطة بالقدر، وهي مُرتبطة بعلم الله.

فنُلخص موضوع القدر بإيجاز الآن، حتى يكون الكلام في القدر بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ إذا أتى نوجز في الكلام فيه.

القدر النصوص الواردة فيه على **ثلاثة أنواع**:

النوع الأول: إثبات ما يتعلق بالرب، والمتعلق بالرب عَزَّ وَجَلَّ مراتب القدر الأربعة: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق هذه مرتبطة بالرب بأن الله علم كل شيءٍ جملةً وتفصيلًا، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأنه لا يقعُ شيءٌ إلا إذا شاءه الله تَعَالَى، وأن الله تَعَالَى قد خلق كل شيء، هذا مرتبط بالرب.

هذا القسم الأول من النصوص، والنصوص عليه كثيرة جدًا.

القسم الثاني: إثباتُ ما يتعلقُ بالعبدِ، فإذا أثبتنا هذا للرب، فليس معنى ذلك أن العبد الآن صارَ خاليًا من المسؤولية، بل هو مسؤول، فكونُك تثبت ما يتعلق بالرب لا يعني أن تنفي أن هناك مسؤوليةً على العبد، وهناك مسؤولية على العبد ومسؤول عن أفعاله الاختيارية التي يختارها، وما يقع منه بغير اختيار هذا معفوٌ عنه، أما أفعاله الاختيارية، وهي في حياته

بـالملايين كثيـرةٌ جـدًا، حتـى مُجـرد تقليبـك لعينـك هكـذا هـذا اختيـاري منـك، نُطقـك الآن اختياري منك، جلستك على الطعام فيـه عـدد كبيـر جـدًا مـن الأفعـال الاختياريـة، تضـع يـدك وتوجه اليد هكذا إلى موضع الطعـام، تضـم الطعـام بيـدك، ترفعـه هـذا اختيـاري، تُدخلـه إلـى فمك اختياري، تمضغه اختياري، تبلعه اختياري، فأفعال العبد الاختيارية كثيرة جدًا، فيؤاخـذ الله تَعَالَى العبد في الأفعال الاختيارية التي يختارها.

فإثبات ما يتعلق بالرب لا يعني أن العبد ليس له مسؤولية، وليس له مشيئة، وليس له قُدرة، بل يُثبت للعبد ما يتعلقُ به، وليس هناك تناقض بين إثبات ما يتعلق بالرب، وبين ما يتعلق بالعبد.

القسـم الثالـث: النهـي عـن الخـوض والنـزاع الباطـل في القـدر، لا يحـل النـزاع بـأن تُضـرب النصوص بعضُها ببعض، تؤخذ آية من القسم الأول يُضرب بها القسم الثاني، حتى يُقـال لـيس للعبد اختيار، أو العكس تؤخذ آية من القسم الثاني المتعلق بالعبد لِتضـرب بهـا آيـة مـن القسـم الأول حتى يُقال: إن الأمور عند العبد دون الله، لا يحل هذا، هذا مُرتبط بالرب، وهـذا مُـرتبط بالعبد، ولهذا جاءت النصوص بالنهي عن الخوض والجدال في القدر. هذا مُجمل ما يُقـال في القدر.

من ذلك ما ذكره هنـا مـن مرتبـة العلـم: أن الله تَعَـالَى علـم كـل شـيء في الأزل، علـم مـا العبـاد عاملون قبل أن يعملوا، وعلم أهل الجنة من أهل النار قبل أن يردوا القيامـة، ولهـذا قـال: (قَـدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى - فِيمَا لَمْ يَزَلْ - عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ)، فـالله يعلـم مـن يدخل الجنة ممن يدخل النـار، ولهـذا ثبـت عـن النبـي ﷺ أنـه حـدد أُناسًـا أبـو بكـر في الجنـة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، إلى آخر الحديث.

وثبت أن أبا جهل وطواغيت قريش من كفرة وعُتات وصناديد قُريش الذين قُتلوا في بـدر أنهـم من أهل النار، أبو لهب بنص القرآن أنه في النار، فمعلوم أهل الجنة من أهل النار، لأجل ذلـك إذا أُعلمنا بأحدٍ من أهل الجنة شهدنا عليه بعينه أنه من أهل الجنة كأن نشهد لأبي بكر أنـه مـن

أهل الجنة، وإذا أُعلمنا بأحدٍ أنه من أهل النار بعينه نشهد أن أبا لهب، وأن أبا جهل من أهل النار، لأن الله تَعَالَى قد علم منهم أهل الجنة من أهل النار، فلا يُزاد في ذلك العدد ولا يُنقص.

وفي الحديث أن النبي ﷺ أغضبه بعضهم مرةً، فقام ﷺ وقال: «**لا تسألوني في مقامي هذا عن شيء إلا أخبرتكم**». فقامَ عبد الله بن حذافة وقال: يا رسول الله، من أبي؟ قال: «حُذافة». لأن الناس كانوا يطعنون في أمه. يقول: أمك زنت، وأنت لست ابن حذافة، فأراد أن يعرف في ذاك المقام لما قال: «لا تسألوني في مقامي هذا عن شيء إلا أخبرتكم».

فقام آخر -نعوذ بالله- قال: يا رسول الله، أين مدخلي؟ قال: «النار». لأنك رجل من أهل النار؛ لأنه قد عَلم منهم أهل الجنة من أهل النار، فلا يُزاد في ذلك العدد ولا يُنقص.

(وَكَذَلِكَ أَفْعَالَهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ)، لأن الله تَعَالَى قد علم كل شيءٍ قبلَ أن يقع، وهذا علمه سبحانه تَعَالَى بما كان، وبما يكون وبما سيكون، فهو تَعَالَى قد علم هذا.

ومن ذلك ما يتعلق بعلمه تَعَالَى لأهل الجنة من أهل النار.

قال: (وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ) كلٌ مُيسر لعملٍ يعمله، كما في الحديث: «**أما السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة**». لا أحد يعلم منهم أهل الجنة من أهل النار». لكن الذي يعمل ويدأب في طريق أهل الجنة -بإذن الله وفضله وكرمه وإحسانه- هذا ذاهب إلى الجنة، دون أن نُحدده، لأن الله تَعَالَى يقول: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى**﴾ [الليل:٦] وعد: ﴿**فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**﴾ [الليل:٧].

﴿**وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى**﴾ [الليل:٨-٩]، فسيذهب إلى أين؟ ﴿**فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾ [الليل:١٠].

ولهذا إذا ثبت الإنسان على الحق واستمسك به، وسأل الله تَعَالَى عدم الزيغ، وأبعد بنفسه ونأى عن مواطن الفتنة والضلال، فيُرجى أن يُختم له بخاتمة خير، وهذا وقع لكثير -ولله الحمد- من المسلمين، يُختم لهم بخاتمة حسنة، ويُرجى لهم، لا تستطيع لو رأيت أحدًا يُختم له بخاتمة حسنة أن تقول: إنه من أهل الجنة، حتى لو شَهِدَ أن لا إله إلا الله ومات، ما

تستطيع أن تشهد له بعينه، لكنك ترجو كما سيأتي، وهذا ولله الحمد كثير في المسلمين من فضل الله ومنته، أن من كانوا ثابتين على الحق، ونشأوا على طاعة الله، واستمروا عليه، حتى جاءهم الأجل فماتوا ميتةً ظاهرها حُسن الخاتمة، وفي الحديث: «إنما الأعمال بالخواتيم».

فالذي يثبت على الحق ويسأل الله تَعَالَى العافية، ويفتقر إلى ربه في الثبات، هذا يُرجى أن يموت على أحسنِ حال.

أما من يكون -والعياذ بالله- على حالٍ من السوء والضلال والزيغ والعناد، فالغالب أنه يُختم له بطريق أهل النار، إلا أن يتداركه الله برحمته، هذا وضع آخر، أو أن يزيغ إنسان -عياذًا بالله- في آخر وقته من الحق إلى الباطل، فيموت على سوء خاتمة، هذا وضع آخر، لكن من حيث العموم كما ذكر عبد الحق الأشبيلي رَحِمَهُ اللهُ يقول: ولله الحمد من حيث العموم أن من يكونون ثابتين على الحق في حياتهم أنهم في الغالب يختم لهم -بفضل الله- بخاتمةٍ حسنة، ثم قال: (وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ)، العبرة بالخاتمة، فمن مات على خاتمة الخير، رُجي له ذلك.

ترى -سبحان الله العظيم- من عجائب أقدار الله، شخص في سن التسعين أسلم وعمره تسعون سنة، بعد أن أمَضى في الكفر تسعين سنة، ثم يموت مسلمًا، كل تلك السنين هذه كأنه ما وقعَ منه أي زلَّة، لأن الإسلام يجُب ما قبله، والتوبة تجُب ما قبلها بفضل الله ورحمته، إذ العبرة بالخاتمة، ومن انتكس والعياذ بالله فإنه حتى لو عاش سنين طويلة جدًا في الخير والحق والصلاح، ثم صار في خاتمة أمره إلى السوء، فإن العبرة بخاتمته هذه، لقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالخواتيم**».

والسعيد من سعِد بقضاء الله، الله ﷻ هو الذي قدَّر أن هذا يسعد، والشقي من شقي بقضاء الله، الله قدر أن يشقى، وهو تَعَالَى أعلم بأهل السعادة من أهل الشقاوة.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ؛ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ؛ فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ، فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ؛ وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ.

قال الشّارح وفّقه الله:

يقول: (أَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ)، يقول أهل العلم: القدر سر من أسرار الله، ولك أن تتفهَّم هذه المسألة، هذا السر من أسرار الله، وليس مثل أسرار الملوك، يُمكن أن تفشو، يُمكن أن تظهر. سر من أسرار الله تَعَالَى يستحيل استحالةً تامة أن يصِل إليه أحد، فلما كان كذلك كان الخوض في هذا من العبث، لأنه سرٌ لم يُطلع الله تَعَالَى حتى الملائكة المقربين، ولا الأنبياء المرسلين.

ثم قال: (وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ)، التعمُّق في موضوع القدر، وكثرة المجادلات، والمنازعات، والسؤال بـ(لم) و(كيفَ) بهذه الطريقة ذريعة من الذرائع للخذلان.

(وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ). هذه العبارات منه رَحِمَهُ اللَّهُ عبارات متقاربة.

التعمق المبالغة في طلب الشيء، المبالغة في طلب القدر والخوض فيه، والغوص في مسائله ذريعة يعني وسيلة من الوسائل التي تُوصل الإنسان -والعياذ بالله تَعَالَى- إلى الحرمان، ودرجة من درجات الطُّغيان.

ثم قال: (**فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ**)، هنا بالنصب على التحذير احذر كل الحذر من ذلك يعني من الخوض في القدر، (**نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً**)، لا تفتح الباب هذا على نفسك بالوسوسة، أو بالنظر وما تزعم أنه نوع من التعمُّق والبحث العلمي، والمعرفة العقلية، اترك عنك هذا واترك عنك التفكير، فإن الله طوى علم القدر عن أنامه، علم القدر هذا مطوي الأنام عن الناس.

(وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ)، نهاهم عن هذا الموضوع، كما قال: (﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ).

يقول الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «**الأصل قرآنٌ وسنة، ولا يُقال: للأصل لِمَ، ولا كيف**» يعني ما نقول لرب العالمين: لِمَ جعلت المغرب ثلاثًا، وجعلت العشاء أربعًا؟ ما يُسأل الرب عن هذا مُطلقًا، لماذا هذه لا تُوجَّه لله نهائيًا، لماذا يُوجهها الناس فيما بينهم في المعاتبات وفي السؤال، لأن الناس مُتقاربون، أما عبد يقول للرب: لِمَ؟ لا يصلح هذا مُطلقًا، ولا يُقال لرب: (كيف؟). لذلك قال: (**فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَاب، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**)، ويأتي الكلام -إن شاء الله- على الكفر لاحقًا، أنه إذا ردَّ كلام الله تَعَالَى مع علمِهِ بأن هذا كلام الله، فإذا ردَّ كلام الله معناه أنه كفر به، فعند ذلك يكون من الكافرين، فالواجبُ الحذر من الدخول في مثل هذه المسائل، فإن الله تَعَالَى قد يُسلِّط على الداخل الحيرة التي تكلمنا عنها قبل قليل التي أصابت المتكلمين، وصار الواحد منهم في حال من الاضطرار والتشوش الشديد بسبب إقدامهم على ما لا يحل لهم الخوض فيه.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ؛ فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ، وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ؛ وَلَا يَثْبُتُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ، وَتَرْكِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ.

❀❀◈❀❀

قال الشّارح وفّقه الله:

لما تكلم عن ما مضى قال: هذه جملة مما يَحتاج إليه المؤمن في عقيدته، ممن نوَّر الله تعالى قلبه من أولياء الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول: هذه الدَّرجة التي مَضتْ من الكلام على المسائل العقدية السابقة هي درجةُ الراسخين في العلم، ثم ذَكر أن العلم على نوعين اثنين:

العلم الأول: (عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ)، وهو هذا الوحي الذي أنزله الله تعالى موجود وأحكامه واضحةٌ، وعقيدة واضحة.

والعلم الثاني: (عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ)، وهو علم الغيب، (فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ)، لأنه يكون إنكارًا للعلم الذي أتى من عند الله تعالى بوحيه.

(وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ)، وهو الغيب (كُفْرٌ)، لأن ادعاء الغيب كفر، (وَلَا يَثْبُتُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ)، الذي جاء به الوحي، (وَتَرْكِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ)، وهو الغيبي.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ.

قال الشّارح وفّقه الله:

اللوح: هو المحفوظ، كما قال ﷻ: ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ . فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**﴾ [البروج:٢١-٢٢] .

وهذا اللوح المحفوظ لا يُحيط به إلا الله ﷻ، قد كُتب فيه كل شيء، كل شيء مهما دقَّ ومهما كان يسيرًا، فإنه قد كُتب في اللوح المحفوظ، لهذا قال تَعالَى: ﴿**إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾ [العنكبوت:١٩]. لأن الإنسان يتهول تهولًا، ولا يُكذِّب، لكن أمر مهول عظيم، أن كل شيء مكتوب، حتى الدقائق اليسيرة من الحركات والسكنات كما قال ﷻ: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ [هود:٦]. حتى هذه الدواب الصغيرة، حتى هذه الحشرات، قد كتبت لها آجالها وأرزاقها، ويعلم رب العالمين المستقر الذي ستكون إليه، كل هذا قد كُتب.

وقال تَعالَى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾ [الحديد:٢٢].

الأمر عظيم هائل، يفوق تصور الإنسان أن كل شيء مكتوب، لهذا قال: (وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ). «**أول ما خلقَ اللهُ تَعالَى القلم، فقال له: اكْتُبْ. قال: وما أكتب؟. فأمره أن يكتب مقادير الخلائق، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن**».

فكُتب بإذن الله ﷻ جميع ما يكون، وهذه الدرجة التي من القدر.

الدرجة الأولى: درجة إثبات العلم.

الدرجة الثانية: إثبات الكتابة.

فذكرها رَحِمَهُ اللَّهُ في موطن، ثم عاد من جديد وذكر موضوع الكتابة في موطنٍ آخر.

وبجميع ما فيه قدرُ رُقِمْ، جميع ما كُتب في اللوح المحفوظ، نؤمن به وأن الله تَعالَى كتب فيه مقادير الخلق، سماه الله تَعالَى بالكتاب المبين.

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ تَعَالَى فِيهِ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ؛ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ﮋﮋ ◊ ﮊﮊ

قال الشّارح وفّقه الله:

تكلم عن أمر التقدير الإلهي والمشيئة الإلهية، أن جميع الخلائق لو اجتمعوا كلهم على أمرٍ قد قضى الله تَعَالَى أن يكون، وأرادوا أن يمنعوا هذا الأمر من أن يكون، فإنهم لن يقدروا على ذلك.

والعكس كذلك: لو اجتمعوا على شيءٍ لم يكتب الله تَعَالَى أن يَقعْ، وأرادوا أن يقع، لم يقدرا على ذلك، فلا يَقع إلا ما أراد الله، والذي يَمنعُ الله تَعَالَى من وقوعِهِ لا يُمكن أن يقع، لهذا أجمع المسلمون على هذه الكلمة: (**ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن**).

فالذي يشاء الله يكون، والذي لا يشاءه تَعَالَى لا يُمكن أن يكون، وكأنه أخذ هذا من قول النبي ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، جفَّت الأقلام وطُويت الصحف».

القلم الذي يُكتب به القدر جف وانتهى وكُتِب، وليس هناك مجالٌ لأن يُكتب كتابة جديدة فيما يتعلق باللوح المحفوظ، هذا انتهى أمره، وقد علم الله تَعَالَى ذلك كله، بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ.

وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا؛ لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ، وَلَا مُعَقِّبٌ، وَلَا مُزِيلٌ، وَلَا مُغَيِّرٌ، وَلَا مُحَوِّلٌ، وَلَا نَاقِصٌ، وَلَا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ.

قال الشّارح وفّقه الله:

هذه الفائدة العظيمة الآن من الإيمان بالقدر: أن ما أخطأك ولن يُصبك، أن تعلم أن هذا الذي أخطأك لم يُخطئك مُصادفةً هكذا، بل لأن الله شاء ألا يُصيبك، وأن الشيء الذي أصابك من المحال ألا يُصيبك. فعند ذلك يعلم العبدُ أمر التسليم لله تعالى، فالشيء الذي يفوتك مما تحرص عليه، وتبذل فيه الأسباب، ثم لا يقع، نقول: هذا أمرٌ لا يُمكن أن يقع عليه، لأن الله تبارك وتعالى قضاءً لا يقع، فهذا فات، ويكون عندك الرضا بقضاء الله تعالى. فما أخطأك يستحيل أن يُصيبك، والذي أصابك يستحيل أن يُخطِئك.

فليس للعبد أن يقول: لو أني ما خرجت هذا الوقت، ما حصل لي هذا الحادث، أو حصلت لي هذه المصيبة، لا يحِلُّ مثل هذا، هذا أمرٌ قد قضاه الله ولو كان موضع وفاةٍ لبرزتَ إلى مضجعك لتتوفى فيه.

وهذه فائدة عظيمة من فوائد الإيمان بالقدر، أن الإنسان لا يجلس في حال من التلوم، ولهذا نُهينا عن كلمة (لو)، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان، كل إنسان في حال من بذل السبب والسعي فيما ينفعه في دينه ودنياه، فإذا فاته علم أن هذا الأمر يستحيل أن يُصيبهن ويُحسن بالله الظن، من المُهم أن تُحسن بالله الظن، وأن هذا الأمر الذي بذلت فيه الأسباب الطويلة، والأوقات المديدة ليقع ثم لم يقع، ارض بقضاء الله، لعل الله صرفه عنك؛ لأنه وهو أرحم بك من أمك وأبيك– قد علم أن الضر كل الضر في أن يقع لك هذا.

جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إن العبد ليتهيأ له الأمر من التجارة أو الإمارة، فينظر الله إليه من فوق سبع سماوات ويقول لملائكته: اصرفوه عنه، فإني إن يسرته له دخل النار، فيُصبح ويقول: شقيت بفلان». فلان هو السبب، ولا يدري أن الله تعالى صرف هذا الأمر عنه، لأنه لو تحقق لدخل النار، عبد ضعيف المدارك، هذا الأمر لو تهيأ لك من تجارة أو من إمارة كانت سببًا في دخولك النار، فالله رحمك وصرفه عنك، وفاتك هذا ستكون من أهل الجنة، ولو تهيأ لكنت من أهل النار، فيقول الإنسان: كل هذا بسبب فلان، واحد يقول: بسبب عينه، واحد يقول: بسبب حسدني، واحد يقول كذا، والإنسان يُفكر هكذا أن هذا الأمر كله بسبب أن هؤلاء يتسببوا في ولا يضع في ذهنه أن هذا الأمر كان يُمكن أن يكون عليه فتنةً في دينه، وأن يضره في آخرته، لهذا ينبغي على العبد أن يُحسن الظن بالله تعالى، ويكون للحياة مذاق وطعم من أجل ما يكون، كل إنسان مستريحًا إن أصابه خير قال: هذا من فضل الله، وإن أصابه ضر، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]. ولولا عفو الله لكان الأمر أشد، وأبلغ، لكن الله لطيف، لهذا هؤلاء لا يذهبون للأطباء النفسيين، ولا يعرف شيء اسمه الاكتئاب، حتى عوام أهل السنة العجائز وكبار السن، إلى سنوات قريبة ما يعرفون شيء اسمه الطب النفسي نهائيًا، عندهم من القناعة والرضا عن الله ﷻ ما قد يُصاب الواحد منهم في يوم واحد بستة أو سبعة من أولاده فتجده يُصبرك أنت يقول: الحمد لله على قضاء الله، الحمد لله أن الأمر ما كان أعظم، الحمد لله أنهم ماتوا على الإسلام، فتتعجب من هذا، هذه العقيدة أيها الإخوة، أثرها كبير جدًا في الناس، ليست العقيدة أخذ درجات وشهادات لا، العقيدة العقيدة قلب عظيم يكون فيه الاعتقاد راسخًا، ويتأثر به اللسان والجوارح، فقد يكون في عامي لا يقرأ ولا يكتب، وهذا يقع يراه الناس في أُناس عندهم من التجلُّد والصبر، شيءٌ عظيم لا يكون مثله إلا عادةً للعلماء، ولكنهم في حال من الطمأنينة والراحة والرضا عن الله تعجب من طيب حياته، وكأن هذا الشخص إذا رأيته تقول: هذا الشخص لم يُصب في حياته بأي نكبة، ولا يعرف أي مصيبة في

حياته من سعة صدره، وطيب روحه، وحُسن تعامله مع الناس، وهو مصاب بالمصائب التي لا يُحيط بها إلا الله، لأنه أحسن التعامل مع القدر، يعلم أن ما أخطأه يستحيل أن يُصيبه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، لهذا أعاد المسألة قال: (عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ)، وأنه تَعَالَى قضى ذلك تقديرًا مُحكمًا مُبرمًا عز اسمه، وأنه تبارك وتعالى لا يُمكن أن يُعقِّب، ولا يُزال، ولا يُغير ولا يُنقص، ولا يُزاد لا في أمره في السماوات ولا في الأرض.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الْإِيمَانِ، وَأُصُولِ الْمَعْرِفَةِ، وَالِاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّتِه ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨].

فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ للهِ تَعَالَى فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا، وَأَحْضَرَ للنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا. وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ.

❧❧◈☙☙

قال الشّارح وفّقه الله:

قوله: (وَذَلِكَ) إشارة إلى ما تقدم من الإيمان بالقدر، وأن الله تعالى سبق علمه بالكائنات، هذا من عقد الإيمان وأصول معرفة الرب سبحانه وتعالى، والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته، لأن القدر يرجع إلى ربوبية الله، القدر هو قُدرة الله ﷻ. ثم ذكر الآيتين.

قوله: (فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ للهِ تَعَالَى فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا، وَأَحْضَرَ للنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا). فالإنسان لا يحل أن يُنازع رب العالمين في قدره، ومن هو الإنسان، وما هو الإنسان حتى يُنازع الله، لولا جهالته قِلة علمه، يكون خصمًا يخاصم رب العالمين، ويعترض على رب العالمين في قدره.

يقول: الويل له إن هو خاصم الله تعالى، وصار له في القدر هذا القلب السقيم المريض، التمس بوهمه يعني بخوضه في القدر فحص الغيب، وهو سرٌّ كتيم مكتوم، وعاد بما قال أي قول يقول فيه فهو أفاكٌ أثيم، لأنه يقول بلا علم.

وقوله: (وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ). **والعرش**: هو أعظمُ المخلوقات على الإطلاق، وحتى تعلم عظمة هذا الخلق الهائل يقول تعالى في الكرسي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥] .

فالمساوات والأرض في الكرسي، ولهذا جاء في الحديث: «**أن السماوات في الكرسي كدراهم سبعة**»، الدرهم الصغير العملة الفضية. «**كدراهم سبعة أُلقيت في تُرْس**»، لأن الكرسي وسع السماوات والأرض.

العرش أعظم من الكرسي، لأن الكرسي في العرش مثل حلْقة، الحلْقة الشيء الدائري مثل ساعتك هذه تُسمى حلقة، أُلقيت في فلاة في برية، يعني نسبة الكرسي إلى العرش كنسبة هذه الحلقة الصغيرة التي أُلقيت في بريةٍ ومفازةٍ كبيرة.

هذا الكرسي وسِعَ السماوات والأرض، ولهذا عظمة هذه المخلوقات دالةٌ على عظمة خالقها سبحانه وتعالى.

ولهذا أعظم المخلوقات العرش، إذ الكرسي بالنسبة للعرش هو بمثابة الحلقة الملقاة في بريةٍ واسعة، وهذا الكرسي وسع السماوات والأرض التي نحن فيها الآن، وسع السماوات السبع والأرضين السبع، فهي في الكرسي، وهذا من دلائل عظمة هذا الخلق، وأن الله تَعَالَى لا يُمكن أن يُحاط به، لا يُمكن أن يُحاط بهذه المخلوقات عظمته.

إذا كانت السماوات والأرض قد وسِعَها الكرسي، والكرسي بالنسبة للعرش مثل هذه الحلْقة المُلقاة في البرية، فهذه مخلوقات هائلة لا يتصورها الإنسان، ولهذا يُمثلون تمثيلًا مُناسبًا جدًا يقولون: الإنسان وهو في بطن أمه قد أُحيط بهذا الرحم، وكان بمثابةِ نصف الدائرة، ما الذي يعرفه الإنسان في بطن أمه وهو جنين؟ هذا الموضع الذي أمامه، فإذا خرجَ، وإذا الدنيا هذه على سعتها وهولها، وما فيها من سماوات وأرضين وجبال، فبالنسبة لعلم الإنسان كما قال تَعَالَى: ﴿**وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا**﴾[النحل:٧٨]. لا يعرف الإنسان وهو في بطن أمه جنينًا إلا هذا المُحيط به الضيق هذا، فإذا خرج، وإذا بهذه الدنيا التي هي أضعاف أضعاف ما كان فيه، الكرسي بهذه العظمة، العرش بهذه العظمة، وهذا يدل على عظمة من خلقها سبحانه وتعالى، وقد استوى تَعَالَى على هذا العرش استواءً يليق بجلاله وعظمته، لأنه ارتفع وعلا على العرش عز اسمه، ولهذا قال: (**وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ**)، وهو في هذا منابذ

للمتكلمين الذين يتأولون حتى العرش، يقولون: العرش المراد به المُلك، فقول القائل: (استوى على العرش) يزعمون أنه استولى على المُلك، وليس هناك عرش له قوائم، وحملة من الملائكة يحملونه، فقال: (وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ). ردًا على هؤلاء الذين يتأولونه.

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ.

قال الشارح وفقه الله:

هذا الموضع عظيم جدًا في الطحاوية.

أولًا: قال: (وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ)؛ أي أن الله تَعَالَى إذا استوى على العرش فليس استواءه عز اسمه استواء محتاج، كما يحتاج الإنسان إلى الشيء الذي يستوي عليه معاذ الله، فهو مستغنٍ عن العرش، وما دون العرش، لأن كل المخلوقات دون العرش، جميع المخلوقات العرش أعلى المخلوقات على الإطلاق، فجميع المخلوقات دون العشر، فهو استوى على العرش أي ارتفع وعلا على العرش، وهو غير محتاج إلى العرش سبحانه، ولهذا قال: (وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ)، يعني وما دون العرش من المخلوقات.

(مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ)، وهذا موضع مهم جدًا في الطحاوية، دال على أن العبارات المجملة السابقة منه رَحِمَهُ اللَّهُ لا تعني نفيه للعلو، وفيها رد مهم للغاية على الذين أرادوا أن يُلزموا أبا جعفر من خلال كلماته السابقة بأنه ينفي العلو، يُصرح هنا بأن الله تَعَالَى فوقَ المخلوقات فوق العرش سبحانه وتعالى، وأنه محيطٌ بكل شيء.

قال: (وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ)، لأن الله تَعَالَى يُحيط بهم ولا يحيطون به، كما قال تَعَالَى: ﴿**وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾ [طه:١١٠]. وقال تَعَالَى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام:١٠٣].

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا، إِيمَانًا، وَتَصْدِيقًا، وَتَسْلِيمًا.

قال الشّارح وفّقه الله:

هذا بإثبات صفتين من صفات الرب عَزَّوَجَلَّ:

الصفة الأولى: صفة المحبة، لأنه تقدم أن الخُلة أعلى درجات المحبة، قال: (وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا)، وكذلك اتخذ الله محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليلًا، (وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا، إِيمَانًا، وَتَصْدِيقًا، وَتَسْلِيمًا)، يعني أننا نُثبت صفة الكلام لله تَعَالَى، فأثبت بهاتين الصفتين، ونابذ النُّفاة. فالذين ينفون المحبة كالأشعرية مثلًا ينفون المحبة، هنا يُثبت المحبة. وهكذا الكلام تقدم ما ذكره في الكلام مُفصلًا عاد هنا من جديد، يُثبت أن الله تَعَالَى كلم موسى تكليمًا، إيمانًا وتصديقًا وتسليمًا بالنص الوارد في كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَة، وَالنَّبِيِّينَ، وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ. وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ.

ﮀﮀ♦ﮁﮁ

قال الشارح وفقه الله:

ذكر هنا ثلاثةً من أركان الإيمان، فقال: (وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَة)، والإيمان أحد أركان الإيمان.

(وَالنَّبِيِّينَ)، وكذلك الإيمان بالأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

ثم قال: (**وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ**)، والإيمان بالكتب التي أنزلها الله تعالى على هؤلاء الأنبياء، (**وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**).

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ**) ما داموا مُعترفين ومُقرِّين بما جاء به النبي ﷺ، وما داموا مصدقين بما جاء به.

وظاهر كلامه أنه يرى أن الإسلام والإيمان شيءٌ واحد، لأنه يقول: (**نُطلق عليهم مسلمين مؤمنين**)، والصواب: أن بينهما تبايُنًا، إذا أُطلق الإسلام وحده دخل فيه الإيمان، وإذا أُطلق الإيمان وحده دخل فيه الإسلام.

أما إذا قُرنا في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب:٣٥] ، ونحو ذلك كما في حديث جبريل: «ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر». قبلها قال: «ما الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتُقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلًا»، فيكون الإسلام يُراد به الأعمال الظاهرة، والإيمان الاعتقادات الباطنة، هذا إذا اقترنا. أما إذا أُطلق الإسلام وحده شمل الجميع، فيدخل الإسلام في الإيمان، وهكذا إذا أُطلق الإيمان يدخل فيه الإسلام.

قالوا: ومثل هذا الفقير والمسكين الفقير جعله الله صنفًا، والمسكين جعله صنفًا ثانيًا، ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ**﴾ [التوبة:٦٠]. لكن إذا أُطلق الفقير وحده دخل فيه المسكين، وإذا أُطلق المسكين وحده دخل فيه الفقير، قالوا: فكذلك الإسلام والإيمان، وهذا هو الصحيح.

قال: (**مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ**) يعني قد أقروا به بقلوبهم، (**وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ**)، فهذا لا يكفي، لأن هذا جزء من الإيمان، الإيمان قولٌ واعتقاد وعمل، لابد من العمل كما سيأتي التعليق عليه.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلَا نَخُوضُ فِي اللهِ، وَلَا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ

قال الشارح وفقه الله:

فلا نخوض في الله، فلا يُخاض في رب العالمين، المسائل التي يُخاض فيها هي القابلة للنقاش، والقابلة للأخذ والرد، أما الله تَعَالَى كيف يُخاض في الله؟! فلا يُتكلم عن الله تَعَالَى إلا بما جاء في النصوص من كلامه أو كلام رسوله ﷺ. أما أن يُخاض في رب العالمين، فلا يُتكلم الله إلا من خلال النصوص، فلا يُخاض في الله، ولا يكون كأنه -والعياذ بالله- موضوع من الموضوعات القابلة للأخذ والنقاش.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا نُمَارِي) يعني لا نُجادل في دين الله عَزَّ وَجَلَّ، الأصل أننا نَقبل ما جاء عن النبي ﷺ ونُسلم، ولا نترك دين الله عُرضةً للمجادلات والمخاصمات والمناظرات؛ لأن هذا قد يؤدي إلى شيءٍ من التلبيس على العامة، لكن إذا جاء من يحتاجُ إلى مُجادلة؛ ليوضَّح له الحق فلا إشكال. أما الأصل ألا يُطلع العامة على المناظرات والمجادلات؛ لأنه قد يترتب على هذه المناظرات والمجادلات تسرُّبُ شيءٍ من مقالات أهل الباطل، ثم يكون العامي غير قادرٍ على إزاحة هذا الباطل الذي وصل إليه.

أو أن يُرَدَّ على الباطل، لكن لا يستوعب العامي هذا الرد، فتدخل عليه الشبهة ولا يستطيع فهم ردِّها، فالأصل ترك المُماراة والمجادلات في دين الله، وإنما إذا احتيج إلى المناظرة والمُجادلة فبضوابط محددة تُعلم عند أهل العلم عند ذلك يُدخل فيها، ولا يكون الأصل هو المجادلة والمناظرة، الأصل تلقين الناس الحق وتعليمهم ما يجب أن يعتقدوا، والكف عن ما لا يجوز أن يعتقدوه، وما الذي يجب أن يفعلوه، وما الذي يجب أن يتركوه، هذا هو الأصل.

أما المُجادلة فلها ضوابط محددة، لا يُلجأ إليها إلا بضوابطها.

قال المُصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَهُوَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ ، وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ.

ﮋﮋ◈ﮊﮊ

قال الشَّارح وفّقه الله:

ذكر الجدال في القرآن، هذه المجادلة في القرآن الذين جادلوا في القرآن هم الكفار: ﴿**وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ**﴾ [غافر:٥]. فالقرآن ليس موضع مجادلة، ولهذا قال ﷺ: «**اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا**».

فالأصل أن القرآن يُتعلَّم ويُعرَفُ فِقهُ أحكامه واعتقاده، ولا يكون موضع للمُمَارات والمجادلات والخوض والنزاع، لأن هذا يؤدي إلى الاضطراب في عقيدة الناس.

عاد كما تُلاحظ هنا للتأكيد على ما سبق الكلام عليه في صفة الكلام، لكنه خصه بالقرآن قال: (**نشهد أن القرآن كلام الله، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَهُوَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ**)، يعني عاد بتكرار ما تقدم، نحن ذكرنا أن الشارح ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ قال: إنه يُكرر المسألة مما يدل على أنه رَحِمَهُ اللَّهُ ما كان يُريد وضع عقيدة مرتبة محددة بحيث ينتقل من موضوع إلى موضوع، وإنما كان يعن له الموضوع، فيكتبه، ولهذا تكرر عنده تأكيد هذا الكلام، لكن أضاف هنا: أننا لا نخالف جماعة المسلمين، جماعة المسلمين أجمعت واتفقت على أن القرآن بالاعتقاد الذي تقدم، فلا نُخالفهم ونقول بقول أهل الباطل والزيغ.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، وَلَا نَقُولُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ.

ﮗﮗ◈ﮖﮖ

قال الشارح وفقه الله:

العبارة الأولى عليها مأخذ وملحظ لا شك، والعبارة الثانية سليمة.

فقوله: (وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ)، مثلما ذكر الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في تعقبه، قال: هذا الحصر فيه نظر، فإن الكافر يدخل في الإسلام بالشهادتين، وقد يخرج من الإسلام بغير الجحود، يعني لا يُجعل الكفر مقرونًا بالذنب الذي لا يُستحل.

فالآن كلمة (الذنب) تشمل كل المعاصي بما فيها ترك الواجبات، مثل ترك الصلاة، فترك الصلاة ذنب من الذنوب، هل يُقال: إن من ترك الصلاة يكون قد وقع في ذنبٍ فلا يَكفُر بتركها إلا إذا استحله؟ الصواب: لا، أن ترك الصلاة كفر، ولهذا الإمام أحمد أنكر هذه العبارة، لما قال له رجل: لا نُكفر أحدًا بذنب، قال: اسكت، ترك الصلاة كفرٌ، يعني إطلاق أننا لا نُكفر بذنبٍ مطلقًا، هذا ليس بدقيق، فالذنوب التي لا يُكفر بها هي الكبائر المعروفة، مثل الزنا، وشُرب الخمر، والسرقة، هذه إذا وقعَ فيها المسلم، فإنه لا يَكفُر بإجماع أهل السنة، لكنه إذا ترك الصلاة يكون قد أذنب، فلا نُطلق أنه لا يكفر بالذنب الذي وقع فيه ما لم يستحقه، لكن نقول: لا نُكفره بأي ذنب، فمن الذنوب ما يُكفر بها، ومن الذنوب ما لا يُكفر بها، الذنوب الكبائر المعروفة، هذه لا يُكفر بها إلا الخوارج، لكن ترك الصلاة ذنب، فلا شك أنه يُكفر به، لهذا أنكر الإمام أحمد هذا الإطلاق، ولكن لا نُكفِّر بكل الذنوب، لأن من الذنوب ما لا يُكفر به، وهي الكبائر، ومنها إذا أطلقنا عموم الذنب، وأنه يدخل فيه ترك الواجبات كترك الصلاة، فإن هذا الإطلاق ليس بدقيق، فإذا وقع المسلم في ذنب من الذنوب الكبائر، كشرب الخمر، أو الزنا، أو السرقة، أو القذف، فلا شك أنه لا يكفر، وإنما يكون من المسلمين، ولو مات صلينا عليها، ولأجل ذلك تُقام عليه الحدود، ولو كان يرتد ما وُجد حدود، أقوى ما يُرد

به على الخوارج أن هذه الذنوب التي يُكفرون بها لها حدود مستقلة، المرتد له حدٌ وله أحكام واضح، يُقتل على الردة، وبالتالي لا يُصلى عليه، ولا يورث من قِبل ورثته يكون ماله فيئًا لبيت المال، ولا يُدفن مع المسلمين، لأنه مرتد، فإذا شرب الخمر يُقام عليه الحد، فدل وجود الحد على أنه ليسَ بكافر، وإلا لو كان مُرتدًا لقُتل مباشرة، وهكذا السارق كونه تُقطع يده، ثم يُخلى سبيله، يدل على أنه ليس بكافر، لأن لهذه الذنوب عقوباتٍ محددة، فلو كانت كفرًا لكان لها حدٌ واحد وهو القتل على الردة. وهذا من أقوى ما يُرد به على الخارجي، فالخارجي لا يستطيع أن يقول في قوله تَعَالَى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا**﴾ [المائدة:٣٨]، لا يستطيع أن يقول لا، ما حكم السرقة عندك؟ يقول: كفر. ما حد السارق؟ قطع يده، فدل على أنه ليس بكافر.

أما إطلاق أن من وقع في أي ذنبٍ مهما كان الذنب فليس بكافر، ففيه إشكال هذا الإطلاق، لأنه يدخل فيه حتى ترك الصلاة، لهذا أنكر أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ هذه العبارة، وهي تحتاج إلى تفصيل: قال: «من وقعَ في الكبائر، فإنه لا يُكفَّر»، إلا إذا استحلها، إذا قال: إن الخمر مُباح، وأن السرقة مُباحة، هذا يكفر حتى لو لم يسرق، يكفر حتى لو لم يشرب الخمر، هذا وضعه آخر، لأنه كذب الله تَعَالَى في حكمه.

قال: (وَلَا نَقُولُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ)، وهذا ردٌ على المرجئة، وهذا الكلام مستقيم وصحيح، لأن المرجئة منهم غُلاة يقولون: إن الإيمان لا يضر المؤمن معه أي ذنب، لأن حسنة الإيمان من الكِبر والعِظم بحيث تسهل معها جميع الذنوب، فقالوا: لا يضر مع الإيمان معصيةٌ، رد على هذا الكلام الخبيث والخطير جدًا، فإذا قيل: لا يضر مع الإيمان معصية وذنب، هذا معناه كأن في نوع من التحريض للناس على الذنوب، ما دمتم مسلمين، فالذنوب لا تضركم، ترتب عليه خطر بالغ، ولهذا قال شاعرهم قاتله الله:

فأكثر ما استطعت من المعاصي ... إذا كان القدوم على كريمِ

يعني يُحرِّض الناس على المعاصي، يقول ربك كريم كما يقول بعض الجهلة إذا وقع في ذنب يقول: الله كريم، والله رؤوف رحيم، لا تُشددون على الناس.

أقول لك: لا تترك صلاة الفجر حتى يخرج وقتها، وتقول لي: رؤوفٌ كريم، ما وضعت الكلام في موضعه، أنا أُكلمك عن جُرْم عظيم وقعت فيه، أنت الآن تقع في فواحش وفي زنا، ثم تقول رب العالمين كريم رؤوفٌ تُعلمنا أنه رؤوف كريم، هو القائل سبحانه وتعالى: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [المائدة:٩٨]. فهو غفورٌ رحيم، لكنه أيضًا شديد العقاب، فلا تأخذ جزءًا من النصوص وتترك جزءًا، هذه طريقة المرجئة، وهي للأسف موجودة في بعض العامة في الجُهال، يعني تيار الإرجاء بعض الأحيان ما يكون الشخص مُرجئًا عموم أهل السنة، لكن يقع في الإرجاء وهو لا يشعر، فإذا قيل له في الذنوب: كُف عن عقوقك لوالديك، قطيعتك لرحمك، كُف عن أكلك الحرام، أكلك للربا، شاب شعرُك وأنت تأكل الربا، يقول: رب العالمين غفور رحيم، الربا من الكبائر توعد الله صاحبه بالنار، ثم تأتي لتذكر المغفرة والرحمة في هذا الموطن، هذه طريقة المرجئة، لكن هو نفسه ليس بمرجئ، لكن هذا القول من أقوال المرجئة دخلَ عليه، وقد يدخل على العامة بعض أقوال الخوارج وهم لا يشعرون أنه قول الخوارج، مثل إذا سمعوا ذنبًا من الذنوب الشديدة، كإنسان قَتلَ والده، وسمعوا أنه قُتل الابن قالوا أبدًا هذا ليس بمسلم، ما في مسلم يقتل أباه، هذا نوع من تكفيره، فهذا المقالة من ضمن مقالات الخوارج دخلت على الناس وهم ليسوا بخوارج، وهذه من الخطورة بمكان، ويجب على الدُّعاة إلى الله والعلماء أن يتفطنوا، يعني هناك مقالات للفرق توجد في عوام أهل السنة وهم لا يشعرون، مثل هذه المقالة الإرجائية، أو تلك المَقالة الخارجية، فيُنبهون على أن هذا الأقول أصله قول الخوارج، وقولٌ للمرجئة، وإن لم يكونوا مُرجئةً، وإن لم يكونوا خوارج، فيُنبهون على مثل هذه الزلات.

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله:

وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نُقَنِّطُهُمْ.

قال الشَّارح وفَّقه الله:

هذا القول في أهل الإحسان من ماتوا على الإحسان والصلاح والهدى والسنة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونشر الخير، ولزوم الصلوات والتقوى، هذا نرجو له الخير ولا نقطعُ له، حتى لو بلغ في الإيمان ما بلغ، يعني عمر بن عبد العزيز، وأحمد بن حنبل، الشافعي، ما نستطيع أن نقول: إنهم من أهل الجنة على الصحيح، فلا نقطع لأحدٍ بأنه من أهل الجنة إلا بنص، ولكن لا شك أننا نرجو لهم، فلهذا يقول: (**نَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ**) يعني ما قع من تقصير وذنوب وأن (**يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ**)، لأنه كما تقدم لا يدخل أحد الجنة إلا بفضل الله ورحمته، (**وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ**) يعني مع ذلك لا نقول: هؤلاء آمنون مثلما يقول بعض العامة، وهذه من المقالات التي ينبغي أن يُنبهون عليها، إذا رأوا رجلًا مُسنًا صالحًا في دِينه وعبادته وكفِّه عن الشر، وعن إيذاء الناس، وتحمله للجهالات من جيرانه، ثم مات، قالوا: هذا فلان من أهل الجنة، لا تجزم ولا يحل، فيقول: إذا لم يكن هذا من أهل الجنة فمن هم أهل الجنة؟ كلام خاطئ، هذا ما يجوز، كيف تشهد لهذا بعينه بأنه من أهل الجنة؟

وهكذا الحال بالنسبة للعُصاة، العُصاة لا نجزم للواحد منهم بأنه هالك، لأن الله قد يتلقاه برحمته، ولا نقول: إن هذا الشخص من أهل النار، وإن كان من عُصاة المسلمين الذين أسرفوا على أنقسهم إسرافًا شديدًا، لكن ما نقول: أنه من أهل النار، ولكننا نخاف عليه من أن يُعاقبه الله تَعَالَى، ولا نجزم أن الله تَعَالَى سيُعاقبه، ولهذا قال: (**وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ**) يعني المحسنين (**وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نُقَنِّطُهُمْ**)، يعني المسيء نستغفر له، ألا

ستصلي صلاة الجماعة على أحد من العصاة الذين تعلم أنه كان يشرب الخمر، صلاة الجنازة هي دعاء واستغفار له، وسؤال الله ﷻ أن يرحمه، مع ذلك تستغفر له، وتدعو الله تَعَالَى أن يعفو عنه، وتخاف عليه العقوبة، ولكن لا نُقنِّط النفس، لا نأتي إلى الناس من شدة الحماس وبُغضِنا للمنكرات، ونتكلم بكلام يقنط الناس من رحمة الله، فيكون المؤمن وسطًا، لا يقع في فِعل المجترئين على الذنوب، ولا يُئيس الناس ويُقنطهم، وكأن الله لا رحمةَ عنده.

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله:

وَالْأَمْنُ وَالْإِيَاسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ.

قال الشَّارح وفّقه الله:

يقول: والأمن أن يقع الإنسان فيما وقعت فيه المرجئة، بأن يأمن عذاب الله ونقمته، ويستمر، لا يعرف إلا أن الله غفورٌ رحيم، ورؤوفٌ كريم، لا تُشددوا على الناس، يستمر في الوقوع في الذنوب آمنًا كأن الرب ﷻ لم يُحذِّره في كتابه من مغبة الذنوب وعواقبها.

وعكسه (**اليأس**) من رحمة الله، وهذا يقعُ لبعض الناس إذا أسرف في الذنوب، ثم اهتدى، وتأمل ما فعل بوالديه من العقوق وبالناس من المظالم، وكثرةُ ما وقعَ منه من الفواحش، وكثرةُ ما وقع منه من الحرام، والتعدي وتضييع ما ضيع من الصلوات، وكثرة ما أفطر في رمضان، فبعضهم يكون عنده رَدةُ فِعل، يقول مع هذه الذنوب التي بلغت عَنان السماء لا طمعَ لي في مغفرة الله، وكلا الطريقين باطل. الأمن مكر الله ﷻ، واليأس من رحمته. فكلاهما من الكبائر.

لكن قوله هنا: (يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ). لاشك أن من أمِنَ على طريقة العامة المعروفة أنه لا يكفر، وهكذا من يئسَ اليأس المُعتاد، لكن لعل مُراده الأمْن المطلق، وكأنه لا يكترِث أصلًا بأمر وعيد الله ﷻ، ولا يُبالي به، هذا الصنف كأنه لا يوجد في قلبه أدْنَى خوف من رب العالمين، والمسلم لابد أن يوجد في قلبه خوف ولو مِقدار بسيط وهو أصل الخوف، فإذا زال أصل الخوف ولم يوجد، فلا يكون الإنسان مسلمًا، قد يضعُف الخوف نعم، ولكن إذا قال: أنا لا أخاف الله، هذا لا يُمكن أن يكون مسلم.

وعكسُه اليائس الذي يبلغ به يأسه إلى حد إساءة الظن بالله ﷻ، وأن الذنوب التي أسرفها لا تنالها رحمة الله ﷻ، وأنها من الكِبر بحيث لا يُمكن أن تُقابلها مغفرة الله، هذا من سوء الظن بالله ﷻ، لكن الأصل الحقيقة أنهما ليسا بكافرين، يعني هذا الموطن يحتاج إلى هذا

التفصيل، والأصل أن من وقع في اليأس فإنه لم يقع في اليأس إلا من خوف من الله ﷻ، وهذا خطأ منه، فيُنبه ويُقال له: اتق الله ﷻ لا تجمع الشرين، أول عُمرك في الفساد والشر، ثم آخر عمرك في اليأس من رحمة الله، يكفي الذنب الأول، ويُنبه إلى هذا، والغالب أن الذي حمله على هذا الخوف من الله، فلا يُقال: إنه يخرج من ملة الإسلام.

وهكذا الآمن من رحمة الله، نقول له: دعك من الغرور، وكثرة التركيز على نصوص متعلقة بالمغفرة والرحمة، انتبه لما قال الله تعالى في هذه الذنوب، وما توعد أهلها، فالأصل أن الذي يقع في هذين الأمرين من عوام المسلمين أنه لا ينتقل من الملة، لكن لعل مراده القسم الأخير الذي يكون عنده نوع من الجُرأة وقلة المبالاة بالله أصلًا، وصل به الأمر من رب العالمين إلى حد عدم المبالاة، وعدم الاكتراث، هذا زال أمر الخوف من قلبه، وعكسه اليأس.

يقول: (وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ)، السبيل أن يكون الإنسان بين الخوف والرجاء، كما ذكر ﷻ في شأن المؤمنين: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾ [الزمر:٩] . قال تَعَالَى: ﴿**يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا**﴾ [السجدة:١٦] . هذا هو الأصل أن الإنسان يكون بين الخوف والرجاء، لا يُغلب هذا على هذا.

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله:

وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ.

قال الشَّارح وفّقه الله:

هذا أول موطن يُنكر في هذه الرسالة. وهو -عفا الله عنه- في هذا تماشى مع مقالة المُرجئة، حيث حصرَ الكفر في الجحود، ولاشك أن هذا باطل، ولهذا يقول الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقًا على هذا الموضع: «هذا الحصر فيه نظر، فإن الكافر يدخل في الإسلام بالشهادتين إذا كان لا ينطق بهما، فإذا كان ينطق بهما دخل بالإسلام بالتوبة مما أوجب الكفر، وقد يخرج من الإسلام بغير الجحود لأسبابٍ كثيرة بينها أهل العلم في (باب حكم المرتد) من ذلك طعنه في الإسلام، أو في النبي ﷺ، أو استهزاؤه بالله ورسوله، أو بكتابه أو بشيء من شرعه، في قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]. ومن ذلك عبادته الأصنام والأوثان، أو دعوته الأموات والاستغاثة بهم، وطلب المدد والعون ونحو ذلك، هذا يُناقض قول: لا إله إلا الله، لأنها تدل على أن العبادة حقٌّ لله وحده، فهذا الموطن لا شك أنه مما ماشى فيه رَحِمَهُ اللَّهُ وعفا الله عنه، مقالة مُرجئة الفقهاء، لأن المرجئة على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: درجة مُرجئة الفقهاء، وهم فقهاء الكوفة حماد بن أبي سليمان، وتلميذه أبو حنيفة عفا الله عنهما في موضوع الإيمان، لاشك أنهما قد أخطأ، وقال: إن الإيمان هو القول والاعتقاد فقط، وأخرج العمل عن حد الإيمان كما سيأتي إن شاء الله في كلام الطحاوي، وهؤلاء أقل المرجئة خطأً.

الدرجة الثانية: هم الذين قالوا: إن الإيمان هو نُطق اللسان فقط، وهم الكرامية أتباع محمد بن كرَّام، وأولئك انقرض قولهم، وهو قول فاسد حين يُحصى الإيمان في نُطق اللسان فقط.

القول الذي فشا في أهل البدع هو قول الجهم بن صفوان الذي جعل المعول على القلب وحده، وأخرج حتى نُطق اللسان، وجعل الإيمان مُجرد المعرفة، وهو الموجود -للأسف-

الآن في المتكلمين من الأشعرية والماتريدية، فإنهم مُرجئة، ويقولان بقول غلاة المرجئة، يعني يخالفون حتى أبا حنيفة في هذا، لأنهم يقولون: أن الإيمان هو مُجرد التصديق، ويُخرجون قول اللسان والعمل.

فطوائف المرجئة جميعًا اتفقت على إخراج العمل من الإيمان، وهذا باطل بلا شك، وقد دل على دخول العمل في الإيمان نصوص كثيرة حتى قال تَعَالَى في شأن الصلاة: ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**﴾ [البقرة:١٤٣] . وهو صلاتهم إلى بيت المقدس، فسمى الله تَعَالَى الصلاة إيمانًا، فكيف لا تكون الصلاة إيمان.

يقول النبي ﷺ في الطهور: «**الطهور شطر الإيمان**» نصف الإيمان، فإذا كان نصف الإيمان كيف لا يكون من الإيمان، فهو نصف الإيمان، وليس من الإيمان.

وهكذا ما أطلقت النصوص على الأعمال من لفظ الإيمان: «من صام رمضان إيمانًا». «من قام ليلة القدر إيمانًا»، في حديث وفد عبد القيس لما أتوا يسألوا النبي ﷺ قال: «آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأداء الخُمس من المغنم». فجعل هذه الأعمال من الإيمان، فكيف لا تكون الأعمال من الإيمان.

وفي لفظٍ في البخاري قول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أتدرون ما الإيمان؟» ففسرها لهم، ففسر الإيمان بالأعمال، فكيف لا تكون الأعمال من الإيمان، فلما أخرجوا الأعمال من الإيمان، وجاؤوا إلى موضع الكفر، قالوا: لما كان الإيمان بهذه المثابة، إذًا الأعمال كما أنها لا تؤثر في الإيمان لا تؤثر في الكفر، فانفتح باب شر كبير الحقيقة.

فقوله عفا الله عنه: (وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ). غير صحيح، وهو من المواطن التي قلنا: إنها من القسم الثالث وموطن باطن، لأنه ماشى فيه جماعة مرجئة الفقهاء في هذا –عفا الله عنه– وهذا لاشك أنه ليس بصواب، ولأجل ذلك ذكرنا لكم كلام الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ أن مثل هذا القول ليس بسليم، وأن الإنسان قد يخرج من الإيمان

بقول يقوله، قال تَعَالَى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة:٧٤]. وقال تَعَالَى: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦] . فهُم استهزئوا.

وهكذا من سب الله، أو سب النبي ﷺ، لاشك أنه يكفر، ولا نقول: إنه لا يكفر إلا إذا تحققنا من أمر قلبه هو كفر مُجرد أن يقوله بلسانه وغيره مُجبر، وفي كامل عقله، هذا كافر لا شك في ذلك ظاهرًا وباطنًا. قال شيخ الإسلام: بإجماع أهل الفتوى.

فلأجل هذا لاشك أن هذه العبارة عبارة ليست بصواب، قطع مراد الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ الرد على الخوارج والمعتزلة. ولكن لا يُرد على الخوارج والمعتزلة بطرفٍ آخر، فيُرد على الخوارج والمعتزلة في تكفيرهم صاحب الكبيرة بأن يُرد عليهم بالطريقة السوية الشرعية، وليست بالطريقة التي تذهب إلى ضد ما قالوه، بحيث يُتخذ قول معاكس على حساب الحقيقة الشرعية.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ.

وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ.

وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ، وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْخَشْيَةِ وَالتُّقَى وَمُخَالَفَةِ الْهَوَى وَمُلَازَمَةِ الْأَوْلَى.

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ.

قال الشّارح وفّقه الله:

هذا الموضع الثاني الذي يُنكر في هذه العقيدة، وهو أنه عرَّف الإيمان بتعريف مرجئة الفقهاء الذين يقولون: الإيمان هو الإقرار والتصديق فقط، الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، وما ذكر العمل.

وقد ذكر الإجماع على أن العمل من الإيمان أئمة كِبار، فقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «الأم» فيما ذكره اللالكائي ونقله عنه بالسند، ونقله شيخ الإسلام.

قال: «ثم كان الإجماع من أصحاب النبي ﷺ والتابعين وأتباعهم، ومن لقينا» لأنه لقي من بعدهم «أن الإيمان قولٌ، وعملٌ، ونيةٌ، لا يُجزئ واحد منها عن الآخر». فلا يصح أن تقول: الإيمان قول فقط، أو اعتقاد فقط، أو عمل فقط، لا يُجزئ واحد منها على الآخر، لابد منها مجتمعين، ونقل الإجماع على هذا البخاري، والإمام أحمد وهو من شعارات أهل السنة أن الإيمان قولٌ واعتقادٌ وعمل، فالقول بأنه هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان -يعني القلب- لاشك أن هذه مقولة مرجئة الفقهاء، لهذا علق الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «هذا التعريف فيه نظرٌ وقصور». والصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان قولٌ وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تُحصر.

وقد ذكر الشارح ابن أبي العز جملةً منها فراجعها إن شئت، وإخراج العمل من الإيمان هو قول المرجئة، وليس الخلاف بينهم وبين أهل السنة فيه لفظيًا، بل هو لفظيٌ ومعنوي، ويترتب عليه أحكامٌ كثيرة يعلمها من تدبر كلام أهل السنة، فهذا الموطن الثالث.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ في الإيمان: (وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ). كثير من الناس لا يدري بمدلول العبارة، وهي عبارة أيضًا العبارة الثالثة الباطلة.

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: (وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ). هذا فيه نظرٌ بل هو باطل، فليس الإيمان فيه سواء، بل هم متفاوتون تفاوتًا عظيمًا، فليس إيمان الرسل كإيمان غيرهم، كما أنه ليس إيمان الخلفاء الراشدين، وبقية الصحابة رضي الله تَعَالَى عنهم وأرضاهم مثل إيمان غيرهم.

وهكذا ليس إيمان المؤمنين كإيمان الفاسقين، وهذا التفاوت بحسب ما في القلب من العلم بالله، وأسمائه وصفاته، وما شرع لعباده، وهو قول أهل السنة والجماعة خلافًا للمرجئة ومن قال بقولهم والله المستعان. إذ هذا الموطن الثامن: القول بأن أهله في أصله سواء، بل متفاوتون، أين إيمان محمد بن عبد الله ﷺ ويقينه من إيمان الواحد من آحاد المؤمنين، بل أين إيمان أبي بكر من إيمان بقية الأمة، فالقول بأن أهله في أصله سواء خطأ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا أعلمكم بالله، وأخشاكم لله» والعلم بالقلب، فجعل فيه صيغة التفضيل (أفعَل) أعلم، أنه أعلم بالله ﷻ.

ومن يقول: إن إيمان جبريل وميكائيل والأنبياء مثل إيمان آحاد المؤمنين، فهذا القول عجيب أن ينتشر في أحد من الفقهاء عفا الله عنهم قول لاشك أنه لا باطل، وبمجرد أن يتأمله الإنسان يعرف بطلانه. هل يجرؤ أحد أن يقول: أنا وأبو بكر سواء في الإيمان، فضلًا عن أن يقول: أنا ورسول الله ﷺ سواء، لا في القلب، لا في العمل لا في كل شيء، فهذه المقالة سبحان الله! يستعجب الإنسان كيف جاءت وانتشرت في هؤلاء الفقهاء عفا الله تَعَالَى عنهم مع صريح بطلانها.

فالحاصل أن هذا القول ليس بصواب، وأن المؤمنين يتفاوتون تفاوتًا عظيمًا، وقد ثبت في النصوص ما يدل على هذا التفاوت العظيم حتى إن الله تَعَالَى يأذن في الآخرة بإخراج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، هذا الشخص الذي يُخرج من النار من أهل الكبائر، بعد أن يدخل فيها، وليس في قلبه إلا مثقال ذرة، هل الذي في قلبه مثل الذي في قلب رسول الله ﷺ؟ معاذ الله، بل هذا الشخص الذي ليس في قلبه من الإيمان إلا مثقال ذرة، ليس مثل بقية آحاد المؤمنين، وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلامه أنه قال: «رأيتُ الناس يُعرضون علي» يعني في المنام، ورؤيا الأنبياء وحي، ليست مثل رؤيا الناس العاديين، رأى حال الناس، «رأيت منهم من يبلغ الثُّدي» ثوبه هنا والباقي عاري، «ومنهم دون ذلك، ومر عمر وعليه ثوبٌ يجرُّه» قالوا: ما أوَّلته؟ قال: «الدِّين» يتفاوت الناس فيه. هل إيمان عمر هذا الذي يجر الدِّين اللباس في المنام خير، لأن اللباس يُعبَّر بقوة الدِّين، لذلك رأى النبي ﷺ عمر ليس عليه ثوبًا عاديًا، عليه ثوبٌ يجره من سبوغ الدِّين عند عُمر.

وفي نفس الوقت رأى أُناسًا من المسلمين ما عندهم من الإيمان إلا الشيء القليل منها ما يبلغ الثُّدي جمع ثدي، ومنها ما هو دون ذلك، والباقي عاري، لضعف دينه، فهل عُمر رضي الله عنه مثل هؤلاء، أو هؤلاء مثل رسول الله!.

إذا تأمل العاقل هذه المقالة يتعجب كيف مضت على هؤلاء عفا الله عنهم، وإلا فمن المعلوم أن الإنسان لو قيل له: إنك مثل رسول الله لاقشعر بدنه، أنا مثل رسول الله ﷺ ما تستحي تقول لي هذا الكلام، والله لا أقول إني مثل أدنى الأعراب زمن النبي ﷺ، أما تستحي حتى تُشبهني برسول الله ﷺ، مقام رسول الله ﷺ في الإيمان مقام أعلى وأرسخ من الجبال، فكيف نأتي نقول: نحن مثل الرسول ﷺ في الإيمان. ولهذا قال ابن أبي مُليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم من يقول: إيماني مثل إيمان جبريل وميكائيل». يعني الصحابة ما يقولون مثل قول المرجئة: أن إيماننا مثل إيمان جبريل وميكائيل.

مقالة الإرجاء أصلُها خرجت لضرب مقالة الخوارج، ولم يبزُغ الإرجاء إلا بعد فتنة ابن الأشعث لما خرج على الحجاج، فكانت ردة فِعل، فلما بالغ الخوارج في الذنوب، وكفَّروا صاحب الكبيرة، وبالغوا في أمر الواجبات، وأخرجوا من الإيمان من تخلى عن واجب، تعرف الواجبات ليس سواء، فما كل واجب يَخرُج به الإنسان من الملة إلا الصلاة على الصحيح فقط هي التي يخرج بها الإنسان من الملة إذا تركها. أما عندهم إذا ترك الواجب كفر، فجاءت المرجئة وخففت، فقالت: العمل أصلًا ليس من الإيمان، بحيث لو ترك العمل بالكلية ما خرج من الإسلام، فلا يُعالَج الباطل بباطل، الباطل يُعالج بالحق، وكونُ الخوارج يُبالغون هذه المبالغة ما يأتي أحدهم يُقابل طريقةِ الخوارج بأن يُقابل باطلهم بباطلٍ مثله، وإنما يُقابل الباطل بالحق، قال تَعَالَى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ [الأنبياء:١٨]. ما يحتاج إذا أتينا نرد على الباطل نستورد باطلًا لنرده، غير صحيح هذا الكلام في الحق ما يكفي. فأصل مقالة الإرجاء أتت للتخفيف مقالة الخوارج، فقابلوا الخوارج بمثل هذا فقالوا: أصلًا العمل لا يدخل في الإيمان، لكن يجب أن يُقال: إن مرجئة الفقهاء لا يُسهلون من أمر العمل، يقول نحن نقول: إنه ليس داخلًا في حد الإيمان، لكن لا نُسهِّل فيه، ولا نقول: إن الإنسان -مثلما تقدم- لا يضر مع الإيمان معصية، ولا نقول: إن أصحاب الكبائر مُعرَّضون للوعيد والدخول في النار، ونقول: إن الأعمال واجبة، ويُعاقب من تركها، يقول: لكن نقول: أصل الأعمال لا تدخل في حدِّ الإيمان. فقال أهل السنة: كيف تقولون لا تدخل في حد الإيمان وفي تعريف الإيمان، وقد جاءت النصوص بتسمية العمل إيمانًا كما تقدم في النصوص السابقة، أردتُ مُقابلة الخوارج، لكن ليست هذه الطريقة، وليس هذا علاجًا للباطل، وتلاحظ أن هذا الباطل إلى الآن وهذا الباطل موجود -للأسف الشديد-، كلما جاءت بلية من بلايا الخوارج قابلهم أُناس بنفس طريقة المُرجئة، لا يُعالج منهج الخوارج إلا بطريقة أهل السنة، لا يُعالج بالتخفيف من أمر الأعمال، أو بالتخفيف من أمر الذنوب، هذا غلط، فهذه طريقة مُرجئة، وهذه طريقة خوارج، وأهل السنة يبرؤون من طريقة الخوارج

والمرجئة معًا، وكلاهما طرفا نقيض، وكلاهما شر على الأمة، لكن أن يُعالج الباطل بباطل، هذا غير صحيح، ولهذا ما خرجت مَقالة الإرجاء كما رَوى عبد الله بن أحمد في «السنة» وغيره إلا بعد فتنة ابن الأشعث.

والعجيب سبحان الله! أن بعض من خرجوا مع ابن الأشعث انقلبوا مُرجئة، تلاحظون كيف يصير الإنسان خارجي، ثم يعود ليترك منهج الخوارج ليكون مُرجئًا، ويتركون المنهج الوسط.

فالحاصل أن مثل هذه المقالات تدلك على أن أمر الاعتقاد يسأل العبد ربه أن يثبته بالقول الثابت، إذا رأيت مثل مُرجئةِ الفقهاء، مثل أبي حنيفة معروف بالفقه، وهذه الزلة تقريبًا الوحيدة عنده، وإلا فبقيةِ أبواب الإيمان، وأبواب الاعتقاد، مثل الأسماء والصفات، والصحابة هو على طريقة السلف فيها، ولكن جاءت بلية الإرجاء، ولكن لا يُعالج الباطل بباطل، ولهذا أنكر أهل السنة على الخوارج وعلى المُرجئة معًا، وردوا على طريقة الطرفين قال: إن هذا الأسلوب أسلوب خاطئ، وإن العلاج الباطل لا يكون بتاتًا بعلاج باطلٍ مثله، لأجل ذلك ما قاله هنا عفا الله عنه كما سمعت الشيخ عبد العزيز بن باز وتعقبه عدد، منهم الشارح، لأن مثل هذا الكلام ليس بصواب، وأن القول بأن أهل الإيمان في أصله سواء، هذا غيرِ صحيح، قضية التفاضل بالخشية والتقى ومخالفة الهوى نعم، لكن لا يعني ذلك أنهم في الإيمان سواء، بل هم متفاوتون غاية التفاوت، ولا يعني ذلك أن الإيمان قول واعتقاد فقط، بل قولٌ واعتقادٌ وعمل، هذا الذي يجب أن يُجهر به، وهو من المآخذ على أبي جعفر غفر الله له وعفافاه.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى.

وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَلَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى مَا جَاؤوا بِهِ.

وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي النَّارِ، لَا يُخَلَّدُونَ إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ مؤمنين، وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِقَدْرِ جِنَايَتِهِمْ بِعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ، وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ؛ وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى تَوَلَّى أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ،وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وَلَايَتِهِ. اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ثَبِّتْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ..

❊❊❊

قال الشّارح وفّقه الله:

يقول رَحِمَهُ اللهُ: (وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ). يذكر الشارح أن الرد على الجهمية والمعطلة من المعتزلة والرافضة وغيرهم من قالوا: إن الأخبار قسمان:

منها: ما هو متواتر.

ومنها: ما هو آحاد.

فالمتواتر عندهم هو محل القبول دون الآحاد، وبعضهم يقبلُ الآحاد في غير العقيدة، ولا يقبل الآحاد إلا في مسائل الأحكام ونحو ذلك، كل هذا باطل، ولم يكن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يُفرقون هذا التفريق بتاتًا، إنما المعول في ثبوت الخبر عن النبي ﷺ، ولم يكن عند الصحابة هذا الأمر في التفريق بتاتًا، ولو قيل بمثل هذا لقيل: إذا قيل: إن الحجة لا تثبت في المُسائل الاعتقادية إلا في المتواتر لقيل: إنه لم تقُم الحجة على الفُرس والروم، فقد كان النبي ﷺ

يَبعَثُ الرجل الواحد بالخطاب، كالخطاب الذي أرسله إلى هرقل، وإلى كسرى، كانوا يبعثوا به رجلًا واحدًا، فلو قيل: ما تقوم الحجة إلا بالمتواتر، لقيل: إنها أصلًا ما قامت، لأن هذا الذي حمل الخطاب واحد، ثم كيف يُقال: إن المتواتر لا يُعمل به في الأمور التي يُعبرون عنها التي تُفيد العلم اليقينية المقطوعة، وقد ثبت أن النبي ﷺ حين حُوِّلت من بيت المقدس إلى الكعبة مرَّ أحد الصحابة رضي الله عنهم على أهل قُباء وهم يصلون، فقال: أشهد لصليت مع رسول الله ﷺ هذه الصلاة إلى الكعبة، فاستدار الإمام، لأن قبلة أهل المدينة إلى جهة الجنوب، وبيت المقدس إلى جهة الشمال بالنسبة للمدينة، فاستدار الإمام إلى جهة الجنوب، وصار المأمومون خلفه في نفس الصلاة، فصلاةٌ أُديت أولها إلى بيت المقدس، وآخرها إلى الكعبة بالخبر الواحد.

قد يقول: هذا من الأحكام، ليس هذا من الأحكام، هذه عقيدة أن القبلة هي الكعبة عقيدة، لو قال أحدٌ: إن الكعبة ليست هي القبلة لارتد عند جميع المسلمين، فبعضُ مسائلِ الأحكام هي عقيدةٌ مثلُ وجوبِ الصلاة، وجوب الصوم هذا اعتقاد.

فالحاصل: أن هؤلاء رضي الله عنهم عملوا بخبر واحدٍ، ومن أحسن من أشبع هذا المَقام الإمام الجليل الشافعي رحمه الله في أحسنِ كتابٍ في أصول الفقه على الإطلاق، وهو كتاب «**الرسالة**» كتاب عظيم جدًا، وقد قعَّد القواعد الأصولية الحقيقية، وتكلم عن خبر الآحاد، وبين حُجيته، وأن القول بأنه يُقبل في مواضع دونَ مواضع في أحكام دونَ عقائد أن هذا قول المعتزلة وأضرابهم، يعود إلى مسألة ما الذي يُفيد القطع، وما الذي يُفيد الظن.. إلى غير ذلك من تراهاتهم.

ثم قال رحمه الله: (**وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ**). لأن الله يقول: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ [يونس:٦٢-٦٣]

فولايةُ الله عز وجل لجميع المؤمنين، لكن يَتفاوتون في مِقدار هذه الولاية كما يتفاوتون في الإيمان، فكل مؤمن تقي فهو لله ولي، كما قال تَعَالَى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ [يونس:٦٢]. فجميعُ المؤمنين أولياء لله عز وجل، كما أن الكُفار أعداءُ لله، لكن يتفاوت المؤمنون في مِقدار هذه الولاية

بمقدار تفاوتهم في الإيمان، وأكرمهم عند الله اطوعم، أكرمُ المؤمنين عند الله ﷻ هو المُطيع أكثرهم طاعة، فهؤلاء المُطيعون لله تَعَالَى أكثرُ طاعةً هؤلاء أكرم على الله، كما قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]. أطوعهم وأتبعهم للقرآن، كلما كان الإنسان أكثرُ طاعةً لله، أطوع يعني أكثر طاعة، وأتبع للقرآن يعني أنه أكثر اتباعًا للقرآن، فبقدر ذلك يكون مقداره عند الله.

ثم عاد من جديد -كما تُلاحظ- في موضوع الترتيب أنه لم يقصد الترتيب رَحِمَهُ اللَّهُ وتكلم عن أركان الإيمان هنا، مع أن كل ما تقدم داخل في أركان الإيمان، كل ما كنا فيه من اليوم يعود إلى أركان الإيمان، فعادَ هنا وذكرَ أركان الإيمان، فقال: (**وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى**).

قد يقول قائل كما قلنا مثلما ذكر الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ: أن الأحسن أن يُبدأ في هذا في بداية العقيدة، ثم يُرتَّب الكلام على حسبِ ما وردَ في حديث جبريل هنا، تكلم عن الإيمان بالله حتى يُنتهى منه تمامًا، ثم يَتكلم عن الإيمان بالملائكة، ثم الكتب، ثم الرُّسل، لكن مثلما قلنا: إنه لم يكن يقصد الترتيب بذلك رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال: (**وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَلَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى مَا جَاؤُوا بِهِ**).

هذا هو الواجب أن نؤمن بجميع الرسل، من علمنا ومن لم نعلم، الذي علمنا نؤمن به بالتفصيل، نعرف اسمه، ونعرف أنه بُعث إلى قومٍ، وأنه قال لهم، وردوا عليه، لأن الله فصَّل خبره، الذين لم نعلمهم ممن قال الله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر:٧٨]. نؤمن بهم إجمالًا، تمامًا كالكتب، الكتب نؤمنُ بما عَلِمْنَا من أسمائها، كالتوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن والصحف، صحف إبراهيم وموسى، هذه نؤمن بها بأسمائها، وما أنزل الله من كتابه لم نعلمه فإنا نؤمن به إجمالًا كما قال تَعَالَى: ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى:١٥]. أي كتاب نحن نؤمن به، علمنا اسمه أو لم نعلمه، نؤمن

بكل نبيٍ عَلِمْنَا اسمه أو لم نعلمه، وكذلك الملائكة، نؤمن بجميع الملائكة من علمنا من أسمائهم ممن ذكر الله تَعَالَى في القرآن كجبريل وميكائيل، ومن لم نعلم نؤمن به إجمالًا، فهذه المسألة المتعلقة بالإيمان بالأسماء أسماء الكتب، أسماء الرسل، أسماء الملائكة، تكون إجماليةً وتفصلية، في التفصيل في من ذكر الله، حتى لو سألتُك الآن قلت: نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، دعا قومه يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره، لأن الله فصَّل، بقية الرُّسل الذين لم يقُص الله تَعَالَى خبرهم، نؤمن بهم إجمالًا، وهكذا الملائكة، وهكذا الكتب، ولا نُفرق بين أحدٍ من رُسله في الإيمان هذا المعنى.

وبعض العامة يقول: ما دام الله يقول: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة:٢٨٥]. كيف نقول: إن محمدًا ﷺ أفضل الرسل؟! هذا ليس تفريق، هذا تفضيل. قال تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥٣]. التفضيل موجود بنص القرآن، لكن التفريق بين الرسل في أن يؤمن ببعض الرسل، ويكفر ببعض. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۞ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء:١٥٠-١٥١]. هذا هو التفريق بين الرسل أن يؤمن ببعضٍ، ويكفر ببعض، أما التفضيل فبنص القرآن، هو موجود.

(وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى مَا جَاؤوا بِهِ)، نُصدق أن ما جاء به موسى حق، لأنه وحي الله، وما جاء به إبراهيم، وموسى، وشعيب، وهود، وصالح كلهم جاؤوا بالحق في وقتهم من لزم ما جاءت به الرسل ينجو ويكون من أهل الجنة، كل من لزم ما جاءت به رسل الله يأتون بالحق، فالله يُرسل الرسل بالحق، لكن لما بعث الله محمدًا ﷺ، وجب على الإنس والجن أجمعين ألا يتبعوا أحدًا سوى محمدٌ ﷺ، فمن كفر بمحمدٍ ﷺ وقال: إني مستمسك برسالة نبي قبله، فقد كفر بذلك النبي قبل كفره بمحمدٍ ﷺ، لأن الله تعالى أخبر أنه أخذ العهد على الأنبياء، أن يأخذوا العهد على أقوامهم إن بعث الله محمدًا أن يتبعوه، فمن ردَّ هذا العهد فقد كفر بمحمد، وكفر بالنبي ﷺ الذي أخذ عليه العهد. ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ

كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١]. فكان كما ذكر ابن عباس وعلي رضي الله عنه يؤخذ عليهم من قِبل أنبيائهم الإيمان بمحمدٍ ﷺ إذا بُعث، ولهذا الصادقون في الاستمساك بذاك العهد كعبد الله بن سلام والنجاشي وأمثالهم، لما بعث الله محمدًا ﷺ آمنوا به استمسـاك بذاك العهد، والكاذبون منهم الذين ردوا رسالة محمدٍ ﷺ مع علمهم بها علم اليقين، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فإن يكونوا قد كفروا بمحمدٍ، وبالنبي بالذي أخذ عليهم العهد.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي النَّارِ، لَا يُخَلَّدُونَ)، قد يُفهم من هذه العبارة أن هذا خاص بأهل الكبائر من هذه الأمة، لقوله: (وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ). والذي يظهر -والله أعلم- العموم، لأن النار قضى الله ألا يمكث فيها إلا أهل الكفر المحض، فالذين قبلَ هذه الأمة ممن كانوا على اتباع نبيٍ، ووقعَ منهم ما وقعَ من الكبائر وأُدخلوا النار، لاشك أنهم يخرجون من النار، كأهل الكبائر في هذه الأمة لا فرق، لأن النار لا يمكث فيها أبد الآباد إلا أهلُ الكفر الذين حبسهم القرآن كما في الحديث، هؤلاء هم الذين يُذبح الموت ويُقال: «**يا أهل النار خلود فلا موت**». وهم الذين يَمكثون فيها أبد الآباد، أما من كانوا من أهل الكبائر سواءٌ في أمةِ محمدٍ ﷺ أو في غيرِهِ من الأمم السابقة، فإنهم موحدون، وأهل التوحيد النار ليست دارهم، الأصل أن النار ليست دار أهل التوحيد، قال تعالى في الجنة: **﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [آل عمران:١٣٣]. وقال في النار: **﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾** [البقرة:٢٤]. فإذا دخل أهل التوحيد النار فإنه دخولٌ مؤقت بلا شك؛ لأنها ليست دارهم، فيمكثون فيها ما شاء الله تَعَالَى أن يمكثوا، ثم إنهم يُخرجون منها بعد رحمة الله ﷻ، بعد الشفاعة الذي آمنوا بها، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين، فلا يبقى في النار إلا أهل الكفر، فقوله: (**وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي النَّارِ، لَا يُخَلَّدُونَ؛ إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ**). الحقيقة قد لا يلزم، قد يكون مستحضرًا الكلام في صاحب الكبيرة من أمة محمد، ولا يلزم

أن يكون مُرِيدًا أن أهل الكبائر من غير هذه الأمة يُخلدون في النار، لأن هذا الكلام باطل في الحقيقة، لا يُمكن أن يقوله الطحاوي، ولهذا كان ينبغي ألا يوضع هذا القيد، وأن يُقال: وأهل الكبائر عمومًا سواءً من أمة محمدٍ ﷺ أو ممن كانوا من أتباع الأنبياء السابقين، لأنهم موحدون جميعًا، التوحيد هو دين جميع الأنبياء، وإن لم يكونوا تائبين قطعًا لأن صاحب الكبيرة إذا تاب جبَّت توبته كبيرته، فلا يكون من أهل الكبائر يلقى الله من غير أهل الكبائر، كما أن الكافر إذا أسلم لا يلقى الله بكفر، وإنما يلقى الله تَعَالَى بما خُتم له.

يقول: (بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ مؤمنين، وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]). فبين تعالى أن الذي لا يُغفر هو ذنب الشرك الأكبر، فإن الله لا يغفره مُطلقًا، ولا يُمكن أن يعفو عن هؤلاء، وهم في النار أبد الآباد: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة:٧٢].

أما من كان عنده ذنبٌ دون الشرك، وهو الوارد في قوله تَعَالَى: (﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]). فحرف (ما) يُفيد العموم، كل ما سوى الشرك، فإنه داخل في قوله: (﴿مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ٤٨]). من أنواع الكبائر هو المقوصد الذي ذكرناه سابقًا، من أنواع الكبائر الذي ذكرناه من أنواع الكبائر والمقصود الذي ذكرناه سابقًا، من أنواع الكبائر التي هي الذنوب المعروفة من شُرب خمرٍ أو فواحش، أو نحو ذلك من الكبائر التي هي الجرائم، فهذه التي تكون تحت مشيئة الله.

أما من ترك الصلاة مثلًا فإنه -في الحقيقة- يُلحق بالكفار بنص الحديث، هو الذي عليه الصحابة رضي الله عنه كما ذكرنا.

(﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]). فيكون أهل الكبائر في هذه الحالة بين أحد أمرين: إن شاء عذَّبهم بعدله، فإن عذبهم فبعدلٍ منه، ثم يُخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين، ثم يبعثهم إلى جنته، وإن شاء تلقَّاهم تعالى برحمته، ولم يدخلهم النار أصلًا، فيُمكن أن يلقى الله تعالى أحدٌ بكبيرة ولا يُدخله النار، فهذا راجعٌ إلى الله، ولا يُمكن أن

يُتدخل بين الله تعالى وبين عباده. وقد ثبت في الحديث أن بغيًا من بغايا بني إسرائيل سقت كلبًا، فغفر الله تعالى لها، فأمور المغفرة هذه في قوله: (﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]). هذا راجع إلى الله ﷻ، من شاء غفر له، ومن شاء عذَّبه.

(وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى تَوَلَّى أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ،وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ) يعني أن الله تعالى هو ولي المؤمنين، ولن يجعل المؤمنين في الدنيا وفي الأخرى مثل أهل الكفر، بل يتفاوتون في أحكامهم في الدنيا وفي الآخرة.

(اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ثَبِّتْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ).

في النسخة الأخرى: (مسِّكنا بالإسلام حتى نلقاك به).

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ.

وَلَا نُنَزِّلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ، وَلَا بِشِرْكٍ، وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

قال الشّارح وفّقه الله:

تكلم هنا عن الصلاة خلف كل برٍ وفاجر، **المسلمون صنفان:**

الصنف الأول: أبرارٌ متقون.

والصنف الثاني: وهم مسلمون، يكون عندهم معاصي، وهم متفاوتون أيضًا في هذه المعاصي، بعضهم يصل في معاصيه إلى أن يكون منه الفجور، وجميعهم من أهل القبلة، يعني أنهم جميعًا مسلمون، إذا قيل: إنهم من أهل القبلة، لأنهم جميعًا يستقبلون الكعبة.

وهذا من دلائل أن الصلاة أمرُها عظيم، فسُمي المسلمون بأهل الإسلام، وسُموا بأهل القبلة، لأن المسلم يُصلي، وسُموا بأهل الصلاة، إذا قيل: (أهل الصلاة) فالمقصود أهل الإسلام، لأن المسلم يُصلي، واحتج من رأى كفر تارك الصلاة، ومن أحسن من تكلم فيها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «الإيمان» قال في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ ۝ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ**﴾ [القلم:٤٢-٤٣]. فهؤلاء ما كانوا يُصلون في الدنيا، فلذلك في القيامة إذا كشف الرب عن ساقه عجزوا عن أن يسجدوا، وكذلك أهل النفاق الذين كانوا يسجدون نِفاقًا، يجعل الله ظهر الواحد منهم طبقة واحدة لا يستطيع السجود.

وقال أيضًا: إن من الأدلة على كفر تارك الصلاة أن النبي ﷺ أخبر أنه يعرف أمته بكونهم غُرًا مُحجلين، والغَرة والتحجيل من آثار الوضوء، والذي لا يُصلي، لا يتوضأ، قال: فدل على أنهم ليسوا من أمته.. إلى غير ذلك من النصوص والدلالات التي ذكرها رحمة الله تعالى عليه، وأجاب عن الدليل الذي يحتجون به كثيرًا، في عدم كفر تارك الصلاة، وبين وجهه،

وبيَّن الفرق بين من يترك الصلاة، وبين من لا يُحافظ عليها، فالحديث الذي ورد أن من لم يُحافظ على الصلاة، لم يجعل الله له نورًا ولا بُرهانًا، وليس عند الله عهد إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، قال: فرق هذا لم يُحافظ، ونحن لا نتكلم في الذي لا يُحافظ، نتكلم في التارك تركًا كُليًا، هذا هو الكلام الذي فيه، أما من لم يُحافظ فهو يُصلي في بعض الأحيان، ولهذا الصحيح أنه لا يكفر، وإن كان قد فَعَلَ أمرًا عظيمًا جدًا، لكن لا يكفر، لأنه يُصلي في بعض الأحيان، ولم يترك بالكلية، والكلام على التارك تمامًا، الذي يُدعى إلى السجود فلا يسجد في الدنيا، بالتالي لا يسجد في الآخرة، وأفاض بهذا رَحِمَهُ اللَّهُ.

نقول: (وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ)، يعني أنك إذا صليت خلف إمام، هذا الإمام بر وصالح، مثل عمر بن عبد العزيز، وقد تُصلي خلف إمام فاجر كالحجاج بن يوسف، لأن الحجاج وإن كان مُبيرًا وظالمًا وفاجرًا، إلا أنه مسلم، فنصلي خلفه وإن كان فاجرًا، هذا الذي فعله الصحابة، فكان يصلي خلفه ابن عمر، وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

تبقى مسألة الصلاة خلف الفاسق، إذا كان الإمام إمام الصلاة ولي أمر يختلف وضعه، لأن عدم الصلاة خلفه كما سيأتي قد تؤدي إلى فتن، لكن إذا كان الإمام فاسقًا يظهر عليه الفِسق وهو من أئمة المساجد، الأصل ألا يُمكَّن من إمامة الصلاة، لأن إمامة الصلاة أمرُها عظيم، فالذي كان يُصلي بالمسلمين زمن النبوة هو رسول الله ﷺ، فكون الإنسان يتقدم ليصلي في مقام كان يصلي فيه رسول الله ﷺ، وهو من شُراب الخمور أو من أهل الفواحش، لاشك أن هذا لا يجوز، واختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى في حُكمه، والصلاة خلفه، فمنهم من يرى أن الصلاة خلفه لا تجوز، وهو رواية عن أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، ومنهم من يرى أنه من حيث كونه مسلمًا فإن الصلاة خلفه مُجزئة، وقالوا إن النبي ﷺ: «يُصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم». فيكون غِب جُرم هذا عليه، وإن كان الحديث هذا قد يُحمل -والله أعلم- من الأئمة من الحكام.

قال: (وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ)، يعني نُصلي على من مات من أهل القبلة البَر منهم والفاجر، فلو مات أحدٌ من أهل الفسق والفجور، لكن معلوم أنه مسلم، هل يُصلى عليه؟ لا يجوز أن تُترك الصلاة عليه أصلًا، بحيث يُقال: هذا الشخص الفاسق اتركوه، يُرمى في المقبرة لا يُصلى عليه، لا يحل هذا مُطلقًا، لابد أن يُصلى عليه، لكن هناك أصناف، ثبت أن النبي ﷺ ترك الصلاة عليه من باب الزجر ليس لهم، لأنهم موتى ما أزجر الميت وإنما أزجر غيره، كالذي أُتي به النبي ﷺ وقد انتحر، فترك الصلاة عليه ﷺ، ولكن صلى عليه الناس، فلا يُترك من الصلاة نهائيًا، لكن إذا كان هذا الشخص متظاهرًا بفسق، فلابد أن يُصلى عليه كما قلنا، لكن في بعض الأحوال يترك الإمام وأهل العلم الصلاة عليه ويُصلي عليه غيرهم من باب زجر أمثاله، وإلا هو الآن ميت، والميت ما يُزجر انتهى وضعه، الزجر لغيره، حتى يقول هذا المتجرئ على الفسق والفجور لأن أهل الخير وأهل الفضل إذا جاء أشد حالاتي إذا مشت ذاك اليوم سيتركون الصلاة علي والله لأتركن هذا الفِسق، أو على الأقل أخفيه ولا أجهر به، لأنه لا تُترك الصلاة إلا على شخصٍ قد استعلم، فأقل أحواله هذا، وهذه الفائدة من ترك الصلاة عليه، لكن أن تُترك الصلاة عليه من قِبل الجميع لا يجوز هذا، فلأجل ذلك ذكر أمر الصلاة على هؤلاء أبرارًا كانوا أو فُجارًا.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَلَا نُنَزِّلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا)، لا نُنزل أحدًا من المحسنين ونقول هذا من أهل الجنة، كما عبَّرنا قلنا: إن بعض الجُهال يقول: هذه المرأة الطيبة الصالحة هذه ماتت هي من أهل الجنة، وهذا الرجل الخيِّر الصالح كبير السن هذا الطيب المُحسن باني المساجد، كافل الأيتام، هذا من أهل الجنة، ما يجوز لا تُنزل أحدًا الجنة إلا إذا شهد لهم النص. وهكذا النار، لا تُنزل أحدًا النار إلا إذا شهد لهم نص، لكن اجمالًا تشهد لعموم المؤمنين بأنه إذا لقوا الله بإيمانهم فإن الجنة أُعدت للمتقين، وأهل المعاصي يُخاف عليهم، وقد ثبتت النصوص بأن أصحاب الربا في النار، وثبتت النصوص بأن قاتل نفسه في النار، لكن هذا المُحدد الذي انتحر لا تستطيع أن تُنزله النار، وفرق عندما يأتي نص عام في من انتحر، ثم

ينتحر الإنسان ليس لك أن تُنزل النص عليه، لأن الله تعالى قد يتلقاه برحمته، لأنه من أصحاب الكبائر في نهاية المطاف.

وجاء عن النبي ﷺ أن الطُّفيل الدوسي رضي الله عنه هاجر إلى النبي ﷺ وهاجر معه رجل من قومه، ثم إن هذا الرجل أصابه مرض فقطع أبراج أصابعه وانتحر، فرآه الطفيل رضي الله عنه في المنام فقال: «ما فَعَلَ الله بك؟ قال: غفر لي بهجرتي لنبيه» صحيح أن الانتحار أمر عظيم، لكن قابله الهجرة، وهو يدل على أن أجر الهجرة عظيم، وأن أجر الصحبة كبير، قد تُكفر معه كبائر عظيمة، وإلا فصاحب الكبيرة فيه الوعيد الشديد، أن من قتل نفسه بشيء عُذِّب به.

قال: «ورأيت على يديه قُماشًا» وقطع البراجم، فقلت: ما هذا القُماش على يديك؟ قال: قيل لي: لا نُصلح ما أفسدت» المغفرة حصلت لك، لكن هذا الذي أفسدته أنت لا نُصلحه، لا تزال المسألة رؤيا إلى الآن، فلما أخبر به الطفيل رضي الله عنه النبي ﷺ قال: «اللهم وليديه فاغفر» والحديث في «صحيح مسلم».

فدل على أنه يُمكن أن يُغفر له، فلا تُنزل أنت النص على من انتحر، وعلى من مات وأنت تعلم أنه يشرب الخمر، وعلى من مات من أصحاب الربا، قال تعالى في أصحاب الربا: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥] . وهذا مات مُرابيًا فهو من أهل النار، ما يجوز، هذا نص عام، والحالة المعينة الله تعالى أعلم بها؛ لاحتمال أن يدخل في قوله: (﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]).

قال: (وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ، وَلَا بِشِرْكٍ، وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ). هذا هو الأصل من أظهر الإسلام فإننا نستصحب أنه مسلم، ولا نشهد بأنه من المشركين، ولا أنه من المرتدين الكفار، ولا بأنه من المنافقين، إلا إذا ظهر شيء واضح، كأن يظهر منه الشرك الأكبر، أو يظهر من فلتات لسانه مقالة تدل على كفره، أو يفعل فِعلًا من أفعال الكفار عند ذلك نشهد عليه، وما سوى ذلك نذرُ سرائرهم إلى الله.

لاشك أنه يوجد في المسلمين منذ زمن النبي ﷺ إلى الآن وما بعد الآن منافقون كفار في وسطهم قطعًا بلا أدنى تردُّد، بعضهم جواسيس لدول، بعضهم منافقون في الداخل ملاحدة، الله أعلم بأحوال عبادة، وهو المطلع على سرائرهم، وهو الذي إليه مآلهم، لكن ليس لك أن تشهد إلا بما ظهر لك، الظاهر لك هو هذا، قد تظهر على بعض الناس أمور من الريبة، توجد شيء من البُغض لوضعه وحاله، لكن لا يُشهد ولا يُقطع، حتى يظهر منه، المقصود يظهر أمارات معينة، فإذا ظهر منه الشيء المؤكَّد شُهد عليه به من كفرٍ أو شرك، أما ما سواه، فالأصل أن تُترك السرائر، وهذا فيه حماية كُبرى للدماء في الإسلام، لولا أن الله حكم بهذا الحُكم لكان كل شخص يُمكن أن يعدو على أحد، أو يقتل الحاكم أُناسًا يقول: أنا أعرف منهم الكفر، أنتم لا تدروا، لكن أنا متأكد من أنهم كفار، كيف عرفت؟ ما لكم أنا أفهم، ليس لك هذا، لو يبلغ عددهم ما شاء الله، ليس لك أن تقتل أحدًا أو تُعامل أحدًا معاملةً على أنه كافر إلا إذا ظهر منه الكفر قولًا، أو عملًا، ما دامت المسألة سرائر بينه وبين الله، فالله هو الذي يتولى سرائر عباده.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ.

وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ ﷻ فَرِيضَةً؛ مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ.

۞

قال الشّارح وفّقه الله:

السيف لاشك أنه مرفوعٌ على الكفار، والأصل ألا تتقاتل أمة محمدٌ ﷺ، الأصل أن الجهاد للكفار، قال ﷺ في حديث بُريدة: «**اغزوا بسم الله، قاتلوا من كفر بالله**». هذا الأصل، والأصل أن السيف لا يكون بين المسلمين مُطلقًا، فلا يرفع مسلم على مسلم سيفه، لأن الأصل المسلمين يكونون جميعًا يرفعون سيفًا واحدًا على الكفار، فلا يحل أن يرفع المسلم السيف على مسلم، إلا بحقه، وهو من وجب عليه السيف، فيُرفع السيف في القصاص؛ ليُقتص من القاتل، ويُرفع السيف عند الحدود التي فيها حد القتل، ويُرفع السيف على الخوارج، ويُرفع السيف على البغاة إذا أبوا أن ينزجروا ويكفوا عن بغيهم، لأن البغاة غير الخوارج، الخوارج يخرجون بالسيف ليُزيلوا الإمام، أو يُنكروا المنكر، البغاة عندهم شيء مما يزعمون أنه حقوق هُضموها، فقبل أن يُقاتلوا يُقال: ما الذي لكم؟ قالوا: عندنا حقوق إذا كان بالفعل قد أُخذت منهم حقوق تُرد لهم حتى لا يكون السيف بين الأمة، إذا كان عندهم شُبهة تُزال الشبهة، بحيث ينتقلون من حال البُغاة إلى أن يرجعوا إلى الجماعة، فإن أبوا وأصرُّوا حتى بعدما أُزيلت الشبهة قالوا: بل نرفع السيف صار الوضع وضع خوارج، فالأصل ألا يُرفع السيف بين المسلمين، أهل لا إله إلا الله لا يتقاتلون فيما بينهم، لأن سيفهم واحد، فلما ابتُليت الأمة بما ابتُليت به، ووقع السيف كان لابد من تحديد الأحوال التي يكون فيها السيف، أما في الحدود والقِصاص، فهذا واضح، أما ما سواه، فإن الأصل أن المسلمين لا

يتقاتلون إلا إذا خرجت خارجة من الخوارج فإنهم يُقاتلون، وهكذا البُغاة إذا أبوا وأصرُّوا فإنهم يُقاتلون، وإلا فالأصل أن السيف يكون مرفوعًا على غير المسلمين.

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ عَجَّلَ فَرِيضَةً؛ مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ.

❀❀◈❀❀

قال الشّارح وفّقه الله:

ما أكثر الخوض والخبص في هذه المسألة، وما أكثر الطرفين المتقابلين في هذه المسألة، مع أنها أيسر مسألة من مسائل الاعتقاد فيما أعلم، مسألة يسيرة كبَّرها الناس، إذا أردت أن تتحدث عن مسألة ولاية الأمر تجد الكلام فيها سبحان الله محدودًا جدًا للغاية، مثلما ذكر عندك الآن، هذا المذكور هنا الآن يُنهي الكلام في موضوع الولاية، كلام محدود واضح، لكن كثرة النقاشات في هذه المسألة، ودخول الأهواء فيها أدى إلى هذا الطول الشديد، وهذا الأمر الذي صار بمثابة العُقدة التي لا تتضح، مع أن مسألة الولاية كما قلنا: مسألة واضحة سهلة، لكن مسألة الولاية وقع فيها الحقيقة طرفان ووسط، ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ جانبًا من الطرف المُقابل طرف الخوارج، فذكر أن النواصب في زمن بني أمية، كان عندهم اعتقادٌ رديءٌ جدًا، وهو أنهم يعتقدون أن الحاكم يُطاع في معصية الله وفي طاعة الله، قالوا: لأن الله تَعَالَى أمرنا بطاعته، ونحن مسؤولون عن أمر الله لنا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء:٥٩]. فسواءٌ أمرونا بحقٍ أو بباطل، هذا أمرٌ راجعٌ إليهم، لكن بالنسبة لنا سنطيعهم، ولهذا قالوا: إن شمر بن أبي الجوشن لما قال له أبو إسحاق السبيعي، وسمعه يدعو بدعاء قال: تدعو الله تعالى وقد قتلت ابن بنت رسول الله ﷺ يقصد الحسين؟ قال: «إن هؤلاء الولاة أمرونا بأمرٍ، فلو لم نُطعهم لكنا كالحُمر السقأة». يقول: لابد نُطيعهم مُطلقًا.

وذكر الشيخ أن عندهم اعتقادًا عجيبًا جدًا أنهم يرون أن الحاكم إذا استخلفه الله تعالى، فإن الله يقبل منه الحسنات، ويتجاوز عنه السيئات، ولك أن تتصور الحاكم حين يُقال له هذا الكلام، حسناتك مقبولة وسيئاتك مغفورة، هذا خطير جدًا، ولهذا قال الوليد بن عبد الملك للزهري، وكان النواصب قد وضعوا حديثًا مكذوبًا عن النبي ﷺ في هذا المعنى، أن الله إذا استخلف خليفةً، قبل منه الحسنات وتجاوز عنه السيئات، فقال: يا أمير المؤمنين، أنت خيرٌ أم داود؟ إن الله تعالى قال لداوود: ﴿**يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾ [ص:٢٦]. يعني أن الله تهدد داود، فقال الوليد بن عبد الملك: إن الناس ليغروننا عن ديننا، يعني هؤلاء كذابون». غروني، وظننت أن هذا هو الحق، حتى سأل الإمام الجليل الزهري رَحِمَهُ اللهُ قال: كذاب يكذب عليك. الله تعالى تهدد داود، أأنت خير من داود؟.

فكان هؤلاء يقولون بالطاعة المطلقة، ولهذا كان يُضرب المثل بطاعتهم فيُقال: طاعةٌ شامية، يعني أهل الشام يُطيعون طاعة مطلقة.

وكان الحجاج يقول: يا أهل السمع والطاعة، لأنهم يُطيعون مُطلقًا.

لاشك أن هذا مرفوضٌ، وأن هذا باطل، وأن الله ﷻ لا يُمكن أن تأتي الطاعة لمخلوق بهذا القدر سوى رسول الله ﷺ لأن طاعته من طاعة الله، كما قال تعالى: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ**﴾ [النساء:٨٠].

الجانب الثاني المُقابل جانب الخوارج الذين لا يرون أصلًا الولاية ابتداءً، ويرى أن هذا الحكم القائم أنه أصلًا ما ثبت، وبعضهم يُبايع بيعات إما سرية، أو لأُناس آخرين، ويرون أن إمارة المؤمنين في ذاك الشخص، أما الذي هو تحت ولايته فلا يرى له ولاية، هذا إذا مات بنص الحديث يموت ميتةً جاهلية، لأنه إذا خرج عن السلطان والخروج عن السلطان يكون بالسيف، ويكون باعتقاد أن هذا الحاكم ليس ولي أمري، وقد ثبتت له البيعة، ولي أمري كرغم أنفك، ولو لم يروق وضعه، ما دام مسلمًا أطيعه في المعروف، ولا تُطعه في المعصية

كالنواصب والولاة من المرجئة، لأن هذا الاعتقاد كان عند غُلاة المرجئة، وعند النواصب، فقابلهم أيضًا الخوارج، في الوقت الحالي تعقَّد أمر الولاية تقعدًا شديدًا بسبب استقدام جملةٌ من المفاهيم الأجنبية، وبخاصة بعد الثورة الفرنسية، وأُدخل -للأسف الشديد- باسم أُناس ينتمون إلى الدعوة إلى الله ﷻ، ولهذا رأوا أن الجانب السياسي فيما يتعلق بالشرع أن الوضع فيه فيه معارضة فيه حكم، وأنها تُتداول السلطة بهذا الأسلوب، وأن الأصل أن يُرجع إلى الشعب، فإذا أقروا انتخاب الحاكم يبقى، وإذا ما أقروه في قسم آخر قسم المعارضة، هذه المعارضة تأتي وتكون هي الحاكمة، ثم ننظر ماذا تفعل المعارضة، فإذا رضيها الشعب فبها ونعمة، ما رضيها الشعب أنت يا حاكم تقدم في الانتخابات القادمة، وانظر ماذا يقول الشعب، فإذا فُزت بالاقتراع تعود المعارضة على الجهة اليمنى وهي التي تكون فيها المعارضة. هذا عند الذين لا يعرفون الله واليوم الآخر من بهائم الغرب. أما في الإسلام، فالله تعالى كفانا هذا، الأصل عندنا أن هناك جماعة، والجماعة مكونة من حاكم ومحكوم، والأصل الشرعي فيها هو التعاون كما يتعاون المؤمنين بعضهم مع بعض، سواءً كان حاكم ومحكوم، جار مع جاره، زميل مع زميله، الأصل أن المؤمنين أخوة، فإذا غلط الحاكم يُحتسب عليه، كما سيأتي إن شاء الله تعالى، ويُنصح كما يُنصح أي مسلم، ولكن نصيحة الحاكم كما سيأتي لها شأنٌ عظيم، لهذا يُشترط فيها جانب السر كما سيأتي في الحديث الذي في «مسند أحمد» وعموم النصيحة للمسلم أن تكون بينك وبين أخيك النصيحة، فجاء هذه المفاهيم للأسف الشديد وغُلفت بغلاف إسلامي مما أوجد بلبلة كبيرةً في هذه المسألة، ولا يوجد في الشرع مُطلقًا شيء اسمه معارضة، الموجود في الشرع اسمه أمر بمعروف ونهي عن منكر، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أباك وأخاك وجارك وزميلك، ويأمر بالمعروف الصغير، الصغير يأمر الكبير العامي قد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر العالم، الرعية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بالأسلوب الشرعي للحاكم، الأصل التعاون، أما قضية معارضة، وأن يجلس الحاكم لهذه المعارضة تجلس المعارضة لهذا الحاكم، فهذا ليس من دين الله في قليلٍ ولا كثير، إنما

استُقدم من الغرب، كما استُقدمت جملة من المفاهيم الفاسدة وغُلفت بالغلاف الشرعي، أما أن يكون لها في دين الله شيء، فمطلقًا لا يُمكن أن يكون هذا، الأصل أن الحاكم إذا حكم أنه يبقى، وليس هناك تحديدٌ لعُمرهِ. عثمان استشهد رضي الله عنه وعُمره في الثانية والثمانين، فلا يُقال: إذا بلغ مُدة، أو تكون مدة الولاية خمس سنين أو سبع سنين ما في هذا الكلام، إذا ثبتت بيعته واستمر في الأحوال التي بُويع عليها من كونه مسلمًا عاقلًا بالشروط المعتبرة، فإنه يبقى ما دام قادرًا، إلا أن يطرأ عليه عجزٌ في عقله أو نحوه، ففي هذه الحالة يكون غير مُكلفٍ شرعًا، هذا وضع آخر، أما مثل هذه التحديدات فليس في دين الله من قليل ولا كثير، لكن للأسف الشديد شاقت هذه المسائل جملة من المتأخرين، ودخلت على المسلمين، صارت قضية ولي الأمر من القضايا كأنها مستغلقة صعبة، مع أنها قضية سهلة.

ولي الأمر واحد من المسلمين أَخٌ لهم وهم إخوانٌ له، لا يُمكن أن يجلسوا يترصدون له، أو يجلس هو يترصد لهم مُطلقًا، هذا ما هو في دين الله، ولا يُهئ الشرع الأمة على هذا الأساس، إنما هي جماعة من حاكم ومحكوم، يتعاونون على البر والتقوى، هذا الأصل، ولهذا يؤمر الحكام بالرفق بالرعية، وتؤمر الرعية بالصبر على الحاكم، حتى تستقيم الأمور، وهذا الذي عليه عمل السلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، ثم إنه إذا وُجد خطأ من الحاكم ولابد أن يوجد خطأ.

يأتي الجانب المتعلق بأمره، فإذا أمر بمعصية، فبنص الحديث يقول ﷺ: «**على المرء المسلم السمع والطاعة، فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**».

ما يُسمع أصلًا لأحد في معصية لا حاكم ولا أب، ولا زوج، ولا سيد مع عبده مُطلقًا، ما في أحد مخلوق هذا، ما يُمكن يطيعوا مخلوقًا في المعصية.

إذا أمر بمعصية ماذا نفعل ببقية أوامره؟ بقية أوامره ثابتة صحيحة، لأن له ولاية صحيحة، لكن يُرد عليه الباطل الذي أمر به، فلا يُطاع في المعصية.

وبعضهم يقول، أو يفهم أنه إذا أمر بمعصية سقطت ولايته، هذا غير صحيح، ما تسقط الولاية إلا بالكفر البواح، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**حتى تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان**».

ماذا نفعل مع أخطائهم؟ روى أحمد أن النبي ﷺ قال: «**من أراد أن ينصح لذي سلطان، فلا يُبدِه علانية، وليأخذ بيده**» يعني فيما بينه وبينه، «فإن قبِل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه». تكون قد أديت الذي عليك بأن نصحت هذا الحاكم وأمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر، لكن لا تُبدِهِ علانية، ما يُصعد على المنابر ويُنشر ما عنده من أخطا، هذا غلط.

والحقيقة: أن مثل هذا الأسلوب يؤدي إلى عناد الحاكم، وهذا من الإشكالات الكبيرة، ويؤدي إلى أن الحاكم يقول: ما دامت الأمور بهذه الطريقة، فالولاية الصحيحة والولاية السليمة أن أُصِر حتى إذا جاء النصحة الصادقون للحاكم وإذا بالحاكم قد استغلق، فيتسبب الحَمقى في صعوبةِ نُصح الحاكم، ولهذا ليتهم لا ينصحون، إذا أرادوا الأجر لا ينصحون، لأن الله سيُبقي في الأمة من يُحسن النصيحة، أما هذه الاستفزازات فغلط، أو جمع الأخطاء، ثم إرسالها ونشرها في الفضاء الخارجي، فيستغلها الكافر، ويستغلها العدو، ثم يبدأ يُنشر هذا الأمر بين المسلمين، الأصل أن المسلمين بمثابةِ الأسرة الواحدة مثل بيتك، إذا جاءت فيه مشكلة جارك ما يدري عن بيتك في مشكلتك، هذا هو الأصل عند العُقلاء، أما الذي ينشر مثل هذا خطأً، ما الذي يُفرح بهذه المسائل؟ إذا وَجد واحد شخص، وجد له مشكلة من حاكم جاء يقولها، يكفي الناس همومهم وغمومهم، تزيد الناس همًا وغمًا، حتى تنشر مثل هذا الباطل؟ كل هذا أدى إلى استفحال مُشكلة الولاية، الولاية انظر الأصل انتهت عند الطحاوي تمامًا، عند العقلاء الذين يفهمون مثل هذه المسائل كيف يتعاملون معها، فلا نكُن على حد نواصب بني أُمية الذين يقولون: يُطاعون في المعصية، أو من ذَكرها النبي ﷺ ممن يُزينون لهم الباطل، وأخبر ﷺ أنهم سيُذادون عن الحوض، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ستكون خلفاء، فمن دخل عليهم فصدَّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظُلمهم فليس مني ولستُ**

منه، **ولن يرد علي الحوض**». فهؤلاء ضررهم بالغٌ على الأمة وعلى الحاكم، بدل أن ينصحوا الحاكم، ويكونوا هيبةً نُصح له، يكونون مُعينين له على الباطل، فلهذا يُذادون عن الحوض.

في المقابل الذي يحصل من إثارة الحاكم، أو تهوين شأن الحاكم، ورد في الحديث أن من أذل الحاكم فإن الله تعالى يُذله قبل يوم القيامة، إذلال الحاكم مُشكلة، لأن الحاكم بمثابة الرأس للأمة، فإذا أُذل وأُهين، الحقيقة أن الأمة أُهينت، يعني هذه البلدة إذا أُهين حاكمُها الحقيقة أن الجميع أُهين، فمثل هذه الطرائق أدت إلى شيءٍ من شدةِ هذه المسألة بين الحُكام وبين المحكومين، وصارَ بعضُ الحكام ينظر إلى هذه الرعيَّة بمثابة العدو المتربص له، وفي المَقابل صار بعض من في الرعية لا يرى ولايةً لهذا الحاكم، وبالتالي يكيد المكيدات المتنوعة، وقد يفعل في السر أمورًا، ويُدركها الحاكم لاحقًا فيؤدي إلى شيءٍ من الخلل والإشكالات والضرر العظيم، فالأصل أن يكونَ المؤمن بين الحاكم والمحكوم أداة نُصح، يأتي إلى الحاكم إذا كان يتمكَّن من الدخول إليه، ويُذكره بحق الله ﷻ، وأن الله سائله عن هذه الرعية، وأنهم جميعًا في رقبته، وأن الله سيسألهم عنهم صغارًا وكِبارًا، ويؤكد عليه الرحمة والشفقة بهم، وتقوى الله فيهم، وإيفاء الحقوق لهم، إذا أتى إلى الرعيَّة قال: هذا حاكمكم، وولي أمركم، والذي لو انفرط العقد لكان أول المتضررين أنتم، فإياكم والشطط والخلافات، فإن أول من سيذوق الوبال والنكال أنتم، فإعزاز الولاية وبقاءها قوية في غاية الأهمية.

ثم تُعالج الإشكالات علاج الناصح، بحيث يكون الإنسان مُنصفًا مُتقيًا لله، لا يكون مع الحاكم على الرعية، ولا يكون مع الرعية على الحاكم، يكون مع الحق، فيأتي إلى الحاكم، ويُذكِّره بربه، لذلك كان السلف يدخلون على الحكام، ولما نُقد الإمام مالك نقد العلماء عجيب مُنذ القِدم، قال رجل لمالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أبا عبد الله، تدخل على هؤلاء الولاة، وقد علمت أنهم يظلمون؟ قال رحمك الله: فأين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يقول: ما دخلت عليهم أسألهم مالًا، أنا دخلت عليهم أُذكِّرهم بالله، آمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن

المنكر، إذا قلت: لا تدخل، فمن سيأمرهم بالمعروف، من ينصحُ لهم، فلابد أن يُدخَل عليهم، وأن يُذكَّروا بالله ﷻ، وأن تكون الأمور بينهم وبين أهل العلم في حالٍ من الخُفية. وفي حالٍ من الإسرار، وإذا وُجِدَت مثل هذه الإشكالات فلاشك أن أفضل طريقة لعلاجها هو السر، أما إذا انتشرت، فالغالب أن الحاكم يُصِر، ويكون من الصَّعب أن يرجع.

فالواجب أن يُتقى الله في هذه المسألة، وألا تُتلقى، وهذه من المشاكل الآن، ألا تُتلقى هذه المسائل من شخص في كُلِّيَّة الزراعة، وشخصٌ في كُلِّيَّة الهندسة، وشخصٌ في كُلِّيَّة العلوم، ما الذي يُدخل في هؤلاء المسألة، مسألة السياسة الشرعية من أعمق، وأدَق، وأصعب فنون العلم الشرعي، صعبة للغاية من جهةِ التطبيق، أما من جهة الاعتقاد واضحة كما ذكرتُ لك، لكن حين يأتي شخص يقول: هذه المسألة الوضع للسياسة الشرعية أن يُقاوم فيها الحاكم، أو هذه المسألة من حيث السياسة الشرعية كفرَ بها الحاكم، ويُنزِّل هذه المسألة على حديث: «**حتى تروا كفرًا بواحًا**» بناءً عليه لابد أن يُزال.

المسألة في غاية الدِّقة، في غاية الخفاء، التطبيقات، أما الاعتقاد انتهى في ثلاثة أصدر، لكن التطبيقات تتلقاها الناس من غير أهل العلم الشرعي، صار الواحد منهم يقول أنا أتكلم في الطهارة وفي الصلاة أقول على الله بغير علم في الحج، معاذ الله، والسياسة الشرعية أليست أحكامًا شرعية؟ أليست يُمكن أن تُسفَكَ بها الدماء، أليست يُمكن أن تزول فيها البُلدان، تتورع عن مسألة من المسائل التي لو أَفتيت أحدًا، وأخطأ في الوضوء أو في الصلاة، تقول: معاذ الله لا أقول على الله بلا عِلم، تدخل في هذه المسألة العظيمة التي يُمكن أن تُسفك بها مئات الدماء، أن تُسفك فيها الدماء ويموت فيها مئات أو آلاف الأشخاص، يقول لك: هذا رأيي، من قال هذه المسائل فيها رأيي، هذه من السياسة الشرعية. هذه المسألة ذكرها الإمام الطحاوي، والإمام الصابوني، والإمام أحمد في كتب العقيدة، مسألة عقديةٌ لابد أن يُفهم هذا، ما تتلقى من الرعاع ممن هب ودب، يقول: أنا هذا وجهة نظري، من قال: إن هذه وجهة نظر، هذه سياسة شرعية، يجب أن يُعمل فيها قول أهل السنة، وأن يكون قولٌ وسط، لا قول

المرجئة ولا قول الخوارج، لأجل ذلك لما ضاعت هذه المسألة انظر ماذا حصل للأمة في العشر السنين الماضية، كم هلك من المسلمين ما سموه بالخريف، ما يُسمى بالربيع العربي، ما النتيجة، ما العاقبة؟ هلك من المسلمين، وانتُهِك من أعراض المسلمات، ودُمِّرت من البُلدان ما لا يُحيط به إلا الله، وقال وجهة نظر، من قال لك: إنها وجهة نظر، من قال: إن السياسة الشرعية وجهة نظر، تتورع عن مسائل يسيرة، وتدخل في مسائل الدماء، في مسائل الأحكام تقول: هذا ما له ولاية، ثم تخرج مسائل عجيبة جدًا ليست من قول أهل السنة، يقول لك: لا يُطاع أصلًا إلا الخليفة العام، الخليفة العام فقط هو الذي يُطاع، أما واحد ماسك لبلد وحاط عليها اسم، وهذا له إمارة، وهذا له إمارة، وكل واحد، هذه ما لها الأساس، إنما يُطاع الخليفة العام، هذا الكلام من أقبح أقوال الخوارج.

يقول الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الخليفة العام بالمعنى العام هذا قد زال قبل وقت الإمام أحمد، وصدق رَحِمَهُ اللَّهُ، لأن الولاية القويَّة كانت لبني أمية، حيث سيطروا على جميع البُلدان، لما جاء زمن بني العباس، خرجت مجموعة كبيرة من الولايات عن بني العباس، وصار بنو أمية في الأندلس، وكان العلماء في الأندلس يقولون لأهل الأندلس: أطيعوا بني أمية، والعلماء في العراق وفي الشام وفي مصر يقولون: أطيعوا بني العباس، ومن يوجَد في بلد، ويستطيع الاستقلال به يقولون: أطيعوا هذا، من قال: إنه لا يُطاع إلا الخليفة العام.

ثم ننتظر من الرافضة ننتظر من يخرج من السرداب حتى يأتي الخليفة العام، وإن بقي الخليفة العام ألف سنة، نبقى هكذا فوضى كأهل الجاهلية، من أين جاءت هذه الفكرة؟ من جَهَلة لا يُحسنون الأمر، وإلا مثلما قال الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب: هذا الأمر من قبل وقت الإمام أحمد، ما كان في ولاية عامة بالمعنى الذي كان في زمن بني أمية، وُجِدَ خلافة لبني العباس، لكن خرجَ من بني العباس كما قال شيخ الإسلام: كثير من البُلدان، صار فيها مجموعة من الولاة يُديرون الأمور بقطع النظر عن ولاية بني العباس، وبعضهم من باب

المجاملة يوم الجمعة يخطب بالدعاء للخليفة العباسي، لكن كل الأمور تُدار من غير بني العباس، فمثل هذا الكلام خطير جدًا يؤدي إلى أن الإنسان في وسط بلده يشعر أن هذا الحاكم ما هو بولي أمر، بالتالي أي أمر يُمكن يقوله ما لنا به علاقة، لأنه أصلًا ما له ولاية، وذاك الحاكم في البلد الثاني، وذاك في الثاني ماذا يصير لأهل السنة في مثل هذه الأحوال، وهذه الأقوال من أين أتت، لاشك أنها من الجهلة.

فالحاصل أن المسألة مسألة عظيمة جدًا، لا تستهل هذا الأمر، لا تتقبَّل مسائل السياسة الشرعية من كل من هب ودب، اقبلها من أهل العلم الشرعي، انظر كيف تُذكَر في كتب الاعتقاد، فلا نُبالغ مُبالغة النواصب، أطيعوا في المعصية لا، لا طاعة لمخلوقٍ في المعصية. وأيضًا لا نُضيع أمة محمد ﷺ بأن نُسقط الولاية فتُهدم البيوت حتى رؤوس المسلمين، فلهذا قال: (**وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا**)، والله تعالى هو الذي ولَّاهم، ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ**﴾ [آل عمران:٢٦] . والله لا يملك أحد على وجه الأرض إلا إذا مكنه الله، وإذا شاء الله أن يُزيله أزاله سبحانه وتعالى كما أزال أُناسًا بعد أن بقوا غايةً في القوة نحو أربعين سنة، ثم زالوا بأضعف ما يكون، المُلك لله ﷻ.

ثم ننظر هذا الذي ولَّاه الله تعالى أمرَنا، فإن أمرَنا بمعروف أطعناه، وإن أمرنا بمعصيةٍ لم نُطعه في المعصية، ونُبقي على كيان الأمة، نُبقي على جماعة الأمة، لأن الجماعة حاكم ومحكوم، إذا زال الحاكم تكون فُرقة ما يكون في جماعة، لأجل ذلك قال: (**وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا**)، يعني وإن ظلموا، والظلم يكون بالدماء، بالأموال، بالاستحواذ على الأملاك التي لا يحل أن يُستحوذ عليها، ولهذا بايعهم النبي ﷺ على السمع والطاعة فيما أحبوا وكرِهوا، وعلى أثرةٍ علينا، سيُستأثر عليك، وتُؤخذ أمور عامة، لا يجوز أن يأخذها الحاكم؛ لأنها للجميع، بايع على السمع والطاعة حتى في مثلِ هذه الأحوال حتى يبقى للأمة كيانها.

(**وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ**)، الأصل أن يُدعى لهم، لأنهم من المسلمين، والمسلم يدعو للمسلم، فأما الدعاء عليهم، فكما قال مُطرِّف العلاء بن عبد الله ابن الشخير رَحِمَهُ اللهُ لما قال له رجل: أدعو على الحجاج؟ قال: ادعُ له بالصلاح، فإن صلاحه خيرٌ لك. لأن الدعاء لهم بالهداية والتوفيق دعاءٌ للمسلمين، وصلاحٌ لنا، فأما الدعاء عليهم لا سيما هذه الدعوة، اللهم لا توفقهم، إذا دعوت بألا يوفقهم الله دعوتَ على أمةٍ محمد ﷺ، إذا لم يوفقهم الله زادهم الله تسلطًا، فلذلك لا يُدعى عليهم، ولا تُنزع اليد من طاعتهم، بحيث يقول الإنسان: أنا لا أرى طاعتهم، حتى لو قال: أنا والله لن أحمل سيفًا، ولا نُريق دمًا، لكن هؤلاء لا أَرى أنهم يستحقون أن يكونوا حُكامًا، إذا اعتقد هذا الاعتقاد، فلو لم يسفك دمًا يموت مِيتةً جاهلية؛ لدخوله في قوله ﷺ: «**من خرج من السلطان شبرًا مات ميتةً جاهلية**».

فلو خرج عنه بالسيف، أو خرج باعتقاد أنه ليس له ولاية، ولهذا قال أبو سعيد رضي الله عنه كما في المصنَّف: «**إياكم وميتةً جاهلية. قالوا: وما ميتةٌ جاهلية؟ قال: أن تموت ولا إمام عليك**». تعتقد أن هذا الحاكم -بالنسبة لي- ما لي ارتباط به، أنا لا أرى أنه حاكم، حتى لو لم تسفك دمًا، فإنك تُعد ممن يموت ميتةً جاهلية، لأنه لابد أن تعتقد ولايته، أن الله ولَّاه، وأن ولايته ثابتة بصفته من المسلمين، كما أنه ثبتت ولاية مثل الحجاج بن يوسف الذي قال ﷺ: «**يكون في ثقيف كذابٌ ومُبير**» والكذاب هو المُختار ابن أبي عُبيد ادعى النبوة، والمُبير يعني المُهلك هو الحجاج بن يوسف، ومع ذلك كان الصحابة يُصلون خلفه، وكان إذا أمَرَ بأمرٍ من الحق والخير أعانوه، وإذا أمر بباطلٍ لم يعينوه، هذا هو الأصل، وهذا هو المنهج الذي عليه منهج السلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، فأما إذا رؤي أن مسألة الولاية مجرد وجهات نظر، ثم يقول لك واحد: هذه الآن وجهة نظرك، خلاص أنا أُقدر وجهة نظري، أنا لي وجهة نظر، هذه عقيدة أصلح الله حالك، ليست مسألة وجهة نظر، أنا أرجح هذا الأمر، هذه مسألة عقيدة، يترتب عليها وصف خطير جدًا وهو أن يكون الإنسان من الخوارج، الخوارج نوعان:

النوع الأول: خوارج يحملون السيف.

والنوع الثاني: خوارج قعدة لا يحملون السيف، لكنه يُزيِّن الخروج، ويُحسِّنه.

فينبغي أن يُتقى الله في هذه المسألة، المسألة هذه أضرت بالمسلمين، ومزية هذه المسألة أن يترتب عليها أشياء تطبيقية في حياة الناس، يترتب عليها دماء، يترتب عليها فوضى، يترتب عليها حرب، يترتب عليها أن يُسل السيف على الأمة فيما بينها، فلهذا يجب أن تُضبط هذا الضبط.

ثم قال: (**وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ ﷻ**)، لأن الله قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء:٥٩] . وقال ﷺ: «**من يُطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**» والمقصود من يعصيه في مال لا يحل أن يعصيه فيه، ومن يأبى طاعته في المعروف، لأجل ذلك فطاعته من طاعة الله ما لم يأمروا بمعصية، إذا أمر مخلوق بمعصية فكلامه مردودٌ عليه، ولو كان أباك أو أمك، أو كان زوجًا للمرأة، أو سيدًا للعبد، أو ولي أمرٍ للرعية، لا يُطاع، هذه قاعدة كبرى بينها النبي ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**» لأنه أصلًا ما ثبتت هذه الطاعة للمخلوقين إلا بأمر الله، فكيف نُطيعهم في المعصية؟ يُقال: أصل طاعتكم فرعٌ عن طاعة الله، فنحن نُطيعكم طاعةً لله، فلا تتسوَّر طاعتكم على طاعة رب العالمين، بذلك تنضبط المسألة، ويبعِد الإنسان عن الشطط، وعن قول الخوارج، وعن قول المرجئة، يكونوا على مِنهاجٍ سليم، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة، يعني لا ندعو عليهم، ولكن ندعو أن الله يُصلح حالهم، وأن يُعافيَهم من شرور أنفسهم، وشرِّ من حولهم، وشر شياطين الإنس والجن، وأن يُصلح الله تعالى حالهم ويُنصحون.

لما التقى الرشيد رَحِمَهُ اللهُ وكان من خيار بني العباس بالفضيل بن عياض في عرفة وقال له: عِظني. قال: ترى هؤلاء الجمع؟ كلهم يوم القيامة، يُبعث عن نفسه وأنت ستسأل عن كل هؤلاء» يعني يُنصحون قال: اتق الله في هذه الرعية، الرعية هؤلاء كلهم في رقابكم ضعفائهم أيتامهم مرضاهم، المُحتاج منهم، كل هؤلاء في ذمتكم، احرصوا على إيصال الحقوق إليهم، يُنصحون، ويُدعَى لهم بالمعافاة، فيكون الإنسان عنده ضابط لهذه المسألة.

أنا أطلت الحقيقة في هذه المسألة، مع أنها كما قلت لكم: أيسر المسائل، ما عندنا مشكلة ما عندي قدري، ما عندي جهمي، ما عندي مُرجئ، لكن هذه مسائل ضرَّت الناس، وصار فيها خلل بالغ، وأدَّت إلى مثل هذا الأمر العظيم الذي أدَّى إلى ما أدى إليه من الفوضى في بلدان المسلمين، بما احتاج المقام معه إلى هذه الإطالة.

السؤال: هل الكرسي المذكور في آية الكرسي هو نفسه المذكور في الحديث: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة» لأن بعض المفسرين يقولون: أن الكرسي هو عِلمُ الله؟

الجواب: هؤلاء أوَّلوا العلم على طريقةِ أهل التأويل، بل الكرسي المذكور في الآية هو المذكور في الحديث، وإذا أردتَ أن تعرِف مثل هذا راجع تفسير ابن كثير، لأنها أسلم هذه التفاسير، فتجد أنه يورد الأحاديث هنا، وتأويل الكرسي بأنه علم الله، هذا غير صحيح، بل الصحيح أن الكرسي الثابت عن ابن عباس رضي الله عنه وعن أبي موسى أن الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدْرَه إلا الله ﷻ.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ، وَالْخِلَافَ، وَالْفُرْقَةَ.

وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ، وَنَبْغُضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ.

ﮋﮋ◈ﮊﮊ

قال الشّارح وفّقه الله:

مثل هذه الجُمل لن نقفَ معها طويلًا، لأنها واضحة جدًا، نتبع السنة والجماعة، لأننا أهل سنة وجماعة، ونتجنب الشذوذ الشيء الذي يكون فيه بُعد عن الجماعة، وآراء غاية في الغَرابة، والسوء نتجنبه، ونتجنب الشيء الذي يؤدي إلى افتراق المسلمين، واختلافهم.

قال: (وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ). المؤمن يُحب المؤمنين.

(وَنَبْغُضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ) يعني أهل الجور وأهل الظلم والخيانة، هؤلاء نبغضهم في الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنهم أهل هذه الذنوب، أما أهل الحق، وأهل التقوى فهُم أهل عدلٍ وأمانة.

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَنَقُولُ: اللهُ أَعْلَمُ؛ فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ.

قال الشّارح وفّقه الله:

هذه قاعدة: كلما اشتبه علينا علمُهُ، فكيف نخوض فيه؟ نحن لن نعلمه، وبالتالي نحيله إلى الله إذا اجتمع علينا الأمر، نقول: الله عَزَّ وَجَلَّ أعلم به.

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ.

قال الشّارح وفّقه الله:

هذه المسألة من المسائل الفقهية المعلومة، أصلًا هذه المسألة لو تتأمل جزء من الوضوء، ولم ينصُّوا على الوضوء، لأن الوضوء له كُتب خاصة كتب الأحكام، نصوا على مسألة المسح على الخُفين تحديدًا، لأن الذي يُخالف في هذا هم الرافضة والخوارج، لا يرون المسح على الخفين، وجعلوها بمثابة الشعار لهم، فصارَ أهل البدع لا يمسحون على الخفين، فنص أهل العلم في العقيدة على أن هذا حكم ثابت، وأدخلوه في كتب العقيدة، وأننا نَرى المسح على الخفين في السفر والحضر، كما جاء في الأثر على التفصيل المعلوم في الفقه.

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ فَرْضَانِ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ -بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا..

قال الشّارح وفّقه الله:

الحج لابد أن يكون تحت ولاية، ما في حج، كل من أراد أن يحج يحج وحده، ثم إذا اجتمع الناس هنالك ما هنالك ولاية، لابد كما تلاحظ هنا لابد من أمير للحج يُعيَّن، والغالب أنه يكون أمير مكة.

أيضًا لابد من قُضاة، لأنه يقع هناك جُملة من النوازل ما يُترك الناس هكذا، فلابد من ولاية في الحج.

وهكذا الجهاد يمضي كالحج تحت ولاية، الأصل أن الجهاد تحت ولاية، وليس الجهاد أمرًا هكذا يقترحوا مجموعة من المتحمسين، وأهل الطيب والصلاح والمحبين لأمتهم لا، لابد أن يكون هناك ولاية في الجهاد، ولهذا لابد من إذن ولي الأمر في الجهاد، ولهذا ذكرهما هنا مع أولي الأمر، حتى لا يُبطل.

قال: (بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ) لأن ولي الأمر قد يكون برًا، فيُحج معه، ويُجاهد معه، وقد يكون فاجرًا، والحكم لا يُمكن أن نُعطِّل الحج والجهاد لأجل فجور الحاكم، فجوره عليه، لكن الحج، وهكذا العيدان والجمعة، تمضي هذه لابد أن تمضي، حتى وإن كان الحاكم قد يتقدم مثلًا في العيد، ويُصلي بالجماعة وهو فاجر، يُصلى خلفه حتى لا تبطل هذه الشعيرة، لأنه لو قيل: لا تصلوا خلفه، لأدى ذلك إلى زوال هذه الشعيرة العظيمة شعيرة العيد، وهكذا الجمعة، وهكذا الجهاد والحج تمضي مع الأبرار من هؤلاء الحكام والفُجار إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما.

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَنُؤْمِنُ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ.

وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ.

قال الشّارح وفّقه الله:

هذا نموذج على ما ذكرناه رَحِمَهُ اللَّهُ لم يُرد ترتيب الموضوع.

تقدم أنه قال: (وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ). لم يتكلم هناك عن الكرام الكاتبين، وهم الذين ذكر الله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۞ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[الانفطار:١٠-١١] . هم الذين يكتبون أعمال العبد ويحفظونها عليه، وهذا جزء من الإيمان بالملائكة.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ.

وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا.

قال الشّارح وفّقه الله:

تكلم أيضًا فيما يتعلق بالإيمان بالملائكة بملك الموت، سماه ملك الموت، لأنه لم يثبت أن اسمه عزرائيل، ولهذا قال الله تعالى: ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ**﴾ [السجدة:١١]. فملك الموت نؤمن أن للموت ملكًا وُكِّل به، وأنه يقبض بإذن الله تعالى أرواح هؤلاء العالمين.

قال المُصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا.

وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ لِلْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ عَنْ: رَبِّهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ.

❧❧◈☙☙

قال الشارح -وفقه الله-:

القبرُ كما تقدم هو أول منزلة من منازل الآخرة، إما أن يكون روضةً من رياض الجنة، وإما أن يكون حُفرةً من حُفر النار، والذي يكون في القبر شيئان:

الأول: السؤال، وهو المذكور والمُعبر عنه بالفتنة: «**إن هذه الأمة تُفتن في قبورها**»، وفتنتها بسؤال العبد عن ربه ودينه ونبيه ﷺ. فإما أن يُوفق للجواب، وإما والعياذ بالله أن يضل، هذه هي الفتنة.

والأمر الثاني: النعيم أو العذاب في أمر لا يُحيط به إلا علام الغيوب.

وهذه القبور فيها مالا يُحيط به إلا الله، قال ﷺ: «**إن هذه القبور مملوءةٌ على أهلها ظُلمة، وإن الله ينورها بدعائي لهم**».

فهذه القبور فيها أحوال عظيمة وهائلة، لذا قال ﷺ: «**زوروا القبور؛ فإنها تُذكركم الآخرة**».

مُنكر ونكير ملكان يسألان العبد عن ربه ودينه ونبيه. نؤمن بذلك على ما جاءت به الأخبار.

قوله: (وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا).

ثم قال في الأخير: (وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ)، أي أنا نؤمن بما يكون في القبر من عذابٍ ونعيم، فهو يقول: (**بعذاب القبر**) المقصود بنعيم القبر أيضًا، ولهذا ذكره في الأخير: وهو أن القبر إما أن يكون روضة، وهذا جزءٌ من حديثٍ عن النبي ﷺ: «**القبر روضةٌ من رياض الجنة، أو حفرةٌ من حُفر النيران**».

أنا قلت: إن حديث: «**القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران**» يحتاج مراجعة.

الذي ورد وأتذكره أن النبي ﷺ قال: «القبر أول منزلة من منازل الأخرى، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه». أما هذا فيحتاج إلى مراجعة لا أتذكره الآن.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعَرْضِ، وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ.

❀❀◈❀❀

قال الشارح وفقه الله:

ذكر هذه الأمور التي تكون في القيامة، القيامة فيها عرصات، تكون فيها جملة من الأحوال، أول ما يكون في القيامة البعث، تُبعث هذه الخلائق، وتُجازى بأعمالها، والعرض يُعرض على الإنسان عملُهُ، ويُحاسب. وهكذا قراءة الكتاب: ﴿**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾ [الإسراء:١٤]. والثواب: العقاب، أن يكون في ثواب، ويكون في عقاب في الآخرة، في العرصات قبل دخول النار، فمنهم من يُظلِّه الله في ظله، ومنهم المتكبرون، يُحشرون أمثال الذر النمل الصغير يطأهم الناس بأقدامهم، في ذاك الزحام الهائل المتكبر يُحشر مثل الذر يطؤه الناس في ذاك الحال من العرق الذي تُدنو فيه الشمس، هذا مُتكبِّر متغطرس، هذا جزاؤه، حين رفعَ نفسه، وهذه الصفة لا تليق إلا بالله، صفة الكبر، فكان جزاؤه أن يُصغَّر ويُحقَّر، ويُهان -والعياذ بالله- بحيث يكون في هذا المقام.

وكذلك نؤمن بالصراط، وهو جسرٌ ممدودٌ على متن جهنم، يمر عليه الناس، فمن جاوز الصراط نجا، ومن زلَّ من الصراط سقط في النار.

وهكذا نؤمن بالميزان، وله كفتان: كفة فيها الحسنات، وكفة فيها السيئات، إن رجحت كفة الحسنات نجا الإنسان، وإن رجَحَت كفة السيئات هلك، إلا أن يرأف الله به.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا، وَلَا تَبِيدَانِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ.

وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ.

وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ.

قال الشارح وفقه الله:

ذكر ما يتعلق بالجنة والنار، الجنة والنار الاعتقاد فيهما على النحو الآتي:

أنهما مخلوقتان، لقوله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

وقوله في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤].

وهكذا جملة من النصوص والأحاديث الدالة على أن النبي ﷺ رأى أحوال أهل النار فيها، وأن العبد إذا كان في قبره يُفتح له بابٌ إلى الجنة، إذا كان من المُنعمِين، فيأتيه من طيبها وريحها، وإن كان من المعذبين يُفتح له بابٌ إلى النار، وهكذا قوم فرعون بنص القرآن يُعذَّبون في قبورهم: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦] . هذا في قبورهم، ولهذا قال بعدها: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]. فهذا العذاب في العرض بالغداة والعشي، هذا في قبورهم، ولهذا في الآخرة يكون حالهم في أشد العذاب، فالجنة والنار مخلوقتان.

الاعتقاد الثاني: أنهما لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان، الله خلقهما للبقاء، فالجنةُ يبقى فيها المؤمنون إلى ما لا نهاية، يعيشون في قُرة عين كما قال بعض السلف: «لولا أن أهل الجنة لا يموتون لماتوا فرحًا» من شدة الغِبطة، وترادُف النَّعيم بشكل دائم ومُستديم.

ولهذا الدنيا ما فيها راحة، الراحة الحقيقية في الجنة، إن كنت تظن أنك ستكون في راحة، لن تكون في راحة، الراحة الحقيقية التامة في الجنة، فلا تطلُبْ من الدنيا ما لا يُطلب إلا في الجنة،

الراحة الحقيقية في الجنة، بحيث يكون عند الإنسان نعيم دائم مُستمر لا يتنغص مُطلقًا، وهكذا والعياذ بالله أهل النار، أهل النار صنفان:

صنفٌ هم أهل الكبائر، وهؤلاء قلنا: إنهم يُخرجون من النار بعد أن يبقوا فيها ما شاء الله، ويُعذبون، ويُمحصون، ثم يخرجون إلى الجنة.

والصنف الثاني: هم أهل الكفر الذين لقوا الله تعالى كافرين، فهؤلاء يبقون فيها أبد الآباد لا يُمكن أن يُخرجوا، فالجنة لا تفنى والنار لا تفنى، ويبقى الجميع فيها أبد الآباد على التفصيل الذي ذكرنا من أن أهل المعاصي يُخرجون منها، لكن الكفار يبقون فيها أبدًا أُعدت للكافرين، وأهل الإيمان يَبقون في الجنة أبدًا أُعدت للمتقين.

بقيةُ الكلام سبق الكلام عليه عند موضوع القدر.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهِ، تَكُونُ مَعَ الْفِعْلِ، وَأَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ، وَالْوُسْعِ، وَالتَّمَكُّنِ، وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ، فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ﮋﮋ◈ﮊﮊ

قال الشارح وفقه الله:

تكلم هنا على الاستطاعة، وأن الاستطاعة على **نوعين:**

الجبرية يقولون: هناك استطاعة واحدة، ومنهم الأشاعرة، الاستطاعة مع الفعل، وبالتالي ما يكون عند العبد استطاعة سابقة.

المعتزلة يقولون: في استطاعة واحدة، وهي قبل الفعل، والصحيح ما قاله المصنف هنا: أن الاستطاعة نوعان: استطاعةٌ تكون مع الفعل، يعني مثل صلاتك إذا استطعت الصلاة، لأن الله وفقك، فصليت الآن، فهذه مُصاحبة للفعل، ولهذا قال: (**وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهِ، تَكُونُ مَعَ الْفِعْلِ**)، لأن الله وفقك فصليت، أما الاستطاعة التي قبلها من جهة الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات، يعني الإنسان في بيته الآن، آلاته مثل رجليه سليمة يستطيع أنه يمضي ويمشي إلى المسجد، هل عنده استطاعة أو ما عنده استطاعة؟ الجبرية يقولون: ما عنده استطاعة، لأنهم لا يرون أن العبد استطاعة، وهذا كلام باطل، بل عند العبد استطاعة، وكل أحد يُدرك هذا، الآن إذا أذن المؤذن خرجَ الناس، منهم من يخرج إلى المسجد، ومنهم من يخرج إلى ما شاء الله أن يخرج إليه من الأماكن التي ليس فيها صلاة، لا يُريد الصلاة، هذا عنده استطاعة أن يأتي إلى المسجد، وهذا عنده استطاعة، فهناك استطاعة قبل الفعل، وهناك استطاعة مُصاحبة للفعل، فسلامةُ الآلات والصحة هذه قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب، الرب يخاطبك الآن وأنت

عنـدك آلات سـليمة، أمـا المُقعـد الآن في بيتـه الـذي هـو علـى ظهـرهِ لا يسـتطيع أن يـأتي إلـى المسجد، فيؤمر بالصلاة في بيته، لكن لا تلزمُهُ الصلاة في المسجد، لأنه ما عنـده سـلامة آلات ما يستطيع أن يمشي، فإذا نفينا الاستطاعة بهذا المعنى يقع قـول الجبريـة، فالاسـتطاعة نوعـان على التفصيل الذي ذكرت.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ هِيَ خَلْقُ اللهِ تَعَالَى، وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ.

❀❀◈❀❀

قال الشارح وفقه الله:

أفعال العباد من جهة أن الله تعالى خلق العبد، وخلق أفعاله، فلو لم يخلق لك تعالى، هذه الحركة، فأخذتَ الماء ورفعته إلى فِيك وشربت، لم تستطع أن تشرب مثل الإنسان الذي شُلَّت يده، الذي شُلت يده لم يخلق الله له فعلًا، فأنت مخلوق وأفعالك مخلوقة، لأجل ذلك الفعل هذا خلقه الله لك، لأن الله لو شلَّ يدك أو رجلك لما استطعت أن تمضي وتمشي، ولا استطعت أن تُحرك يدك، فأنت مخلوق وفعلُك مخلوق.

هذا الفعل المصحوب منك بإرادة، وعندك عليه قُدرة المسؤول عنه أنت، لأنك تستطيع أن تمُد يدك إلى أخيك المسلم وتُصافحه، وتستطيع أن تأخذ السيف، وتضرب به أخاك المسلم، الفعل الأول من خلق الله، والفعل الثاني من خلق الله كلها، لكن كليهما كسبك وأنت المسؤول عنه ما دُمت في عقلك ووعيك، ولهذا هذه الأفعال هي فِعل الله، لأن الله لو شل يدك لما استطعت أن تفعل ما خلق الله في يدك فِعلًا، فالفعل خلقه الله لك، لكن هذا الفعل منسوبٌ إليك أنت، لأن عندك استطاعة وعندك عقل، بناءً عليه تفعل الفعل وبه تؤاخذ، تُحاسب، تُعاقب، بناءً على نوع فِعلك.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ؛ وَهُوَ تَفْسِيرُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ؛ نَقُولُ: لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللهِ، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ.

وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى، وَعِلْمِهِ، وَقَضَائِهِ، وَقَدَرِهِ؛ غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

❀❀◈❀❀

قال الشارح وفقه الله:

يقول: (وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ)، وهذا صحيح، لم يُكلِّف الله تعالى العباد إلا أمورًا يُطيقونها، قال الله تعالى: **﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾** [البقرة:٢٨٦]، لكن قوله: (وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ) غيرُ صحيح، وهذا من المواطن التي أُخذت عليه رَحِمَهُ اللَّهُ.

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز في قوله: (وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ)، هذا غير صحيح، بل المُكلَّفون يُطيقون أكثر مما كلفهم به، ولكنه عَزَّ وَجَلَّ لَطَف بعباده ويسر عليهم، ولم يجعل عليهم في دينهم حرجًا فضلًا منه وإحسانًا.

مراده رَحِمَهُ اللَّهُ أن قوله: (وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ) معناه أن الناس لا يُطيقون فقط إلا خمس صلوات مثلًا، وهذا غيرُ صحيح، لأن الناس لو كُلِّفوا بعشر صلوات لأطاقوها، وهو أصل فرضها أنهم كُلفوا بخمسين، لكن الله فضلًا، ولهذا في الحديث: «**خففتُ عن عبادي، وجعلها تعالى خمسًا بخمسٍ**». نفس الوضع بالنسبة للزكاة، هي رُبع العشر، لو جعلها الله نصف العشر في المال يُطيقون.

هكذا الحال بالنسبة للصوم، لو أن الله فرض صوم رمضان وصوم أيامٍ أخرى من أي شهرٍ آخر يُطيقون الذي يطيق أن يصوم ثلاثين يستطيع أن يُطيق أسبوعًا آخر.

فقوله: (وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ) غير صحيح، بل يُطيقون أفضل، لكن الله فضلًا منه وإحسانًا لم يُكلفهم إلا ما يُطيقون.

ثم ذكر أن قوله: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ؛ نَقُولُ: لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللهِ). فلن تتحول عن معصيته إلا بطاعته، ولهذا تُقال هاتان الكلمتان عندما يقول المؤذن: حي على الصلاة، حي على الفلاح أنت لن تتمكن من الإتيان إلى الصلاة، وتُعان عليها إلا بمعونة الله تعالى، فلهذا تُقال: لا حول ولا قوة إلا بالله عند الحيعلتين.

ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ باقي الكلام عاد من جديد إلى موضوع القدر، وأن كل شيء يجري بمشيئة الله تعالى، أن مشيئة الله تعالى غلبت المشيئات كلها، كما تقدم أن مشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ لو اجتمع كل من في الأرض، بل كل أهل السماء، وكل المخلوقين على أمرٍ يُريدونه، والله لم يرده، لغلبت مشيئته تعالى مشيئات الجميع.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ.

وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ.

وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ.

وَلَا غِنًى عَنِ اللهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ، وَاللهُ تَعَالَى يَغْضَبُ وَيَرْضَى لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى.

﴿﴿◊﴾﴾

قال الشارح وفقه الله:

ذكر هذه المسألة رَحِمَهُ اللَّهُ وهي محل خلافٌ بين أهل العلم، والخلاف في مثل هذه المسألة أمره يسير، ليس كالخلاف في المسائل العقدية، إلا من زاويةٍ سيأتي الكلام عليها، هل يصل للأموات شيء مما يبذله الأحياء؟ أما فيما يتعلق بالدعاء، فلا يحل لأحدٍ أن يقول: إنه لا يصل، ثبوت النصوص، وهكذا الصدقة، فإنها تصل، والأدلة في هذا كثيرة، ولو لم يكن إلا صلاة الجنازة، صلاة الجنازة كلها دعاء، فلهذا من أهل البدع من يقول: إنه لا يصل الشيء البتة، وهذا باطل وبدعة. لكن اختُلف في أعمالٍ أُخرى وهي العبادات البدنية مثل الصوم والصلاة، وقراءة القرآن والذكر:

فذهب عددٌ كبير من أهل العلم إلى وصولها، والمشهور من مذهب مالك والشافعي رحمهم الله عدم وصولها، أبو حنيف وأحمد وعدد من أهل العلم يرون أنها تصل بمعنى: أنك لو صُمتَ غدًا وجعلت ثواب الصوم لوالدك الذي توفي يقولون: إنه يصل.

الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «**لا يصل إلا ما ورد تحديدًا أنه يصِل**»، وهو الذي ورد في النصوص كالحج والعمرة، والصدقة، والدعاء، قال: وما سوى ذلك فإنه لا يصل، لأننا أثبتنا وصول هذه الأشياء لنصوصٍ خاصة، فأما ما سواها، فتحتاج إلى نص.

الذين قالوا: إنه يصل كل شيء حتى العبادات البدنية قالوا: إن هذه بمثابة الأمثلة فقط التي وردت في النصوص، وبعضها سُئل عنها النبي ﷺ: «**إن فريضة الله أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟**» قالوا: لو سُئِلَ النبي ﷺ عن غير هذا لأجاب بأنه يصِلْ، لكن سُئل عن أشياء مُحددة فأجاب.

الذي اختاره شيخنا ابن رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو قول الشافعي، وهو أن الأصل أنه لا يصلُ شيءٍ إلا ما دل عليه النص، أما لو أنك قرأت القرآن وقلتَ: اللهم اجعل ثواب قراءتي هذه لوالدي أو لوالدتي أو لمن ذكرتَ من المسلمين فقال: فإن هذا لا يصل؛ لأن مثل هذا لم يدل عليه النص.

والمسألة كما قلنا من المسائل الخلافية بين أهل العلم، لكن أن يقول أحد: إنه لا يصل شيءٌ أبدًا، هذا ابتداع، وقال به من قال من المتكلمين وأهل البدع.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ.

وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ.

وَلَا غِنَى عَنِ اللهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ.

قال الشارح وفقه الله:

يقول: (وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ)، سواءً الذي تدعو لنفسك أو الذي تدعو لموتاك.

(وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ) من يقضيها سواه سبحانه وتعالى، وقد قال تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] ، فلا يقضي الحاجات سواه سبحانه وتعالى، كل مخلوق يُيسر لك أن يقضي لك حاجة فهو سبب سخره الله تعالى، وهو الذي يستجيب الدعوات، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] .

قال: (وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ)، وهذا واضح جدًا، ومالك الناس أجمعين مالك الدنيا والآخرة عز اسمه، ولا غنى عن الله طرفة عين، لا يُمكن أن يستغني أحدٌ عن الله تعالى طرفة العين هذه الغمضة، ولا أقل من غمضة العين، فإن العبد محتاجٌ لله في كل شيء، حتى في نفسِه، هذا النَّفس الآن الذي تأخذه أنت بحاجة لله ﷻ، فإذا أدخلته إلى جوفك أنت بحاجة لله ﷻ حتى يخرج، لأنه لو احتبس لهلكت، فالعبد محتاج لله ﷻ لا يُتصور أن يوجد أدنى وقت يستغني العبد فيه عن ربه ﷻ.

قال: (وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ)، هو من حيث الوقوع أن يستغني عن الله مستحيل كما تقدم، لكن أن يُظهر هذا الإنسان المسكين الضعيف الاستغناء عن الله، فيكفر، لكن أن يكون هذا واقعًا أنه استغنى عن الله، فليس بحاجةٍ لله تعالى أصلًا، هذا مُحال أن يقع من حيث الوقوع مُحال، لكن إذا هو استغنى وتولى واستغنى والله غنيٌ حميد، إذا هو استغنى

وزعم أنه مُستغنٍ عن الله، فإنه يكفر، وصار من أهل الحين، والحين معناه الهلاك أنه يهلك نعوذ بالله.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَاللهُ تَعَالَى يَغْضَبُ وَيَرْضَى لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى.

قال الشارح وفقه الله:

هذا من أحسن المواضع في الرسالة، وفيه رد مُلجم للمتكلمين، لأن المتكلمين ينفون الغضب والرضا، فالذين يقولون: إن أبا جعفر معنا في هذه العقيدة قال: وهذا الموضع من المواضع التي لا تستطيعون الجواب عنها، لأنكم لا تقولون: إن الله تعالى يغضب، يؤولون الرضا والغضب إلى الإرادة، إرادةَ الإنعام، أو إرادةَ الانتقام، بزعمهم أن الله لا يليق أن يرضى، ولا يليق أن يغضب، قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه، ثم الإنسان ماذا يدعو؟ نسألك رضاك والجنة، أعوذ بك من سخطك، أعوذ بك من غضبك، ثم يكون هذه المعاني المقصود بها الإرادة، لأن هذه لا تليق بالله، كيف يُقال هذا الكلام إلا من قِبل من قلَّ نصيبه من معرفة الله تعالى، ولهذا قال: (وَاللهُ تَعَالَى يَغْضَبُ وَيَرْضَى لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى)، يعني أن أُثبت الغضب والرضا على طريقة أهل السنة، ولا أُشبه غضب الله ورضاه بغضب ورضا أحدٍ من المخلوقين. فهذا من المواضع العظيمة في هذه الرسالة.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنَبْغُضُ مَنْ يَبْغُضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَنَرَى حُبَّهُمْ دِينًا، وَإِيمَانًا، وَإِحْسَانًا، وَبُغْضَهُمْ كُفْرًا، وَنِفَاقًا، وَطُغْيَانًا.

وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَوَّلًا: لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، ثُمَّ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ.

وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ عَلَى مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ؛ وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، رِضْوَانُ اللهِ عنهم أَجْمَعِينَ.

وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ.

❀❀◈❀❀

قال الشارح وفقه الله:

تكلم رَحِمَهُ اللهُ عن أصحاب النبي ﷺ، وهذا شعار عظيم من شعارات أهل السنة والجماعة التي لا يقبلون فيها مهادنةً لأحدٍ كائنًا من كان.

أصحاب رسول الله ﷺ كما قال ابن مسعود: «قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه»، فلاشك أنهم قومٌ اختُيروا اختيارًا، وأنهم كانوا أهلًا رضي الله تعالى عنهم لشرف هذه الصحبة، ومسألة الصحبة تثبت وتثبت فضائلها وأجرها، لمن لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على ذلك، فيلقى النبي ﷺ أما لو لم يلق النبي ﷺ، وآمن وهو في موطنه ولم يُهاجر إليه، فإنه لا يُعد صحابيًا، لابد أن يلقى النبي ﷺ، وأن يلقاه مؤمنًا قطعًا، لأن النبي ﷺ لقيه مؤمنٌ ولقيه كفار، فالكفار

ليسوا صحابة، وهكذا المنافقون، لأن المنافقين في حقيقتهم كفار، فليسوا صحابة، فالمنافقون يُظهرون أنهم صحابة، كما أنهم يُظهرون أنهم مسلمون، فيُعاملون بالظاهر، لكن في واقع الأمر ليسوا صحابة، لأن الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، وماتَ على ذلك، يعني أنه لم يرتد، لأنه إذا ارتد ومات على الكفر لا يكون صحابيًا، فهؤلاء أفضلُ الأمة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، قد أمر الله في مُحكم القرآن بالاستغفار لهم، فقال: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ**﴾ [التوبة:١٠٠] . ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ**﴾ [الحشر:٨] . ثم قال: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ . ثم قال: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [الحشر:١٠] .

فهؤلاء خيرُ الأمة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، نفع الله تعالى بهم أعظم النفع، وجاهدوا مع رسول الله ﷺ، وهاجروا، ونصروه، ونشروا الإسلام في أرجاء الأرض، واستشهد منهم من استُشهِد، وجُرح منهم من جُرح، ولقوا من العناء العظيم من الكفار ما لا يُحيط به إلا الله، فلهذا أجرهم في الأمة أعظم الأجور بعد نبي الله ﷺ.

ثم إن جميع أعمال الأمة الصالحة هم السبب في هذا، فإنهم الذين نقلوا الأحكام، ونشروا الإسلام، فلأجل ذلك لا يؤذن المؤذن في هذه الأرض كلها إلا ويؤجرون عليه، فَهُم الذين نقلوا هذا عن النبي ﷺ، وطبَّقوه، ثم أخذته الأمة عنهم رضي الله تعالى وتسلسل هذا، فكل خيرٍ في الأمة فهو من نبيها ﷺ، ثم من أصحابه رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

لهذا نُحبهم، لكن لا نُفرط في حب أحدٍ منهم، لا نُبالغ كما فعلت الرافضة حين بالغوا في حب علي رضي الله عنه والحسن والحسين، وفي الوقت نفسه لا نتبرأ من أحدٍ منهم، أي أحد من الصحابة لا يحل البراءة منه، ومن تبرأ منه، فإنه من أهل الضلال والبدع أيًا كان هذا الصحابي.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَنَبْغُضُ مَنْ يَبْغُضُهُمْ**) لأنهم كما قال عليه الصلاة والسلام في الأنصار: «**لا يُحبهم إلا مؤمن، ولا يُبغضهم إلا منافق**». فمن أبغض الصحابة، فإنه منافق بنص الحديث، فكيف يُبغض أصحاب رسول الله ﷺ الذين هاجروا معه وآووه ونصروه، وبذلوا أنفسهم وأموالهم طاعةً لله ورسوله، فلا يُبغضهم إلا رجل في قلبه نفاق، ولهذا لما ذكر الله ﷻ في آخر سورة الفتح: أصحاب النبي ﷺ قال: ﴿**لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**﴾ [الفتح:٢٩] . فلا يُصاب بالغيظ منهم إلا كافر.

ثم قال: (**وَنَبْغُضُ مَنْ يَبْغُضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ**).

وقع منهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما وقع بصفتهم بشرًا، يُخطئون ويُصيبون، ولا عجبَ أن يُخطئ الصحابي، لأنه لم يُعصَم، ومن حكمةِ الله أن يُخطئ الصحابي، وأن يُخطئ العالم، كما قال الحسن: «**لو أن العالم لا يُخطئ، لأُصيب بالجنون من الاغترار**». لكن الله تعالى يُقدر أن يُخطئ الإنسان، ثم يُدرك أنه أخطأ، فيستغفر ويستعتب، لكن لو كان الإنسان يعيش مائة سنة ما أخطأ فيها أبدًا، يُغتر الإنسان بنفسه غاية الاغترار، فيُخطئ ويعلم أنه أخطأ، ويستعتب كما في الحديث: «**لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم، وأتى بقومٍ يُذنبون فيستغفرون فيغفر لهم**». فهُم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ليسوا بمعصومين، العصمة لمجموعهم، كما أن العصمة لمجموع الأمة إذا أجمعت، فأما الفرد من الصحابة فيقعُ منه الخطأ كما يقعُ من غيره من الناس، وإن كانوا أقربَ إلى الحق والصواب بلا شك من غيرهم.

هنا قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وحُبُّهُمْ دِينًا، وَإِيمَانًا، وَإِحْسَانًا**).

ما فائدة هذا الموضع؟ نقض كلامه السابق، ولهذا تعقبه الشارح هنا، لأنه قال: أن الإيمان نُطقٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وهنا ذكرَ أن حُب الصحابة، وحب الصحابة زائد على اعتقاد القلب؛ لأنه عملٌ من أعمال القلب، قال المصنف: إنه يلزم من قوله: (**وحُبُّهُمْ دِينًا وَإِيمَانًا**) أن يكون الإيمان غيرُ مقصور على اعتقاد القلب، ونُطق اللسان، لأنه جعل حُب الصحابة وحب الصحابة عمل قلبي، جعله إيمانًا.

قال: (**وَبُغْضُهُمْ كُفْرًا، وَنِفَاقًا، وَطُغْيَانًا**)، ولاشك في هذا أن حُب الصحابة دين، يتدين به المؤمن، وأنه من الإيمان، وأنه من دلائل إحسان هذا المُحب لأصحاب الرسول ﷺ، وأن بُغض الصحابة دالٌ على الكفر، وعلى نفاق الشخص وطُغيانه.

ثم تحدث رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الخلافة، وأن الخلافة تثبت لهؤلاء الأربعة الراشدين، وأنهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، هؤلاء الخلفاء الراشدون، ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة:

فالأول: أبو بكر فهو أفضلهم.

ثانيهم: عمر.

ثالثهم: عثمان.

رابعهم: علي؛ لأنهم بويعوا بحسب الأفضلية، وقد كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يقولون زمن النبي ﷺ كما روى ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**كنا نقول زمن النبي ﷺ أفضل أصحابي النبي ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان**». فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا يُنكره. فمعروف أنهم أفضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

وقطعًا أفضلُ الصحابة أبو بكر رضي الله عن الصديق تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة، النصوص في أبي بكر كثيرة جدًا حتى قال شيخ الإسلام: «إن أبا بكر وردت فيه خصائص، وورد في غيره فضائل» ما الفرق؟ الخصائص اختص بها، والفضائل تعمُه وتعُم غيره مثل الهجرة، تعُم أبا بكر، وعمر، عثمان علي، تعُم غيرهم من العشرة، تعُم غير العشرة كلهم هاجروا.

يقول: «أما أبو بكر، فإذا تأملت كثيرًا من مناقبه، وإذا بها خصائص».

من خصائصه: أنه المذكور في الصحابة الوحيد المنصوص على صُحبته: ﴿**إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ**﴾ [التوبة:٤٠]. قال أهل العلم: «من أنكر صحبة أبي بكر كفر»؛ لأنها منصوصة في القرآن، فهذه خصيصة من خصائصه، النبي ﷺ له أصحاب كثيرون.

وهكذا جملة من الخصائص التي اختص بها رضي الله تعالى عنه وأرضاه يطول بنا المقام لو تتبعناها، وقد أوفاها أئمة الحديث رحمهم الله، فذكروا فضائل أصحاب النبي ﷺ، فضائل الأنصار والمهاجرين، فضائل أبي بكر وعمر، والعادة أنهم يُرتبون بحسب العشرة المبشرين، فيذكرون فضائل أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، وهكذا. ويذكرون فضائل آل بيت النبي ﷺ.

ثم يثبُت الفضل والخلافة لعمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

بعد ذلك يثبت الفضل لعثمان، وهذا هو الذي لا شك فيه ولا ارتياب، وأن عثمان أفضل من علي قطعًا. وفي البخاري أن محمد بن الحنفية قال لأبيه: يا أبتِ من أصحاب النبي ﷺ؟ قال: «يا بُني، أو ما تعلم؟. أفضلهم أبو بكر. قال: ثم من؟ قال: ثم عمر. فخشيت أن يقول: ثم عثمان، فقلت: ثم أنت. فقال: إنما أبوك رجلٌ من المسلمين». لأنه يعلم أن علي ربَّاه على تقدير عثمان، فتوقع أن يقول: أن الثالث هو عثمان، وهو كذلك، وهذا هو المعروف.

ولهذا لما انحصرَت البيعة في عثمان أو علي، استشار عبد الرحمن بن عوفٍ المهاجرين والأنصار، وأُمراء الأجناد وعموم الناس، يُبايع عثمان أو علي؟ فوجدهم مُطبقين على بيعة عثمان، لهذا قال سفيان: «**من قدَّم عليًا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار**» مُتفقين كلهم عليه حتى قال أحمد: «**لم يُبايع أحدٌ مثل بيعة عثمان**» تمت برضا الجميع. ولهذا قال عبد الرحمن لعلي: «يا علي، إني لم أر الناس يعدلون بعثمان أحدًا، فلا تجعلنَّ على نفسك سبيلًا». فبايع عثمان وبايعه علي رضي الله عنهما وأرضاهم.

فلاشك أن عثمان أفضل من علي، والنصوص فيه دالة على هذا.

ثم علي رضي الله تعالى عنه وأرضاه، ولهذا كان عمر بعد ما مات أبو بكر هو أفضل أهل الأرض، فلما مات عمر كان أفضل أهل الأرض عمر، فلما قُتل عثمان كان أفضل أهل الأرض علي، بهذا الترتيب الأفضلية تكون بهذا الترتيب، فهُم رضي الله عنهم مُرتبون في الفضل وفي الخلافة، وهم الخلفاء الراشدون، وهذا الوصف جاء من النبي ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**». وأخبر ﷺ أن الخلافة الراشدة تبقى بعده ثلاثين

سنة: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله مُلكه من يشاء» فكانت الخلافة الراشدة في هؤلاء الأربعة رضي الله عنهم وأرضاهم.

وهم الأئمة المهديون، يؤتم بهم هُداةٌ مهتدون رضي الله تعالى عنهم كما قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤] . ونِعم الأئمة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

ثم قال: (وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ)، وهم أفضلُ الصحابة بعد الأربعة، فأفضل الصحابة هؤلاء العشرة، نشهد لهم بالجنة بأعيانهم فنقول: سعد في الجنة، وعمر في الجنة، عثمان في الجنة، هذه مزية الشهادة، لأنه ورد الحديث المُحدد فيهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

وهم (وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ)

(وَطَلْحَةُ) وهو ابن عبيد الله.

(وَالزُّبَيْرُ) وهو ابن العوام.

(وَسَعْدٌ) وهو ابن أبي وقاص.

(وَسَعِيدٌ) بن زيد بن عمرو بن نُفيل.

(وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، رِضْوَانُ اللهِ عنهم أَجْمَعِينَ).

بعد أن ذكر هذه المسألة ذكر أن (مَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]. فهذا لفظ قرآني، فهنا مُطهرات من كل دنس رضي الله تعالى عنهن وأرضاهن.

من أحسن القول في الصحابة وفي الزوجات الكريمات أُمَّهَات المؤمنين، وفي الذُّريات من ذراري النبي عليه الصلاة والسلام وفي عموم أهل بيته.

قوله: (الْمُقَدَّسِينَ) بعض الناس عنده حساسية من كلمة (التقديس)، معنى التقديس التطهير، فيصح أن أقول: قدَّس الله روح من توفِّي، لأن معناها: طهَّر الله روحه.

فقوله: (الْمُقَدَّسِينَ) أي المُطهرين من كل رجس، (فَقَدَ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ)، لأن الذي لا يكون على هذا الحال -كما تقدم- يكون فيه علامةٌ من علاماتِ النفاق.

بعد أن تكلم الصحابة والأزواج والذرية ﭬ أجمعين تكلم عن بقية علماء السلف، والسلف هم أهل القرون الثلاثة الفاضلة كما قال ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**». فهُم ثلاثةُ قرون.

وفي اللفظ الآخر: «**خير الناس القرن الذين بُعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**».

فهؤلاء أفضلُ الأمة، ولهذا دائمًا أهل الحق يُركِّزون على منهج السلف، دائمًا يقولون: منهج السلف، لأن السلف هم خيرُ الأمة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم بنص الحديث، فلهذا هؤلاء السلف كان عندهم عقيدة، كل من خالف عقيدة السلف فهو مُبتدع أيًا كانت مخالفته، ولهذا ما ضلَّ من ضلَّ من الفرق إلا بعد أن أبعدوا عن منهج السلف، وإذا أردت الدلالة على أن هؤلاء بعيدون عن منهج السلف، اسألهم عن منهج السلف ما هو؟ هم كل الأمة سوى الرافضة ولا اعتبار -ولله الحمد- بهم. الأمة تقول هذا الكلام كله: أفضل الأمة أصحاب النبي ﷺ، من بعدهم التابعون، من بعدهم أتباع التابعين، هؤلاء أفضل الأمة بالإطلاق، تشهدون لأعيانٍ منهم بالجنة، من حُدد بالجنة، أفضل منا ومن كل من يأتي إلى قيام الساعة، لماذا لا تأخذون عقيدتهم، لماذا تُخالفون عقيدتهم، ما داموا أفضل الأمة، ولهم عقيدة مرويةٌ بالسند عنهم رضي الله تعالى عنهم، حين تجد عقيدة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والمهاجرين والأنصار، لماذا تذهب تأخذ عقيدة عمرو بن عُبيد من المعتزلة، أو الجهم بن صفوان، أو تأخذ عقيدة الخوارج أو الروافض، ما الذي يجعلُك تزيغ عن هذا المنهج؟! فالجميع متفق على أن الصحابة أفضل الأمة، الصحابة ما عندهم عقيدة؟ كيف ما يكون عندهم عقيدة؟ لو لم يكن عندهم عقيدة ما كان عندهم إيمان.

ماذا عن عقيدة الصحابة، هل هذه العقيدة التي أنت عليها هي عقيدة الصحابة أو لا؟ هذا الفارق الكبير الذي يُبيِّن لك المُبتدع من السني، ولأجل ذلك إذا ناقشت بعض المبتدعة، وأثنى على الصحابة يقول: أنا على منهج الصحابة، نقول: أعطني كتاب واحد في عقيدة الصحابة تعرفه، أنت تقول على عقيدة الصحابة، كيف تعرف عقيدة الصحابة، ما الكتب التي روت عقيدة الصحابة، ووقع لهذا مع أحد المتبدعة، قلت له: منهج السلف صواب أو خطأ؟ إن قال: خطأ. قلت: لا حاجة للنقاش معك. قال: منهج السلف هو الصواب، والذي يُخالِف منهج السلف باطل، قلت: أعطني كتابًا في عقيدة السلف، هات كتاب عندك كتاب تعرفه، هات كتاب يُبين لك العقيدة عن السلف، حدثنا فلان عن فلان عن عمر في الرؤية.

حَدَّثَنَا فلان عن فلان عن أبي بكر في الرؤية.

حَدَّثَنَا فلان عن فلان في عذاب القبر عن أبي عُبيدة عن سعد.

أعطني عقيدة السلف التي تقولها، حار الرجل ومكثَ فترة، ثم قال: عقيدة الطحاوي، قلت: عقيدة الطحاوي لا يوجد فيها أثرٌ واحد، كيف تقول: أنك على عقيدة السلف، وتزعم أنك على عقيدة السلف، أين كتاب اللالكائي «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» يروي بالسند العقيدة عن الصحابة، ثم يروي بالسند العقيدة عن التابعين، ثم يروي بالسند العقيدة عن أتباع التابعين، ثم يروي عن أئمة الإسلام: مالك، الشافعي، أبي حنيفة، أحمد، ثم يروي عن بقية الأئمة، أينك عن هذه الكتب، أينك عن كتاب «الشريعة» للآجري، كتاب «الإبانة الكبرى» لابن بطة الذي يروي العقيدة عن الصحابة، عن السلف، فأنتم تقولون: أنتم على عقيدة السلف، والله ما تعرفون عقيدة السلف، ما تعرفون إلا عقيدة المعتزلة، والجهمية والكُلابية وفروعهم، أما أن تكون تعرف عقيدة السلف، فأنت لا تدري بالكتب التي روت عقيدة السلف، وأنت تظن أن الصحابة ما لهم عقيدة، تظن أن الصحابة لم يُرو عنهم عقيدة، سبحان الله! ألم يُفسروا نصوص الصفات في «تفسير ابن أبي حاتم»، وفي تفسير «ابن جرير» تُروى تفاسير الصحابة رضي الله تعالى عنهم بالأسانيد إليهم، في مسائل الإيمان، في مسائل القدر،

في مسائل الصفات، في جميع المسائل التي ذكرها الله تعالى في كتابه، كيف تقول: إنك على عقيدة السلف، وأنت لا تدري بكتب السلف، وهذا الفارق الكبير، تجد صاحب الحق يعتني بكتب السلف، وبأقوال السلف، ويحثُّ الناس حتى يموت ويقول: «عليكم بمنهج السلف»، هذا وضع السلف، هم أهل حق، واعتقادهم هو الصواب، وما ضاعت الأمة إلا بعدما ترك هؤلاء الضالون عقيدة السلف، لهذا قال لما تحدث عن الصحابة قال: (وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السابقين، وَمَنْ بَعْدَهُمْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَر) جمعوا الأمرين:

فهُم أهل الآثار والروايات.

وأهل الفقه فيها، والنظر فيها.

(لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ)، يعني على غير السبيل والطريق المرضي، فالواجب أن يُلزم اعتقادُ السلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السابقين وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ، لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ.

وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ.

وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ.

❁❁◈❁❁

قال الشارح وفقه الله:

تكلم بعد ذلك رَحِمَهُ اللهُ عن الأولياء، وأولياء الله -كما تقدم- هم المؤمنون المتقون كما قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣] ﴾ [يونس:٦١-٦٢] . وقلنا: أن المؤمنين يتفاوتون في درجة الولاية، فمن كان أعظم إيمانًا وتقوى كان أحظ بهذه الولاية، فلما كان هؤلاء الأولياء على هذا الحال عَلِمْنا أن رأس الولاية صحة العقيدة، لأن الولي في هذه الأمة أفضل الأوياء هم الصحابة هم أولياء الله من هذه الأمة في المقام الأول، هم التابعون هم أتباعهم، ولهذا من جميل الأجوبة لعبد القادر الجيلاني رَحِمَهُ اللهُ أنه قيل له: أيكون ولي من أولياء الله على غير عقيدة أحمد بن حنبل قال: لا كان ولا يكون، لأن عقيدة أحمد هي عقيدة السلف، فسأله سائل يُمكن أن يكون ولي من أولياء الله، لكنه على عقيدة تختلف عن عقيدة السلف قال: لا كان في السابق، ولا يكون في اللاحق لا يُمكن، لأن رأس الولاية صحة العقيدة. أما أن يكون ولي من أولياء الله، لكنه فاسد العقيدة، كيف يكون وليًا من أولياء الله، الأساس هو الاعتقاد، لأجل ذلك نصَّ على هذه المسألة، لأن هناك من بالغ في موضوع الولاية، حتى رفع الأولياء -والعياذ بالله- على درجة فوق درجة الأنبياء، كما كان حال الضائع التائه ابن عربي، صاحب الفصوص يقول:

مقام النبوة في برزخٍ   فُويق الرسول ودون الولي

سبحان الله عكس الدين كله، فالرسول أفضل من النبي، هو قال النبي أفضل من الرسول، والولي أفضل من الرسول ومن النبي.

هذا الكلام لاشك أنه باطلٌ معلوم البطلان من دين الإسلام بالضرورة، وأن من قال: إن وليًا أفضل من أي نبي من الأنبياء، الأنبياء صفوة الخلق: ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج:٧٥]. اصطفاهم الله اصطفاءً، كيف يُقال هذا والعياذ بالله- الأولياء ما بلغوا مهما يكُن، أفضل الأمة أبو بكر، لا يُمكن أن يكون أفضل من أي نبي من أنبياء بني إسرائيل أو غيرها. لأن درجة النبوة أعظم درجة يكون عليها الإنسان، أعظم ما يصل إليه الإنسان درجة الرسالة والنبوة، وهذا اصطفاء عظيم من الله ﷻ، لأجل ذلك قال: (وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ). ردًا على الصوفية الغُلاة الذين فضلوا الأولياء -والعياذ بالله- على الأنبياء، ولهذا قال نقول: (وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ)، يعني من بني آدم كلهم من سائر الأمم مُنذ عهد آدم إلى أن يرِث الله الأرض ومن عليها، نبيٌ واحدٌ أفضلُ من جميع الأولياء لاشك في هذا، لأن مقام النبوة لا يُمكن أن يصل إليه من سوى الأنبياء، لأجل ذلك نص عليه، ولهذا نص عليه ردًا على غُلاة الصوفية.

قال: (وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ).

الكَرامة: عادةً تُطلق على خوارق العادة، يعني لا يخرق الله تعالى للأولياء من العادات بحيث يقع لهم بإذن الله ما شاء الله تعالى أن يقع كما حصل لمريم: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم:٢٥] . امرأةٌ ولدَتْ في غاية الضعف، ومع ذلك تؤمر بهز النخلة تنبيهًا على اتخاذ الأسباب، وإلا لو شاء الله لأسقط عليها الرطب، قال: ﴿بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ [مريم:٢٥]. قال أهل العلم: «إن جذع النخلة هذا كان لنخلةٍ في غير إبان ثمرها»، فنزل بإذن الله تعالى عليها هذا الرُّطب بإذن الله تعالى لذلك قال: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ [مريم:٢٦]. ستقر عينُها، لا بمجرد الرُّطب، الرطب موجودة، لكن ستقرُّ بهذه الخارقة العظيمة: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ [مريم:٢٦]. وأن الله تعالى سيقوم بأمرها.

وهكذا أهل الكهف لبثوا في كهفهم بنص القرآن ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا، وسخر الله الشمس تسخيرًا: ﴿**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ**﴾ يعني تميل ﴿**عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ**﴾ يُمكن أن تُصيبهم الشمس فجوة من الكهف، لكن الله تعالى يُميل الشمس عنهم، فكل هذا من خوارق العادات، فهذه تثبت للأولياء إذا جاءت في نصوص القرآن قطعًا، إذا جاءت في النصوص الثابتة عن النبي ﷺ وذكر النبي ﷺ من ذلك الكثير.

ووقع لأصحاب النبي ﷺ من ذلك كثير أيضًا، ووقع للتابعين من ذلك كثير تتبعناه في كتاب «كرامات الأولياء» وهو موجود في الموقع لمن أراده فيه النصوص الصحيحة الثابتة الدالة على أمر الكرامة، وعلى أن هذه الكرامة -بإذن الله ﷻ- تخرُق العادة، ولكن هناك ضوابط حتى يُفرَّق بين الخوارق التي قد تقعْ للسحرة، أو للعابثين من الكذبة والمحتالين وبين الخوارق الحقيقية التي يخرق الله تعالى بها العادة لهؤلاء الأولياء الكرام.

وأعظمُ الضوابط على الإطلاق: استقامة من وقعت له الكرامة، أعظم ضابط على الإطلاق، لن تجد ضابطًا أعظمَ من هذا الضابط، بحيث إذا كان مُستقيمًا، ووقعَ له مثل هذه الخوارق لا يُستغرب، فإذا كان غير مستقيم، فلو أمر السماء فأمطرت، والأرض فأنبتت، فليسَ من أولياء الله، ولهذا يقع للدجال يأمر السماء فتُمطر، والأرض فتُنبت، ويمرُّ بالخرِبة، فيأمرها فتتبعها كنوزها كيعاسيب النحل، ومع ذلك هو عدو الله ﷻ، فمُجرَّد خرق العادة وحده لا يكفي حتى يكون خرق العادة للمستقيم، لهذا قال: (**وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ**)، لابد أن تصح الرواية عن هؤلاء الأفاضل رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، فإذا صحت روايتهم، وكانوا على الاستقامة، فنعم يُصدق هذا، والله تَعَالَى أَعَلَم على كل شيء قدير.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ مِنْهَا خُرُوجُ الدَّجَّالِ، وَنُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا.

قال الشارح وفقه الله:

أشراط الساعة كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:١٨]؛ أي علاماتها، وأشراطها على نوعين:

أشراطٌ صُغرى، وأشراطٌ كُبرى، وذكر هنا بعضًا من الأشراط الكُبرى، لأن الأشراط الكُبرى عشر، ذكر منها: خروج الدجال، ونزول عيسى من السماء، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض، وهكذا خروج يأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تحشر الناس تخرج من قعر عدن، تبيت معهم حيث باتوا، تسوق الناس إلى محشرهم». هذه أشراط كُبرى.

جاء في الحديث أنها إذا بدأت تكون بمثابة العِقد الذي انقطع فيتوالى، لأن أشراط الساعة الكبرى -نسأل الله العفو والعافية- تكون متوالية جدًا، أما الأشراط الصغرى فكثيرة، ومنها ما نحن فيه الآن، وذكر ﷺ مجموعة غير قليلة من أشراط الساعة.

ومن ضمنها ما يذكر عليه الصلاة والسلام من أحوال الناس، والتغير، بعض الأحوال التي أخبر بها عليه الصلاة والسلام هي من أشراط الساعة، فأخبر ﷺ عن جملة غير قليل من أشراط الساعة، وللشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى كتابٌ حافل وعظيم في أشراط الساعة «إتحاف الجماعة بأشراط الساعة» وهذا الشيخ العالم من خيار أهل العلم، وإن كان بعض طلبة العلم لا يعرفونه، ومن أكثر من صنَّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وله ردود عظيمة على أهل الضلال، وعلى أهل الفسق، فحريٌّ أن يُستفاد من كتبه رحمة الله تعالى عليه، وإن كان كثير من طلبة العلم لا يعرفه، لأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان لا يحرص على أن يُعرف.

وحدثني ابنه عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه عُرِّف به في أحد الكتب في صفحتين، فجمعَ جميع الكتب رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي عُرف بها وقطع التعريف، قطع الصفحتين من جميعها، لأنه ما كان يُريد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن يُعرف، لكنه الحقيقة من أحسن من يؤلِّف، مؤلفاته حافلة جدًا، ومن ضمنها هذا الكتاب العظيم في أشراط الساعة، وألَّف فيها غيره. فأشراط الساعة نؤمن بها، ونعلم أن هذه الأشراط تتقدم تأتي قبل الساعة، وتكون علاماتٍ على الساعة.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا، وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ، وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ.

قال الشارح وفقه الله:

ذكر هذا الصنف الخبيث الذي يدَّعي أنه يعرف المغيبات، سُمي العراف كان يعرف، وهكذا الكاهن المتكهن الذي يزعم أنه يعرف الشيء الغائب، ولأهل العلم كلام في الفرق بين العراف والكاهن، بعضهم يُطلق هذا على هذا، لكن مجموعهم يدَّعي معرفة الغيب، وأنه يستطيع أن يعرف الغائب ونحو ذلك، مما يغيب عن الإنسان ويضيع، دعوى كاذبة منه، وقد أخبر ﷺ «إنهم ليسوا بشيء»، فقيل له: إنهم يُحدثون بالأمر فيقع، فقال: «تلك الكلمة يخطفها الجني من السماء»، لأن الملائكة -بإذن الله- تنزل في العنان، والعنان هو السحاب، فتتحدث بالأمر من أمر الله قُضي، فالشياطين من حرصهم -عياذًا بالله- على الإضلال يحرصون على خطف واستراق السمع لما تقوله الملائكة، قال: «**ومسترق السمع هكذا**» حرَّف سفيان يده وبدَّد أصابعه، يعني أنهم ليسوا مُتلاصقين، ولكن هذا في موضع، وهذا في موضع، فإذا سَمِعَ الأول كلمة الملائكة: ألقاها إلى الذي تحته، ثم ألقاها ذاك إلى الذي تحته، قال: «فربما أدركه الشهاب قبل أن يُلقيها، فإذا أدركه الشهاب أحرقه قبل أن يُلقيها إلى الذي تحته فتنقطع بإذن الله، وربما ألقاها قبل أن يُحرقه». ربما ألقاها إلى الذي تحته قبل أن يُحرقه إذا شاء الله تعالى ذلك ابتلاءً وامتحانًا، حتى تصل إلى الكاهن أو الساحر، فيزيد معها مائة كذبة، لذا تلاحظ الذين يذهبون للكهان يعود الواحد منهم -عياذًا بالله- مُبغضًا لأخيه زوجة أبيه، ابن عمه، يقول: ذاك سيسحرك، ذاك سرق منك، يزيد جملة من الأكاذيب، فيُصدَق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء، يقول: أليس قال يوم كذا، كذا وكذا؟ فيُصدَّق بكلمة واحدة من الحق التي خُطفت من استراق السمع، ويكذب هذه الكذبات التي تُفسد في الناس هذا الإفساد العظيم، ولا شك أن الكهنة والعرَّافين يجب أن يُبادوا بحكم الشرع، لأنهم

كفـرة، لا تتحقـق لهـم هـذه المسـائل سِـحرًا وكهانـةً وعرافـةً، إلا بالاتصـال بـالجن، تحديـدًا بالشياطين، فيبيعون الشياطين دينهم -نسأل الله العافيـة- تُلاحـظ إذا قُبض على السـحرة مـن قِبل الهيئات تلاحظ أن عندهم أخزاهم الله ولعنهم- المصاحف قد دُنست بـدم الحيض، أو وضعوا لعنة الله عليهم- البول والعذِرَة والنجاسات على المصحف، ما هذا الفعل؟ هذا ثمنه دينه، يعني يبيع دينه، ويطلبون منه أن يكفر، فإذا باع دينه مكنَّوه مـن مثل هـذه الأمـور، ولهـذا السِّحْر مُباشرة كفر، هذا الصحيح الذي لا شك فيه، وعليه أكثر أهل العلم، وهكـذا مثل هـذه الأمور، فلا نُصـدقهم، ولا يجـوز بتاتًـا الاطـلاع علـى قنـواتهم، والاسـتماع لهـم، وسؤالهـم لا يحل هذا، «**ومن أتى كاهنًا فصدقه، فقد كفر بما أُنـزل علـى محمـد**»، فـإذا كـان الـذي يُصـدقه يكفر، فما بالك بالكاهن نفسه، يكون كفره أغلظ بلا شك.

قال: (**وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ، وَالسُّـنَّةَ، وَإِجْمَـاعَ الْأُمَّـةِ**) أي أحـد يُخـالف الكتـاب والسنة عرَّافًا أو كاهنًا أو أي أحد يُخالف الكتاب والسنة، فإنه لا يُصدق ويُرد عليه كلامه.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا.

❀❀◊❀❀

قال الشارح وفقه الله:

لاشك أن الجماعة حق، وأنها صواب، وأن الفُرقة فيها الزيغ والعذاب.

وفي هذا المقولة العظيمة لابن مسعود رضي الله عنه قوله: «**ما تكرهون في الجماعة؟ خيرٌ مما تُحبون في الفُرقة**». فالجماعة -كما تلاحظ- يوجد فيها مُنكرات، يوجد فيها أمور تُذيب القلب، وتُحزن المؤمن، لكن وجود هذه المنكرات في حالٍ من الجماعة خيرٌ مما لو وقعت الفُرقة، لأنها إذا وقعت الفُرقة هذه المنكرات التي تراها ستكون أضعاف المنكرات هذه، ولهذا قال: «**ما تكرهون في الجماعة؟**» لأن الجماعة فيها أمور تُكره، مثل هذه المنكرات، «**خيرٌ مما تُحبون في الفُرقة**» لو وُجدت الفُرقة لكان الشر الموجود في الفُرقة أكثر بكثير، فلأجل ذلك يُحرَص على الجماعة، ويؤمر بالمعروف، ويُنهى عن المنكر، ويُبلَّغ العلم، ويُقال الحق، ويُرد الباطل بالقدر الذي مكن الله تعالى المؤمن منه، ولا يُكلف الله تعالى إلا ما يستطيع، ولأجل ذلك المؤمن إذا كان على هذا الحال سينفع الله به نفعًا كثيرًا، وسيُنكر منكرات كثيرة جدًا، وسيُعلم كثيرًا من الجُهال، وسينشر كثيرًا من العلم والخير في حال الجماعة، لهذا يقول: الجماعة حقٌ وصواب، أما الفُرقة، فزيغ وانحراف وعذاب، عذاب للناس في دينهم ودُنياهم، لأجل ذلك يُحرص على الجماعة، ويُتحمل في الجماعة أمور كثيرة، لأجل أن تبقى الجماعة ويبقى كيانُها، ويحرص المؤمن على إيصال الخير والصبر حتى يأذن الله تعالى بلقائه على أحسن حالٍ فيلقى الله تعالى غير مُبدل ولا مُغير، أو أن يُصلح الله تعالى الحال، لكن يبقى في الجماعة.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدِينُ اللهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاحِدٌ؛ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣] ، وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ، وَالتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَاسِ.

ꙮꙮ◈ꙮꙮ

قال الشارح وفقه الله:

دين الله عز وجل الأصل أن الإسلام لجميع الأنبياء، الإسلام بالمعنى العام هذا يجتمع عليه جميع الأنبياء، ولهذا يقول يعقوب لبنيه: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٢] . قد يقول قائل: هم قبل الإسلام، هذا الإسلام العام الذي يجتمع عليه جميع الرسل، من آدم إلى آخره محمد صلى الله عليه وسلم دينهم الإسلام بالمعنى العام وهو القائم على توحيد الله، ونبذ الشرك والاعتقاد عند جميع الرسل صلى الله عليه وسلم واحد، ولا يُمكن أن يأتي فيه نسخ، النسخ يكون للأحكام للشرائع، فيحل في شريعة هذا ما كان محرمًا في شريعة ذاك، أما الدين الاعتقاد فهم جميعًا فيه على اعتقادٍ واحد، لهذا قال صلى الله عليه وسلم: «نحن معاشر الأنبياء أخوةٌ لعلات، ديننا واحد وأمهاتهم شتى» الدين واحد وهو التوحيد، والأمهات الشرائع من حيث الحلال والحرام والحرام، والواجب، هذه تتفاوت، قد يحل في شريعة ما لا يحل في شريعة أخرى، ولهذا قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

والدين في التوحيد دينٌ واحدٌ ... لم يختلف منهم عليه اثنانِ

فهم في التوحيد على دين واحد، وهو دين الإسلام الذي قال الله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾[آل عمران:١٩] . وقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾.

ثـم أراد أن يحـدث عـن وسـطية الإسـلام، وهـو أن الإسـلام بـين الغلـو، والغلـو معنـاه التنطـع والزيادة والخروج عن النهج السوي بالمبالغة والزيادة.

والتقصـير: وهـو التفـريط، فـالإفراط بالزيـادة، والتفـريط: بـالنقص، فـدين الإسـلام بينهمـا لا إفراط ولا تفريط.

وبين التشبيه طريقة المشبهة، وبين التعطيل طريقة المُعطلـة، لأنهـم يُشـبهون الله بخلقـه، وبـين الذين يُعطلون الله عن كمال صفاته.

(وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ) يعني بين الجبريـة قصـده تحديـدًا يعنـي بـين القـائلين بـالجبر، والقـائلين بالقدر، يعني بين الجبرية الذين يقولون: إن الإنسان مُجبر، وبين القدرية الذين يقولون: أصلًا العبد هو الذي يُنشئ القدر من نفسه دون الرب عز وجل، وبين الأمن والإياس كما تقدم، بين الأمن مكر الله عز وجل، وبين اليأس من رحمته.

فهذا هو دين الله بين هاتين الضلالتين، كما ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن منهج أهل السنة يقول: أنـه كاللبن الخالص الذي يكون من بين فرث ودم، سائغًا للشاربين، فيقول: ما سوى اللبن، اللبن بأمر الله عز وجل يخرج من بين فـرثٍ ودم، مـا سـوى المـنهج الوسـطي الحقيقـي مـنهج أهـل السـنة، إمـا أن يكـون مبالغـة علـى طريقـة الخـوارج مـثلًا، أو أن يكـون تقصـيرًا علـى طريقـة المرجئة، فقال: إنه مثل لبن السائغ بين الفرث والدم، فهؤلاء بالغوا، وهؤلاء قصَّـروا، فمـنهج أهل السنة كاللبن الذي يخرج سائغًا بين الفرث الدم.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَنَحْنُ بُرَآءُ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ.

وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلَ الْمُشَبِّهَةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْجَبْرِيَّةِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بُرَآءُ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وَأَرْدِيَاءُ، وَبِاللهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ.

❀❀◈❀❀

قال الشارح وفقه الله:

هذا ديننا واعتقادُنا الاعتقاد أمره عظيم، المؤمن ينتمي إليه، ويبرأ ممن خالفه، ظاهرًا وباطنًا، ما عندنا اعتقاد نُظهره للناس، ونُحن نُبطن سواه، لأن هذا فِعل المنافقين، فالاعتقاد نظهره، ولا نُكن شيئًا بحيث نقول للناس: اعتقاد معين ونُخفي ما سواه، فهذا فِعل المنافقين، بل اعتقادنا هو الذي نُظهره، ويعلم الله تعالى أننا نُبطنه، ولأجل ذلك فنحن بُراء إلى الله ممن خالف هذا الاعتقاد، لأن الخلاف العقدي ليس كالخلاف الفقهي، الخلاف العقدي غليظ، يكون من آثاره التظليل، والتبديع، ويصل إلى التكفير، فلأجل ذلك أمره كبير، بخلاف الخلاف الفقهي السائغ، الذي يكون بين أهل العلم ممن يحق لهم الاجتهاد، فهذا مجتهدٌ أصاب فله أجران، وهذا أخطأ فله أجرٌ واحد.

أما مسائل الاعتقاد: فلا تقبل مُجاملة، إما أن الصحابة عدول وهم خير الأمة، وهذا قول أهل السنة، أو يكون قول آخر مُقابل قول الرافضة، ما هنالك مجال لأن تقول كلا القولين صواب، فالصحابة عدولٌ، وهم كما يقول الرافضة، هذا مستحيل هذا الأمر.

أو تقول: تُثبت لله تعالى الصفات على ما يُقرره أهل السنة، وفي الوقت نفسه تُنفى! ما يُمكن، لابد من قولٍ واحد، ولهذا قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «تناظَرُوا في أمرٍ إذا أخطأ فيه أحدكم قيل له:

أخطأت، ولا تناظَروا في أمرٍ إذا أخطأ فيه أحدكم قيل لـه: كفـرت». يقـول: تنـاظروا في مسـائل الفقه، فأمرها إذا أخطأت قيـل لـك: أخطـأت، قسـمت مسـألة مـن مسـائل الفـرائض، أخطـأت فيها، عددتَّ أركان الصلاة، فأدخلت فيها واجبًا، وليس رُكنًا، فهذا خطأ منك، مـا أحـد يقـول لك: إنك ابتدعت أو ضللت الجميع يقول لك: أخطأت.

يقول: أما مسائل الاعتقاد فأمرُها غليظ، قـد يترتـب عليـه تكفيـر تضـليل، تبـديع، لأجـل ذلـك يجب أن يُضبط الاعتقاد، لأن الاعتقاد حقٌّ وما سواه باطل، ولهذا قـال: (وَنَحْـنُ بُـرَآءُ إِلَـى اللهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ).

(وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ) ذكرها في الأخير (وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ) المهلكة هذه كـ(الْمُشَـبِّهَةِ) يُشـبهون الله بخلقـه (وَالْمُعْتَزِلَةِ) الـذين نفـوا الصـفات، وقـالوا: إن نفـي الصـفات هـو التوحيـد. ورأوا أن صـاحب الكبيرة مخلدٌ في النار، ووضعوا لـهم أصولًا ابتـدعوها سـموها «الأصـول الخمسـة» نـاذبوا بهـا المسلمين، والجهمية أصحاب الجهـم بـن صـفوان الـذي جمـع كمـا قـال أهـل العلـم: أخـس المذاهب. فهو في الإرجاء غالي من الغُلاة، وفي القـدر مـن غُـلاة الجبريـة، وفي الصـفات يُنكـر الأسماء والصفات كلها.

(وَالْجَبْرِيَّةِ) الذين يزعمون أن العبد مُجبر.

(وَالْقَدَرِيَّةِ) الذين يقولون: نحن الذين نخلق أفعالنا، ونُنشئها استقلالًا عن الله.

قال: (وَغَيْرِهِمْ مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ) يعني مما يأتي إلى قيام الساعة.

ومنه ما ابتلي به المسلمون في القرون الأخيرة من هذه المذاهب المُنحرفة المُلحـدة، مـذاهب أتت إلى الأمةِ من بلاد الشرق أو الغرب، وصرَعَتْ –عياذًا بالله– أعدادًا وفئامًـا عظيمـةً، ممـن عاشوا خُدامًا لها، ونشروها، وشابت شعورهم –عياذًا بالله تعالى– في خدمتها، وهـي مـذاهب إلحاد، وعاشوا هذا الحال –نعوذ بالله– سنين مـن عمـرهم حتـى نشـروا مثـل الفكـر الشـيوعي حتـى أسـقطه الله بعظمتـه وجبروتـه، فصـار –ولله الحمـد– في مزبلـة التـاريخ، لكـن انتشـر في

الأرض انتشارًا مهولًا، وصرع من أبناء هذه الأمة من لا يُحيط بهم إلا الله، لأنها آراء، وضلالات تقبلوها.

وهكذا ما أتانا من الغرب من الأفكار الباطلة من الفكر الوجودي فِكر سار ثرو شلته، والفِكر العلماني بصنوفه، والفكر الليبرالي القائم على الانفتاح المُطلق، والحرية المطلقة، كل هذه مذاهب وهي أخس وأسوأ من كل المذاهب السابقة، لهذا يجب عند كلامنا على هؤلاء المبتدعة الضُّلال أن نربطهم بمن هم أسوأ منهم.

ولهذا قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَغَيْرِهِمْ مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ)، فكل هذه المذاهب التي أضلت الناس أتت من فلسفة الشرق أو الغرب هي أسوأ وأخبث من جميع فرق الضلال السابقة، لأجل ذلك يجب أن يُحذر المسلمون منها، لأنها فشت في عددٍ من المسلمين، بسبب أن بعض حملتها -حاسبهم الله بما يستحقون- قالوا: إنها لا تُخالف الإسلام، وأنها جزءٌ من الإسلام، ولهذا انظر للتنظير العفن المسمى بالديمقراطية كيف أنه يُنشر على أنه هو الخيار العظيم لبني آدم، وهي من أعفن وأسوأ وأقبح المذاهب، ولا يعرف كثيرون ممن يمدحون الديمقراطية أنها في الحقيقة هي الواجهة السياسية للعلمانية، ولهذا الذي يمدح الديمقراطية، ويذم العلمانية يضحك منه الشرق والغرب، لأن الديمراطية لا تنشأ إلا في جو علماني، ما تأتي ديمقراطية بدون علمانية، وهذا يقوله نُظار الديمقراطية، فكل هذه مذاهب مُردية.

استمسك بهدي السلف الصالح رضي الله تعالى عنه واثبت، ولا تغرنك هذه الضلالات، فإنها تصرع الناس، ثم سبحان الله! تموت هذه المذاهب، ثم تُحيا مذاهب أخرى، وتصرع من يتصدى لها، فيستعصم المؤمن بربه، ويستمسك بهذه الديانة العظيمة التي جعلها الله تعالى رحمة، ويثبت عليها، ويسأل الله تعالى الثبات بالقول الثابت، وأن يتولاه بالتوفيق.

الأسئلة

السؤال: ما الفرق بين المعتزلة والأشاعرة؟

الجواب: مثل هذه المسائل الحقيقة أولًا طويل، وثانيًا: مسائل تخصصية، وطالب العلم يحرص على نشر العقيدة في المقام الأول، فإذا أراد طالب العلم يتخصص في المذاهب وغيره ممكن.

السؤال: قوله: ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ**﴾ [الإسراء:٥٥] . ما الجمع بينه وبين حديث: «لا تُفضلوا بين الأنبياء» هذا سؤال مُفيد جدًا لطالب العلم. الآن هذا القول قاله النبي ﷺ في أي مناسبة؟ دائمًا انتبه عند ذكر الحديث إلى مناسبته، المناسبة أن رجلًا من اليهود قال لأحد الصحابة: «**والذي اصطفى موسى على العالمين**» فلطمه المسلم قال: تقول هذا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، فجاء اليهودي واشتكى المسلم، لأن اليهودي صاحب عهد، وقال: «إن صاحبك هذا لطمني» فقال ﷺ: «لا تُفضلوا بين الأنبياء» لأن الصحابي فضل على سبيل الحمية، فنهاه النبي ﷺ أن يكون التفضيل على هذا الأساس، أما قوله: «لا تُفضِّلوا بين الأنبياء» فليس معناه أنه ليس بينهم تفضيل، لذلك قال ﷺ: «أنا سيد ولدم آدم» هو فضَّل نفسه عليه الصلاة والسلام. ولماذا قال: «أنا سيد ولد آدم» لأننا لا يُمكن أن نعرف من أفضل الأنبياء إلا من طريقه، قد يقول قائل: أبوه إبراهيم أفضل منه، فكيف نعرف أن أفضل الأنبياء هو محمد ﷺ بأن يُخبر، ولهذا قال: «أنا سيد الأنبياء ولا فخر» يعني لا أقولها على سبيل المفاخرة، وإنما على سبيل الإخبار، لأجل ذلك قوله: «لا تُفضلوا بين الأنبياء» على سبيل المفاخرة، بحيث أقول: رسولنا أفضل من رسولكم يا معاشر بني إسرائيل لا يُراد بهذا الكلام على سبيل تفضيل الحمية، وإنما على سبيل الإخبار نعم.

السؤال: معنى (سبحان الله)؟

الجواب: يعني أُنزه الله سبحانه وتعالى.

السؤال: ما فوائد شرح هذه العقيدة؟

الجواب: نعم العقيدة هذه لها فوائد، قلت لكم: مُعظم ما في العقيدة سليم ما فيه إشكال، وأيضًا من المُهم أن توجَّه التوجيه الصحيح ألفاظها، لأن هناك من استغل مثل هذه الألفاظ المُجملة، ووجها توجيهًا غير سليم.

السؤال: من يدخل في العلم وهم من لا يتأهل له؟

الجواب: الله المستعان. نحن لا نحرص الحقيقة على نقل ما قد يكون في مقالة لبعض أهل الضلال، لأن المقام -في الحقيقة- ليس مقامه، وإنما المقام مقام شرح للحق، فبعض الأسئلة عن بعض مقالات الفِرق معروفة، لكن لا يحرص الإنسان خاصة إذا كان فيها شبهة، لأننا إذا أردنا أن نُفصل الشبهة، والرد عليها يحتاج إلى شيءٍ من الوقت الطويل.

السؤال: قوله: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة:٤٤] ، من يُكفِّر حكام المسلمين ما التوجيه؟

الجواب: هذه الآية مثلما ذكر أهل العلم تتناول الكفر والأصغر على التفصيل، فليست الآية مُطلقة، لهذا قال ابن عباس رضي الله عنه: «ليس الذي تذهبون إليه» ففي أحوال تكون كُفرًا أكبر، وفي أحوال تكون كفرًا أصغر، فلا يُجمل فيها الكلام هكذا.

السؤال: ما الذي تنصحون به من الكتب التي تذكر عقيدة أهل السنة؟

الجواب: من أعظم الكتب كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ للمبتدئ، ومن أجلها كتب التوحيد إذا تقدم بطالب العلم المقام، ثم أيضًا «الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية على ترتيب.

السؤال: مؤلف كتاب «أشراط الساعة»؟

الجواب: هو الشيخ العلامة حمود بن عبد الله التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ.

السؤال: هل العبد المؤمن الصالح أفضل من الملائكة؟

الجواب: خلاف في هذه المسألة، من أهل العلم من يرى أن الملائكة لا يفضلهم أحد، قال ابن أبي مليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما

منهم أحد يقول: أنا أفضل من جبريل وميكائيل» والله في غاية الصعوبة أن يقول الإنسان: أنا أفضل من جبريل! سبحان الله، حتى لو كان رجلًا صالحًا، يصعب علي أن أقول أحمد بن حنبل أفضل من جبريل، سبحان الله! جبريل أمين الوحي، يصعب أن يُقال للرجل الصالح: أفضل، وإن كان بعض أهل العلم قاله حقيقة أن الملائكة أفضل عليهم صلاة الله وسلامه.

السؤال: ما سطلت الضوء على جماعة الإخوان وداعش والخوارج والتبليغ الذين هم أشد خطرًا على الشباب المسلم؟

الجواب: خُذ قاعدة طالب العلم ينبغي أن يكون فهمه شموليًا، عندما نقول: تلزم الجماعة، ولا يحل تحزيب الأمة، لا في شكل الإخوان المسلمون، ولا في غيرهم، فتتخذ عندك قاعدة يعني أنت الآن تعلم أننا نشرح كلام أبي جعفر الطحاوي، وأبو جعفر قبل الإخوان المسلمين، ما علاقة موضوع أني أذكر لك موضوع الإخوان، لكن خُذ قاعدة التحزيب للأمة في شكل جماعة تبليغ، في شكل جماعة إخوان، في شكل حزب تحرير، في شكل إخوان ليبرال، نفس الشيء مجموعة الليبراليين هؤلاء أيضًا متحزبون، كل تحزب يُقطع الأمة لا خير فيه، الأمة تكون جماعة واحدة، هذا هو الأصل، فإذا تقررت هذه المسألة عندك اتضحت، فليس المعنى أننا نمنع أن يكون اعتزال وتجهم كذا، نقول: اسمح للجماعات، نقول: يجب أن يكون المسلمون كلهم جماعة، وكلهم إخوان، وكلهم مسلمون، هذا الواجب أن نكون جميعًا جماعة واحدة، وكلهم إخوة، وكلهم مسلمون، ما يقول عندي فينا جماعات إخوان مسلم، وفي هذه الجماعة تحرير، وفي هذه جماعة تبليغ، لماذا لا تكون جهود الأمة جهود واحدة، ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: ينبغي أن تكون جميع الجماعات جماعة واحدة، ويقودها أهل العلم، فتكون كل هذه الجماعة، وكل هذه الطاقات تحت أهل العلم، ثم هذه الجماعة تترك ما عندها من خلل، هذه الجماعة تترك ما عندها من خلل، وتُقاد لكلام أهل العلم، وأكبر الخلل إنشاء الجماعة، بصفتك ماذا أنت تُجمع هؤلاء تقول: أنا رأسٌ لكم، ثم قد يكون بيعات وغيرها على أي أساس هذا؟ المسلمون منذ عهد نبيهم ﷺ ينشرون العلم،

ويكون هناك عالم وهناك متعلم، دون أن يكون العالم رأسًا وحزبًا، لأن الجميع حزب، هل يجوز أن نضع حزبًا؟ نعم. حزب واحد: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢] . هذا الحزب الواحد، أما نجعل لنا مجموعة أحزاب، مجموعة جماعات، هذا الذي قلنا: تضررت الدعوة ضررًا بالغًا تضررت الدعوة كثيرًا، فصار هؤلاء في جماعة، وهؤلاء في حزب، وهؤلاء صاروا ضد لهؤلاء، فلاشك أنه يجب أن تكون الأمة جماعة واحدة، وهذا ما نص عليه الجميع يكون عليه هناك جماعة.

السؤال: ماذا يقول الأشاعرة عنه؟

الجواب: ماذا ستستفيده، إنسان متخصصًا في المذاهب ليس لك حاجة أن تعرف ماذا تقول الأشاعرة، ضلالٌ في ضلال. عليك أن تعرف عقيدة أهل السنة، فإذا تخصصت إن شاء الله في العقيدة عرفتَ أن هذه المقالة للأشاعرة، وهذه المقالة للمعتزلة، أما أن نقول لك ماذا تقول الأشاعرة، هذا على سبيل العرض فقط، إذا جئنا في أثناء العرض نرد عليهم، أننا نقول: الأشاعرة تقول كذا، والمعتزلة تقول كذا، لا يكون هذا أصلًا مقصودًا، وإنما يُقال للرد عليه.

السؤال: ذكرتم أن سقراط كان ساحرًا مُشركًا، فهل هو سقراط أم أرسطو؟

الجواب: صدق الأخ أرسطو.

السؤال: ذكر ابن القيم أن سقراط خالف قومه في عبادة الأصنام، ولذلك قتلوه؟

الجواب: على كل حال الذي ذكر هذا ذكره شيخ الإسلام.

على كل حال أيًا كانوا هم مجموعة من الوثنيين، يعني اليونان أمة وثنية ما كانت أمة ملية، وكان عندهم الفلسفة فجمعوا الشر إلى الشر، فصاروا عندهم الوثنية والفلسفة.